الجزء الثاني

أنا قط

吾輩は猫である

نتصوميه صوسيكى

夏目 漱石

ترجمة: أ.د. ماهر الشربيني

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

"الرواية المحبوبة عالميًا – ترجمت لأكثر من ٢٠ لغة – للكاتب الياباني العبقري"

Japan Quarterly

المحروسة

نتصوميه صوسيكى

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

أنا قط

(الجزء الثاني)

ترجمة: أ.د. ماهر الشربينى

طبعة المحروسة 2018

عنوان الكتاب: أنا قط ج2 吾輩は猫である
المؤلف: نتصوميه صوسيكى 石漱 目夏
ترجمة: أ.د.ماهر الشربيني
مصحح اللغة : محمد حمدي أبو السعود

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف: 002 02 28432157-

www.mahrousaeg.com
e.mail : info@mahrousaeg.com
facebook/almahrosacenter
twiter: @almahrosacenter
e.mail : mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٠١٨/ ٢٠٦٠٢
الترقيم الدولى: 978-977-313-740-3
جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية
محفوظة لمركز المحروسة
2018

JAPANFOUNDATION

الترجمة والنشر بمساعدة مؤسسة اليابان بالقاهرة

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

نتصوميه صوسيكى

أنا قط/ نتصوميه صوسيكى؛ ترجمة ماهر الشربيني.-

ط1.القاهرة: المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات،

م ج2 231ص؛ 13.5×19.5سم.

تدمك 978-977-313-740-3

1 - القصص اليابانية

أ- الشربيني، ماهر (مترجم)

ب- العنوان

891.3

رقم الإيداع ٢٠١٨/٢٠٦٠٢

إهداء

إلى عزيزى القارئ العربى في كل مكان من الخليج إلى المحيط

أهدى إليك هذا العمل الأدبى المهم

متمنيًا أن يحوذ إعجابك.

أ.د. ماهر الشربيني

الفصل الرابع

وكالعادة تسللت إلى قصر السيد "كانيدا (أبو الدهب)"، ولكنى تأخرت كثيراً فى شرح معنى "كالعادة". "كالعادة" كلمة تشير إلى تكرار فعل الشىء ذاته من حين لآخر. والشغف بشىء يجعلك تفعله، ثم تفعله مرة ثانية، ثم تخطط لفعله مرة ثالثة. ولا يقتصر ذلك على الإنسان، ولكنه أيضًا إحدى الخصائص النفسية التى تولد بها القطط، وعندما تكرر فعل نفس الشىء ثلاث مرات، يتحول إلى عادة، ويصبح مهمًا فى حياتك، ولا نختلف نحن القطط عن الإنسان فى ذلك. وقبل أن تتعجب أيها القارئ فتسأل: "ما الذى يجعلك تتسلل كثيراً هكذا إلى قصر السيد كانيدا (أبو الدهب)؟!".

فأقول لك اسأل نفسك أولاً: لماذا يستنشق الإنسان الدخان من فمه ثم يخرجه من أنفه؟ رغم أن الدخان لا يصل إلى قاع المعدة وليس دواءً لأوعية الدم، ومع ذلك يقوم بعملية شهيق وزفير للدخان دون شعور بالخجل من ذلك. ولذلك أرجوك أيها القارئ ألا ترفع صوتك فتنتقدنى نقدًا جارحًا لتسللى إلى قصر السيد "كانيدا (أبو الدهب)"، فقصر السيد "أبو الدهب" هو سجائرى.

وربما تعطيك كلمة "تسلل" التى ذكرتها سابقًا، انطباعًا سيئًا عنى، كلصٍّ مثلاً أو عشيق امرأة فى القصر، ورغم أننى لا أتلقى دعوة لزيارة القصر فإن تسللى إليه ليس من أجل ذلك، ولا من أجل سرقة قطعة من أسماك التونة، ولا لاستراق السمع من السيدة ذات الأنف الكبير الذى أخفى وجهها. فهل أنا جاسوس؟! طبعًا لا، لا يمكن. فأنا أعتقد أن أسوأ أنواع العمل فى هذه الدنيا هو العمل كجاسوس أو مُرابٍ جشِع. طبعًا فى إحدى المرات التى تسللت فيها إلى قصر السيد "أبو الدهب"، استخدمت القدرات الشيطانية التى تتميز بها القطط من أجل مساعدة السيد "القمر البارد"، ولكنها كانت مرة واحدة فقط، بعدها لم أقم بشىء مشين يُشعرنى بالخجل أو عذاب الضمير. وسيسألنى سائل: إذًا لماذا استخدمت كلمة "تسلل" التى جعلتنا نتشكك ونرتاب فيك؟ فأقول إن هذا وراءه فكر عميق، فأنا أعتقد أن الفضاء خُلِق كى يحيط بجميع الكائنات، وأن الأرض خُلِقت كى تحمل جميع الكائنات، وطبيعى ألا ينكر أحد هذه الحقيقة مهما كان غبيًا. وإذا سألنا: هل اشترك الإنسان بقيد أنملة فى خلق هذا الفضاء وهذه الأرض؟ فستكون

الإجابة طبعًا "لا"، وبالتالى فليس من حق الإنسان أن يقرر امتلاك ما لم يخلقه، ومع ذلك لا يهمنى أن يقرر امتلاك ما لم يخلقه، لكن ليس من حقه أن يمنع الآخرين من الدخول أو الخروج مما اعتبره ممتلكاته.. يظن الإنسان نفسه ذكيًا، فيقيم أسوارًا أو يضع علامات تحدّد أن هذا الجزء من الفضاء ملك فلان، وهذا ملك عِلّان، فبما أنه قسّم الأرض إلى أجزاء وحدد سعر البيع للمتر بكذا، إذًا فليقسّم الهواء الذى نستنشقه إلى أجزاء ويحدد سعر بيع المتر المكعب بكذا! وإن كان لا يستطيع تقطيع الهواء إلى أجزاء وعرضه للبيع، ولا يستطيع وضع أسوار أو علامات فى الفضاء تميز نصيبه من غيره، فإن امتلاكه للأرض التى يعلوها الفضاء أيضًا غير منطقى، وبناء على ذلك فإنه من حقى أن أدخل إلى أى مكان، ومن حقى ألا أذهب إلى مكان لا أرغب فى الذهاب إليه، ومن حقى أن أذهب إلى أى مكان سواء كان فى الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب، وأن أسير متبخترًا وبوجه مَن يفعل شيئًا عاديًا، وبالتالى ليس هناك ما يجعلنى أصرف النظر عن الذهاب إلى قصر السيد "أبو الدهب". ولكن للأسف الواقع مر؛ بدليل أن المثل يقول "القوى يضع القوانين"، ولذلك وإن كان ما أعتقده منطقيًا، فإن منطق القطط لا يُفعّل، وإذا حاولنا تطبيقه بالقوة فسألاقى مصيرًا كمصير القط "أسود" المرافق لسائق العربة، الذى ضُرِب بعمود الميزان الحديدى.. المنطق فى صفى نعم، لكن القوة فى صف الإنسان، وليس أمامى إلا أن أنسى المنطق وأتبع ما يقرره الإنسان، إلا عندما أكون بعيدًا عن أعين الإنسان فأطبق منطقى الذى أؤمن به، وبالطبع اخترت هذا الحل الثانى، فلم

يكن أمامي ألا أن أتسلل كي أتجنب الضرب بالعمود الحديدي للميزان، فإذا لم يكن دخولي إلى منازل الآخرين بالتسلل يسبب لهم متاعب، فسأدخل بهذه الطريقة إذا كنت مضطرًا إلى ذلك، وعليه فقد تسللت إلى قصر السيد "أبو الدهب".

تسللت كثيرًا إلى قصر السيد "أبو الدهب"، وإن لم تكن عندي نية للتجسس على أهل القصر، ولكني شاهدت أشياء لم أكن أريد أن أشاهدها، وحُفِرت داخل ذاكرتي أشياء لم أُرِد يومًا أن أتذكرها، فمثلاً عندما كانت السيدة "منخار" تنظف وجهها، كانت تحرص دائمًا على تنظيف منخارها بعناية فائقة عن بقية أجزاء وجهها. وابنتها "طوميكو" لا تتوقف عن تناول الكعك الياباني. أما أنف السيد "أبو الدهب" فهو غائر جدًا على عكس منخار زوجته شديد البروز، وليس الأنف فقط هو موضع الاختلاف، بل الوجه كله، فعندما كان طفلاً تشاجر مع طفل آخر ضخم قوي جدًا، فأمسك ذلك الطفل برقبته ودفعه بكل قوته إلى الحائط، فاصطدم وجهه بالحائط صدمة شديدة لها أثرها الواضح عليه إلى اليوم، رغم مرور أربعين عامًا على ذلك، فوجهه مستوٍ لدرجة غريبة، وجه هادئ لا ينم على خطر، ولكن ملامحه غير قابلة للتغير، فمهما غضب لا تتغير ملامح وجهه. وعندما يتناول السيد "أبو الدهب" أسماك التونة النيئة يطبِّل على صلعته من فرط السعادة. وليس وجهه وحده الغريب، بل قامته أيضًا منخفضة، ومع ذلك يرتدي دائمًا قبعة عالية وقبقابًا مرتفعًا، وطالما يسخر سائق العربة من مظهره هذا أمام الخدم الصغار، فيمدح الخدم السائق على قوة ملاحظته. وثمة أشياء أخرى كهذه لا حصر لها.

فى الفترة الأخيرة كنت أتسلل من جانب باب المطبخ إلى الحديقة، وأقف بجانب التل الموجود بها، وأنظر فى كل الاتجاهات، فإذا وجدت الأبواب والنوافذ مغلقة والجو هادئًا، دخلت إلى القصر، فإذا سمعت أصوات أهل المنزل وخشيت أن يشاهدونى من حجرة الضيوف، مررتُ شرقًا من جانب البحيرة وسرت بجانب دورة المياه، ثم أسفل الشرفة إلى داخل القصر، ولكنى لا أتذكر أننى فعلت شيئًا سيئًا أبدًا يجعلنى أتخفى أو أخاف. ولكن -فرضًا- إن كان حظى سيئًا وقابلت الشخص الذى لا يستطيع أحد توقع تصرفاته، فسأتراجع وأفر من حيث أتيت. فلو أصبح أغلب البشر أشرارًا مثل "كوماساكا تشوهن" الذى هو زعيم عصابة كبيرة، فإن أى شخص على خلق سيتصرف مثلى. وبما أن السيد "أبو الدهب" رجل أعمال كبير ومشغول فلن ينتبه إلى مثلى، وللأسف يبدو أن مَن هم على خلق يتصورون أن جميع الناس مثلهم، وكذلك الحال عند القطط، وبالتالى يجب على أى قط -حتى القط الخلوق- أن يكون فى منتهى الحرص حين يحاول دخول قصر السيد "أبو الدهب"، فلو لم أكن أحس بالخطر عند دخولى أو خروجى من بوابة المنزل لدخلت وخرجت منها. فى الحقيقة يعترينى شوق إلى معرفة المخاطر التى سأعرض نفسى لها إذا فعلت ذلك، فإن استطعت فعلها فسأبحث تلك المخاطر جيدًا ثم أعلن نتائج ما توصلت إليه.

ثم سألت نفسى: كيف حال القصر اليوم! ثم وضعت ذقنى فوق العشب المزروع أعلى التل ونظرت فى كل اتجاه، فوجدت حجرة الضيوف، ومساحتها نحو 25 مترًا مربعًا،

مفتوحة، وكنا فى فصل الربيع وبالتحديد فى شهر مارس، ويجلس السيد "أبو الدهب" وزوجته وضيف داخل حجرة الضيوف يتبادلون الحديث، ومن سوء حظى أن منخار السيدة "منخار" كان متوجهًا ناحيتى، يتجاوز نظره البحيرة ليستقر على وجهى، كان نظَرَ غضبٍ وتحدٍ، وقد كانت هذه أول مرة أشاهد منخارًا غاضبًا، ولحسن حظى استطعت رؤية وجه السيد "أبو الدهب" من الجانب، حيث كان يتوجه بوجهه إلى الضيف يحدثه، وقد كان نصف وجهه كالعادة مستويًا، لكن أنفه لم يظهر لى على الإطلاق، ولكن لوجود شارب أبيض متناثر هنا وهناك بعشوائية، يتخلله بعض الشعر الأسود، أستطيع استنتاج أن هناك فتحتين فوقه. كان نسيم الربيع يداعب وجهى فأشعر براحة كبيرة وأطلق العنان لخيالى. وكان مظهر الضيف عاديًا أكثر من السيد والسيدة بكثير، كان عاديًا جدًا لدرجة أنه لا شىء مميزًا فيه لأصفه لكم، يكفى أن نصفه بأنه شخص عادى المظهر، شخص عادى جدًا، بل هو مسكين وأقرب إلى متسول، المفروض أن يُستقبل فى مكان عادى جدًا. أنا مدهوش أن شخصًا مثل هذا تجرأ ووُلِدَ فى عصر "ميچى" عصر العظماء. وكالعادة ذهبت إلى أسفل حجرة الضيوف، فإنى إذا لم أفعل فلن أستطيع سماع ما يقولون.

قال السيد "أبو الدهب": "ولذلك ذهبت زوجتى خصوصًا إلى منزل ذلك الأستاذ للسؤال عن السيد القمر البارد...".

قال ذلك كالعادة بطريقتهم المتكبرة، ولكن بنبرة متساوية لا ترتفع ولا تنخفض.. صوته مستوٍ جدًا مثل وجهه.

فقال الضيف: " إذًا، لقد كلمها الأستاذ عن السيد القمر البارد، هذا عظيم، المعرفة تفيد فى مثل هذه الحالات، عظيم عظيم".

فقال السيد "أبو الدهب": "ولكن عطسة لم يفِدنا فى شىء".

فنظر الضيف ناحية السيدة "منخار" ثم قال: "نعم، هو لا يفيد فى أى شىء، حين كان زميلى فى المسكن، كان كلامه دائمًا غير واضح، أكيد أن حضرتك شعرتِ بالضيق من ذلك".

وإذا بالسيدة "منخار" تطلق رياحًا عاتية من منخارها كالعادة وتقول:

"طبعًا شعرت بالضيق، أنت يا زوجى لم تشعر بضيق لعدم وجودك معى وقتها، إنها أول مرة فى حياتى أتعرض لمعاملة سيئة بهذا الشكل".

فقال الضيف مؤيدًا كلامها: "أكيد أنه أساء الحديث إليك، رغم أنه أستاذ ويدرس مادة القراءة كل يوم منذ عشر سنوات فإنه غبى منذ صغره، أكيد أنك فهمتِ ذلك عندما قابلتِه".

فقال السيد "أبو الدهب": "إنه فظيع، كلما سألته زوجتى عن شىء اعترض وغضب وصاح ككلب ينبح".

فقال الضيف فى سعادة غامرة: "هذا تصرف غير لائق، يتصرف بخيلاء لأنه صاحب عِلم، ولأنه فقير يحقد على الأغنياء، كم فى هذه الدنيا من أناس يتصرفون بغرابة هكذا، إنهم فاشلون فى أعمالهم ويعتقدون أن الأغنياء سبب فشلهم، كأن الأغنياء نهبوا ثرواتهم، ها ها ها".

وأضاف السيد "أبو الدهب": "للأسف كان وقحًا لدرجة لا يتخيلها أحد، أكيد أن ذلك بسبب تقوقعه، إنه لا يخالط الناس، وبالتالى لا يعرف كيف يتعامل معهم بأسلوب لائق، ولكننى تعمدت إيذاءه كى يكون درسًا له فيتعلم معاملة الناس باحترام".

فاستقبل الضيف كلامه مؤيدًا ما فعله حيث قال: "فعلت الصواب، وأكيد أن ما قلته له أثر فيه، وسيعلّمه شيئًا مفيدًا له".

فقالت السيدة: "ولكن أتعرف يا سيد سوزوكى أنه شخص غبى؟ فعلاً هو كذلك، عندما يكون فى المدرسة لا يتحدث أبدًا مع صديقينا الأستاذ فوكوتشى والأستاذ تسوكى، وكنا نعتقد أنه تعلم من الدرس الذى أعطيناه إياه، ولكن للأسف لم يحدث ذلك، فمنذ عدة أيام جرى خلف خادمنا بعصا يريد أن يضربه! أليس غريبًا أن يكون قد تخطى سن الثلاثين ويأتى بتصرفات طائشة كهذه! أكيد أصابته نوبة جنون".

ولكن بدت على الضيف الدهشة مما سمع فقال: "ألهذه الدرجة؟! ولكن ما الذى دفعه إلى ذلك التصرف العنيف؟".

فقالت: "يبدو أن الخادم قال شيئًا ما عندما كان يمر أمام منزل عطسة، فإذا به يخرج مسرعًا حاملاً عصا، يجرى وراءه حافى القدمين. ولو افترضنا أن الخادم قال له ما لا يليق.. فإن الخادم مجرد طفل، وعطسة رجل كبير ذو لحية، وفوق ذلك كله هو معلم، أليس كذلك؟".

فقال الضيف: "هذه ليست تصرفات معلمين".

وإذا بالسيد "أبو الدهب" يقول هو أيضًا: "نعم، إنه معلم".

ويبدو أن الثلاثة توصلوا معًا إلى استنتاج واحد، أنه إذا أُهِين الأستاذ "عطسة"، فيجب أن يقف كالصنم، يصمت ولا يرد على الإهانة.

ثم قالت: "وفوق ذلك فإن الرجل الذى يُدعى البروفيسور الفشار إنسان فاسد، يكذب كثيرًا، وكذبًا لا ينفع. أول مرة أقابل شخصًا غريبًا إلى هذه الدرجة".

فقال الضيف: "ميتيه! إنه كذاب كبير، دائمًا يبالغ فى كلامه، أنت قابلتِه عند عطسة! إنه إنسان لا يُطاق، كان زميلى فى المسكن منذ مدة كبيرة، وكنا نطهو الطعام معًا، ولكنى كنت أتشاجر معه كثيرًا".

ثم قالت: "طبعًا أى شخص مكانك كان سيغضب منه ويتشاجر معه، طبعًا هناك مواقف يكذب أى شخص فيها، عندما تكون علاقته سيئة مثلاً مع من يتحدث، أو مضطرًا إلى مجاراته فى حديثه، لكن ذلك الرجل ظل يكذب طوال اللقاء دون سبب منطقى يضطره إلى ذلك! كان كذبه واضحًا، يقول كلامًا فارغًا أدهشنى، ولا أعلم ماذا يبغى من وراء ذلك الكذب".

فقال الضيف: "أسوأ أنواع الكذب، هو الكذب الذى يؤدى إلى إثارة مشكلات، إنه يهدف إلى إثارة المشكلات فقط لا غير".

فقالت: "للأسف لقد ذهبت إلى منزل عطسة وكنت جادة فى السؤال عن السيد القمر البارد، ولكنى لم أستطع الوصول إلى

هدفى، فشعرت بالغضب والضيق، ومع ذلك فالاحترام احترام، ولذلك فقد أرسلت له بعد ذلك دستة زجاجات جعة مع سائق العربة كشكر على استقباله لى، ولكن هل تعرف ماذا قال له؟ قال: لا سبب يجعلنى أقبل هذه الأشياء، ارجع بها من حيث أتيت. فقال له سائق العربة: إنها هدية، من فضلك خذها، ليس من اللائق أن ترفضها. فقال له: أنا أتناول كل يوم مربى ولكن لم يسبق لى أن تناولت شرابًا مُرًا كالجعة. ثم أغلق الباب فى وجه السائق ودخل منزله، فما رأيك فى ذلك؟ أليس عدم احترام؟".

فقال الضيف وهو يشعر فعلاً أن تصرف الأستاذ "عطسة" غير مهذب: "هذا تصرف سيئ جدًا".

وهنا قطع السيد "أبو الدهب" حديثهما قائلاً: "ولذلك دعوتك للحضور اليوم".

ثم قال وهو يطبل على صلعته كالعادة بينما يتناول أسماك التونة النيئة: "لقد تصورنا أن مضايقة ذلك الأحمق بطريقة غير مباشرة سوف توصلنا إلى مرادنا، ولكن ذلك لم يحدث".

وبالطبع بما أننى كنت تحت الشرفة التى يجلسون فوقها يتحدثون، لم أستطع رؤية السيد "أبو الدهب" يطبل على صلعته، ولكنى اعتدت سماع صوت التطبيل هذا كثيرًا فى الفترة الأخيرة، وكما الراهبة تميز بمهارة صوت الطبلة التى يستخدمونها فى طقوسهم عن بقية الأصوات الأخرى، أستطيع بمهارة تمييز تطبيل السيد "أبو الدهب" على صلعته عن أى أصوات أخرى.

ثم قال السيد "أبو الدهب": "ولذلك فكرت أن أطلب مساعدتك، وإن كنت أعلم أن ذلك سيسبب لك المتاعب".

فأبدى الضيف سعادته لاستعانة السيد "أبو الدهب" به، وقال: "إذا كان هناك ما ترى أننى أستطيع فعله كى أساعدكم فى هذا الأمر فطبعًا لن أتأخر، اطلبا منى ما تريدانه دون تردد، فلولا مساعدتكما لى لما استطعت العودة إلى العمل فى المقر الرئيس لشركتى هنا فى طوكيو".

ومن كلام الضيف يتضح أن السيد "أبو الدهب" وزوجته لهما أفضال على الضيف، ويبدو أن الموضوع يتطور ويصبح أكثر جاذبية، والجو اليوم جميل، ولقد حضرت بالصدفة، فلقد خطر على بالى فجأة أن أحضر، لم أكن أخطط لذلك مقدمًا، ولم أتوقع أن أحصل أبدًا على معلومات مهمة كهذه، مثلى كمثل جائع شديد الجوع ذهب إلى المعبد للصلاة، فوجد راهبًا يدعوه إلى وليمة من كعك أرز لذيذ، فقلت لنفسى وأنا تحت الشرفة: ما الذى سيطلبه السيد "أبو الدهب" من الضيف؟! فوجهت أذنى جيدًا ناحيتهم، واستعددت كى أنصت جيدًا لما سيقوله.

قال السيد "أبو الدهب": "إن ذلك الرجل غريب الأطوار المدعو عطسة -وإن كنتِ لا أعلم لمَ يفعل ذلك- ولكنه ينصح القمر البارد بطريقة غير مباشرة بألا يتزوج ابنتى، أليس كذلك يا زوجتى؟".

فقالت: "لا ينصحه بطريقة غير مباشرة، بل يقول له صراحة ألا يتقدم أبدًا لزواجها، ويقول له إنه لا يوجد فى أى مكان غبى يقبل الزواج بالآنسة طوميكو (ثرية) ابنة هذا الرجل".

فقال السيد "أبو الدهب": "إنه رجل عديم الأدب، هل سمعتِه يقول ذلك الكلام الوقح؟".

فقالت: "لم أسمعه، ولكن بلغنى من زوجة سائق العربة أنه قال ذلك".

فقال السيد: "ما رأيك فى هذا الكلام يا سيد سوزوكى، لقد أصبح خطيرًا كما سمعت، ألا توافقنى الرأي؟".

فقال الضيف: "شىء يضايق، هذه أمور خاصة لا يجب أن يتدخل فيها شخص ليس له علاقة بها. مفترَض أن عطسة يعى من نفسه شيئًا مثل هذا. أنا مدهوش من تصرفاته ولا أعرف ماذا حدث له!".

فقال السيد "أبو الدهب": "لقد علمت أنك كنت زميله فى المسكن عندما كنتما طالبين، وأن علاقتكما كانت قوية وقتذاك، ولذلك أريد أن أطلب منك أن تقابله وتوضح له النفع والضرر من التدخل فى أمر زواج ابنتنا. ورغم أنه الغاضب لا نحن، وهو المخطئ لا نحن، إذا تراجع عن تصرفاته فسنساعده فى تحسين معيشته، ونمنع عنه الأذى، ولكن إذا أصر على سلوكه هذا، فسيكون لنا معه تصرف آخر! وسيكون هو من يخسر".

فقال الضيف: "كما تقول سيادتكم، فإن معارضته الغبية هذه لن تجلب له إلا الخُسران، ولن يحصل منها على أى منفعة، سأشرح له هذا جيدًا".

ثم أضاف السيد "أبو الدهب": "وعلى فكرة، كثيرون تقدموا لخطبة ابنتنا ولكننا لم نقرر أن نزوجها بالسيد القمر

البارد، ربما نفعل ذلك وربما لا، ولكننا سمعنا أنه على قدر جيد من التعلّم، وشخصيته جيدة، فإذا كان يجتهد فى الدراسة وسيحصل على درجة الدكتوراه قريبًا، أو اقترب مستواه العلمى من الحصول عليها، فستكون له الأولوية فى الفوز بابنتنا".

فقال الضيف: "وإذا قلنا ذلك فسيكون حافزًا للسيد القمر البارد كى يجتهد فى دراسته، لقد فهمت جيدًا ما تريد سيادتك".

وأضاف السيد: "ولكن هناك شيئًا يقلقنى، وهو أن السيد القمر البارد دائمًا ما ينادى غريب الأطوار عطسة ذلك بأستاذى، وعادة ينفذ ما يقوله له، ولكن بما أن هناك كثيرين من راغبى الزواج بابنتى، بصرف النظر عما يقوله له عطسة، فإننى بالطبع لن أفرض على القمر البارد أن يفعل ما لا يراه".

وإذا بالسيدة "منخار" تقول: "أشعر بالشفقة على السيد القمر البارد من تصرفات ذلك الغبى".

فقال الضيف: "لم يسبق لى أن قابلت السيد القمر البارد، ولكنى أتوقع أن تكون ابنتكم سعيدة معه مدى الحياة، وبالطبع هو أيضًا سيكون كذلك".

فردت السيدة: "نعم السيد القمر البارد يرغب فى الزواج بها ولكن العقبة فيما يقوله هذان الشخصان غير الطبيعيين، عطسة والفشار".

فقال الضيف: "إنها تصرفات لا تليق بشخصين متعلمين تعليمًا جيدًا مثلهما، سأذهب وأتحدث مع عطسة فى هذا الموضوع".

فقال السيد: "نعم أرجوك، وبما أن زوجتى عندما ذهبت إلى عطسة الذى يعرف القمر البارد جيدًا، لم تستطع الحصول منه على أجوبة لأسئلتها عن القمر البارد، فأرجو أن تسأله أنت عن القمر البارد، وخاصة عن مستواه العلمى".

فقال الضيف: "سمعًا وطاعة، اليوم السبت إجازة، وبالتأكيد سيكون فى منزله، ولكنى لا أعلم أين يسكن الآن".

فقالت السيدة "منخار": "عندما تخرج من منزلنا سر فى خط مستقيم إلى الأمام، ثم انحدر يسارًا، اترك المنزل الأول ومنزله هو الثانى، إنه محاط بسور متهالك أسود اللون".

فقال الضيف: "إذًا هو جاركم، وعليه تسهل معرفة مكان المنزل، سوف أمر عليه فى طريق عودتى. عمومًا سأعرف المكان عندما أقرأ اللافتة التى تحمل اسمه على مدخل المنزل".

فقالت السيدة: "أحيانًا تكون معلقة وأحيانًا لا، إنه يلصق بطاقة تعارف ورقية بصمغ على المدخل، فإذا هطلت الأمطار ذابت البطاقة وسقطت، فإذا تحسن الجو لصق بطاقة أخرى، فلا يجب أن تعتمد على البطاقة لتهتدى إلى المنزل. لا أدرى لمَ يتعب نفسه فى لصق بطاقة بعد أخرى، بدلا من لافتة خشبية! إنه لا يحسن التفكير حتى فى أبسط الأمور".

فرد الضيف: "شىء غريب، ولكن إن سألتُ عن منزل سوره محطم وأسود اللون فغالبًا سأعرف".

فقالت: "نعم، فليس هناك منزل قذر فى المدينة غيره، ولذلك ستعرف، وإذا لم تعرف فهناك حل جيد، أن تنظر أعلى المنازل،

فإذا وجدت منزلاً تنمو على سطحه أعشاب كثيرة فاعلم أنه منزله".

فقال الضيف: "يبدو أنه منزل مختلف عن بقية المنازل، منزل غريب، ها ها ها".

شعرت أنه ليس من اللائق أن يشرفنا السيد "سوزوكى" بالحضور إلى المنزل ولا أكون فى استقباله، كما أن ما سمعته إلى الآن من محادثة بين تلك الأطراف كافٍ بل أكثر من كاف، فسرت من تحت الشرفة ومررت غربًا من عند دورة المياه، ثم خرجت من جانب التل كما دخلت، ورجعت بسرعة إلى المنزل الذى تنمو على سطحه الأعشاب، فدخلت ومررت على شرفة حجرة الضيوف متجاهلاً الجميع.

كان اليوم ربيعيًا جميلاً، وكان الأستاذ "عطسة" قد فرش بطانية من صوف بيضاء فى الشرفة ونام عليها كى يأخذ حمام شمس، وقد كانت أشعة الشمس على غير ما توقعته.. كانت عادلة، كانت تسقط أيضًا على المنزل المتهالك الذى ينمو فوق سطحه نبات "كيس الراعى" فتدفئه، مثلما تسقط على حجرة الضيوف بقصر السيد "أبو الدهب" وتمده بالدفء. لكن للأسف، كان الشىء الوحيد غير المناسب للربيع هو البطانية الصوف، لا شك أن المصنع قصد أن تكون بيضاء، وبائع البضائع الصينية المستوردة باعها على أنها بيضاء كذلك، والأستاذ "عطسة" نفسه اشتراها على أنها بيضاء، ولكن عَصْر بَياضِها ولّى منذ ثلاثة عشر عامًا، وقد تحولت الآن إلى اللون الرمادى القاتم، لا أعلم إن كان عمرها سيطول حتى تصير إلى الأسود القاتم! إنها

لم تعد تتكون من مجموعة خيوط متشابكة بعضها فى بعض، وإنما تناثرت الخيوط، فهناك فراغات بين خيوطها الرأسية وخيوطها الأفقية كفراغات كراسة المربعات، بحيث لم يعد لائقًا أن نسميها "بطانية"، مبالغة أن نطلق عليها "بطانية".. الأنسب أن نختصر الحروف الدالة عليها، فلا نقول "بطانية"، وإنما "طِينة"، وإن كان الأستاذ "عطسة" يرى أنه من الطبيعى أن نظل نستخدم الشىء عامًا وعامين وخمسة أعوام وعشرة أعوام، بل ونستخدمه مدى الحياة. طبعًا كلام ساذج جدًا.

حسنًا..كما قلت سابقًا، كان ينام على بطنه فوق البطانية التى ابتلانا بها الإله، ولكن ماذا كان يفعل؟ كان يضع ذقنه فوق كلتا يديه وبين أصابع يده اليمنى سيجارة، هذا فقط ما كان يفعله. ربما لو تسللنا إلى عقله لوجدناه مهمومًا بالتفكير فى الكون، وما يتعلق به من الحقائق، وأسباب الوجود، ولكنّ نظرة إليه من الخارج تقول إنه مستحيل -ولو حتى فى الأحلام- أن يكون مهمومًا بالتفكير فى ذلك.

وكانت نار التبغ تقترب من فمه، وقد تراكم الرماد فأصبح كالعامود وتساقط على البطانية، لكنه لا يعبأ بكل هذا، كان منشغلاً فقط بالنظر إلى نهاية الدخان الصاعد من احتراق التبغ، فقد كان الدخان يرتفع وينخفض ويتشكل فى دوائر، ويمر خلال خصلات شعر زوجته الأحمر بفعل رياح الربيع.

آه، لقد نسيت أن أحدثكم عن زوجته، وكانت الأجدر بأن أبدأ بها.

عمومًا كانت الزوجة تجلس موجهة مؤخرتها إلى وجه زوجها، وقد يقول قائل: "ماذا؟ أليست قلة حياء أن تجلس هكذا؟".

لكن في الواقع هذا السلوك ليس دليل قلة حياء، فتفسير الحياء أو قلة الحياء يرجع إلى كل زوج وزوجته، وعليه فلا توجد مشكلة، الزوج يستلقى متوجهًا إلى مؤخرة الزوجة وهو يضع وجهه على كلتا يديه، والزوجة توجه مؤخرتها المبجلة إلى وجه زوجها، وكلاهما يفعل ذلك بطريقة عادية كأنه لا غريبَ يحدُث، وبالتالى ليست هناك قلة حياء ولا يحزنون.. كلاهما بعد الزواج -وقبل أن يتما عامهما الأول- ترك العادات والتقاليد التى تقيّدهما بأن يتعامل كل منهما باحترام مع الآخر، وواضح أنها استغلت جو اليوم الجميل، فغسلت شعرها الجميل الذى يزيد طولاً على 40 سنتميترًا، دعكًا بالأعشاب البحرية حمراء اللون والبيض النيئ، وتدلى شعرها فى استقامة على كتفها إلى مؤخرتها، وجلست فى صمت تحيك سترة أطفال دون أكمام، وفى الحقيقة قد أخرجت البطانية الصينية وصندوق أدوات الحياكة، وجلست بمؤخرتها فى وجه زوجها الذى تحترمه، كى تترك شعرها المغسول يجف، أو ربما زوجها هو الذى جلس ووجهه ناحية مؤخرتها لسبب ما، أما دخان التبغ الذى يخرج من فم زوجها، فقد كان يتخلل بكثافة ثنايا شعرها الطويل، وكان زوجها شارد الذهن، يشاهد بتركيز الدخان وهو يتخلل شعرها بطريقة عادية، كأنه ينظر إلى ضباب يتصاعد من أرض بعد هطول الأمطار، ولم يكن الدخان يتلاشى عند حد معين، بل يتصاعد لأعلى ثم لأعلى، فحرك زوجها عينيه ناظرًا

إلى هذه الظاهرة الفريدة، ظاهرة اختلاط الدخان بالشعر، فبدأ بمشاهدة تسلل الدخان إلى شعرها من جهة مؤخرتها، ثم مروره بمنطقة وسطها، ثم ارتفاعه إلى الكتفين، فالرقبة، إلى أن وصل إلى قمة رأسها، وهنا دُهِشَ لما شاهد، فلقد كان فى وسط رأس زوجته -التى أقسم على أن يعيش معها فى شبابه وشيخوخته، وأن يُدفن معها بعد موته فى نفس القبر- بُقعة دائرية تخلو من الشعر، وعلاوة على ذلك كانت تلك البقعة تعكس أشعة الشمس الدافئة فتتلألأ، وبمجرد أن وقف الزوج على هذا الاكتشاف العجيب، تسمّرت عيناه دهشة بتلك المنطقة الصلعاء، ولم يعبأ بأشعة الشمس الناصعة التى بهرت عينيه وأعجزته عن فتحهما، بل عندما شاهد زوجها تلك البقعة الصلعاء، كان أول ما تبادر إلى ذهنه ذلك الطبق الذى يوضع فى وسطه شمعة ويودَع كزينة فى المصلى الموجود فى منزله منذ زمن أجداده، فعائلته تدين بمذهب "الحقيقة"، وقد اعتادت أن تزين المصلى بأشياء ثمينة تفوق مستواها المادى، ففى طفولته كان بمخزن منزلهم صندوق كبير مصفح بالذهب، يتدلى داخله طبق نحاسى أحمر لوضع الشمعة، وكانت الشمعة دائمًا مشتعلة حتى فى وقت الظهيرة، والطبق يتلألأ بما يحيط به من ضوء، بينما كان سائر المكان مظلمًا. ولسبب ما ذكّرته صلعة زوجته بذاك الطبق الذى تنتصب فى وسطه شمعة حينما كان طفلاً، ثم اختفى طيف الطبق من خياله، وتذكّر منظر الحمام الذى يرفرف فى المعبد، ورغم أنه لا علاقة أبدًا بين حمام المعبد وصلعة زوجته، كانت ثمة صلة وثيقة بينهما فى مخيلة زوجها، فقد كان فى فترة طفولته يذهب

إلى منطقة أصاكوصا asakusa حيث المعبد، وكان دائمًا يشترى فولاً كى يطعم الحمام، وكان ثمن طبق الفول قطعتين نقديتين نحاسيتين، والطبق كان مصنوعًا من الفخار الأحمر، وهو من حيث اللون والحجم يشبه صلعة زوجته.

ثم قال فى دهشة: "فعلاً متشابهتان".

فردت زوجته دون النظر إليه: "عمّ تتحدث؟".

فقال: "عمّ أتحدث! عن الصلعة فى رأسك، هل تعلمين بوجود صلعة فى رأسك؟".

فأجابت وهى مستمرة فى الحياكة: "نعم".

لم يبدُ عليها الهلع أو التوتر إطلاقًا، فهى نموذج للزوجة التقليدية.

فقال فى نفسه: "إذا كان هذا الصلع موجودًا من قبل أن نتزوج، فهذا يعنى أنها خدعتنى". ثم سألها: "هل ذلك من قبل أن نتزوج أم ظهر بعد الزواج؟".

ففهمت جيدًا ما يلمح إليه، ثم قالت: "لا أتذكر متى ظهر، ولا أظنه بالشىء المهم، أليس كذلك؟".

فقال كاظمًا غيظه: "كيف تقولين إنه شىء غير مهم؟! أليس رأسك أنت؟!".

فقالت: "قلت إنه غير مهم لأنه رأسى أنا، وأنا أرى ذلك".

ثم بدا عليها أنها بدأت تهتم، فوضعت يدها اليمنى على رأسها تتحسس موضع الصلعة، ثم قالت: "لقد زادت الصلعة جدًا، لم أكن أعرف ذلك".

وأخيرًا انتبهت إلى أن مساحة الصلعة لا تتناسب مع عمرها، إنها أكبر بكثير من عمرها.

ثم قالت محاولة الدفاع عن نفسها: "لأن السيدات المتزوجات يعقدن الشعر على شكل ذيل حصان، فإن شعر ذلك المكان يتساقط، وبالتالى فإن الصلع يصيب جميع السيدات المتزوجات".

فقال لها وهو يتحسس شعره: "لو كانت السيدات جميعًا يصَبن بالصلع بهذه السرعة، لأصبحن صُلعًا تمامًا فى سن الأربعين. أكيد أن هذا مرض، وقد يكون معديًا، يجب أن تذهبى بسرعة للفحص عند الطبيب أماكى".

فردت عليه فى غضب: "إذا كنت تعتقد ذلك عن الآخرين، فيجب أن تفكر فى نفسك، أليس هناك شعر أبيض فى أنفك! فإذا كان الصلع مرضًا معديًا، فإن الشعر الأبيض معدٍ كذلك".

فقال: "لا ضرر من وجود شعر أبيض داخل الأنف لأنه لا يُرى، أما إذا انتقل الصلع إلى بناتنا فهذه مصيبة لا أريد حدوثها. منظر بشع، إنها إعاقة جسدية".

فقالت: "إذا كنت تعتقد ذلك فلماذا تزوجتنى! إنك طلبتنى للزواج بناء على رغبتك، ثم بعد ذلك تقول إعاقة!".

فقال: "لأنى لم أكن أعلم ذلك، لم أعلم أبدًا ذلك إلا اليوم فقط، وبما أنك تتحدثين بتكبر هكذا، فلماذا لم تجعلينى أشاهد رأسك قبل الزواج؟".

فقالت: "ما هذا الكلام الأحمق؟! فى أى دولة يحدث أن يُعقد امتحان فحص رأس للعروس، فإذا نجحت تتزوج؟!".

فقال: "أستطيع أن أضغط على نفسى وأتحمل صلعك، ولكنك قصيرة القامة مقارنة بالطول الطبيعى، منظر بشع جدًا لا يمكن تحمله".

فقالت: "أليس طول القامة شيئًا يمكن معرفته فور رؤية الشخص؟! ألم تكن تدرك طول قامتى عندما حضرت لطلب يدى للزواج!".

فقال: "طبعًا عرفت، لا شك أننى علمت ذلك، ولكنى اعتقدت أن قامتك سترتفع بعد ذلك، وهذا جعلنى أوافق على أن أتزوجك".

فقالت: "هل هناك أحد تزيد قامته طولاً بعد سن العشرين؟! أتستخف بى؟!".

ثم ألقت فى وجهه السترة، واستمر الجدل العقيم بينهما إلى أن قال: "هل هناك قانون يقول ألا تطول قامة شخص بعد أن يصبح عمره عشرين؟! ثم إنه منذ أن تزوجتك وأنا أطعمك أطعمة مغذية، ولذلك كنت أتوقع أن تطول قامتك ولو حتى قليلاً".

وبينما هو ناظر إليها بملامح الجدية مستمرًا فى فلسفته هذه، إذا بجرس البوابة يرن بشدة، وصوت عالٍ ينادى أهل المنزل، وقد كان الطارق هو السيد "سوزوكى"، الذى وصل إلى مخبأ الأستاذ العظيم "عطسة" على هدى النباتات الموجودة فوق السطح.

أجّلت السيدة الخناقة إلى وقت آخر، وأسرعت بحمل صندوق أدوات الحياكة والسترة وهرولت إلى حجرة المعيشة، وحمل الأستاذ "عطسة" البطانية بسرعة وألقاها فى حجرة المكتب، ثم جاءت الخادمة تحمل بطاقة تعارف، وعندما قرأ الاسم المدون فيها بدت عليه الدهشة، وقالت له إنه طلب منها أن تعطيه البطاقة، فتركها وأخذ البطاقة فى يده ودخل إلى المرحاض وهو ممسك بها. لماذا أسرع بالدخول إلى المرحاض؟! إنه أمر غير واضح. ولماذا دخل المرحاض وهو ممسك بالبطاقة؟! إن شرح ذلك أمر صعب، وعلى أية حال فإن الذى حظِى بالمتاعب هو السيدة البطاقة، التى فُرِض عليها الدخول معه إلى ذلك المرحاض القذر.

وضعت الخادمة وسادة قطنية للجلوس مطبوعة عليها زخارف أمام ركن الزينة، وقالت للضيف: "تفضل اجلس هنا"، ثم خرجت. بعد ذلك تجول السيد "سوزوكى" فى الحجرة يشاهد ما بها، فتفحص فى ركن الزينة لوحة مقلدة مكتوبة عليها قصيدة "جاء الربيع فتفتحت الزهور" التى ألّفها راهب مذهب الزن "موكوأن"، وتفحص زهور الكرز فى مزهرية مصنوعة فى كيوطو، ثم التفت إلى الوسادة التى أعدتها الخادمة لجلوسه، ففوجئ بقط لا يعلم من أين جاء يجلس فوقها، لا شك

طبعًا أن ذلك القط هو حضرتنا، وأكيد فى ذلك الوقت غضب السيد "سوزوكى" فى داخله، ولكن ذلك الغضب لم يظهر على ملامح وجهه، فمما لا شك فيه أن تلك الوسادة قد وُضِعت كى يجلس عليها السيد "سوزوكى"، وأكيد أن الأمور التى فكر فيها السيد "سوزوكى" وجعلته يغضب هي أولاً: أنه لم يجلس على الوسادة التى وُضِعت لجلوسه، بل جلس عليها حيوان غريب دون استئذان. ثانيًا: أنه لو كانت الوسادة خالية، لكان السيد "سوزوكى" جلس على الحصيرة الصلبة وتحمل الجلوس عليها كتواضع، إلى أن يقول له الأستاذ "عطسة" تفضل بالجلوس على الوسادة، ولكن من ذا الذى بادر وقفز على الوسادة حتى دون أن يلقى عليه التحية؟! إذا كان إنسانًا يمكن الصفح عنه، ولكن لا يمكن الصفح عن قط. فالذى عكر صفو مزاجه أن الراكب على الوسادة قط. ثالثًا: أنه لم يشعر بالراحة حيال ذلك القط. فقد جلس على الوسادة التى ليس له الحق فى الجلوس عليها، وبطريقة عادية كأنه لم يرتكب خطأ، وينظر إلى وجه السيد "سوزوكى" نظرات باردة لا تنم على ترحاب، كأنه يقول له: "من أنت يا هذا؟".

وبما أنه يشعر بالضيق لهذه الدرجة، فالمفروض أن يمسكنى من قفاى ويلقى بى على الأرض، ولكنه لم يفعل ذلك، بل أخذ ينظر إلىّ فى صمت. مفترض أن الإنسان شجاع لا يخشى القطط ولا يخشى أن يضربها، فلماذا لا يفعل هو ذلك تنفيسًا عن غضبه؟ هذا لأنه إنسان يشعر بالاحترام تجاه نفسه، ولو أن الموضوع موضوع ضرب، فإن طفلاً طول قامته متر يستطيع أن يرمينى لأعلى ويتركنى أسقط أرضًا، ولكن من ناحية احترام

الذات، فإن السيد "سوزوكى" لا يستطيع تحريك قدميه أو يديه بما يغضب معالى القط الجالس فى وسط وسادة مساحتها نصف متر مربع، ولا يمكن أن يسمح الإنسان لنفسه بأن يتنازع مع قط على أحقية الجلوس على وسادة، حتى وإن كانا بعيدين عن نظر أى إنسان آخر، فليس من الرجولة أن يتشاجر الإنسان مع قط، وإذا حدث ذلك فسيكون أمرًا مضحكًا. ومن أجل أن يتجنب حدوث ما يضيع كرامته، فإنه يجب أن يتحمل قليلاً، ولكن تحمله هذا سيجعل كرهه للقط يزداد، وهذا ما جعله يشعر بالضيق كلما نظر إلىّ، ولكنى كنت مستمتعًا بالنظر إلى وجهه الغاضب منى، ولذلك تحاملت على نفسى وكتمت شعورى بالرغبة فى الضحك عليه، وتصنعت أننى لا أفهم ما تعنى نظراته لى.

وبينما يدور بينى وبين السيد "سوزوكى" نزاع صامت، إذا بالأستاذ "عطسة" يخرج من دورة المياه بعد أن جمَّل مظهره، ثم حضر فحيّا الضيف وجلس فى مكانه، ولكن لم يكن فى يده بطاقة التعارف، وهذا يعنى أن البطاقة حُكِم عليها بالنفى المؤبد فى مكان قذر. وبينما كنت أتخيل مصير البطاقة البشع، إذا بالأستاذ "عطسة" يقول لى: "يا غبى". ثم أمسكنى من قفاى وألقى بى إلى الخارج حيث الشرفة. ثم قال لصديقه القديم وهو يشير إلى الوسادة: "تفضل بالجلوس، هذه مفاجأة، متى حضرت إلى طوكيو؟".

فقلب السيد "سوزوكى" الوسادة على الوجه الآخر ثم جلس وقال: "لقد كنت مشغولاً جدًا، فلم أستطع أن أخبرك بأننى قد رجعت إلى المقر الرئيس للشركة هنا فى طوكيو منذ مدة".

فقال الأستاذ "عطسة": "هذا جيد، فأنا لم أقابلك منذ مدة طويلة، هذه أول مرة نتقابل بعد أن تركت طوكيو وذهبت إلى الريف".

فقال الضيف: "نعم، انتقلت إلى الريف منذ عشرة أعوام، ولكن كنت أحضر من حين لآخر، وكنت مشغولاً بكثير من الأمور فلم أستطع زيارتك، أكيد أنك تشعر بالضيق من ذلك، ولكن وظيفة رجل الأعمال تختلف تمامًا عن وظيفة التدريس، رجل الأعمال دائمًا مشغول للغاية".

فقال الأستاذ "عطسة" وهو يتفحص السيد "سوزوكى" من أعلى إلى أسفل جيئة وذهابًا: "لقد تغيرتَ كثيرًا جدًا مقارنة بك منذ عشر سنوات!".

نعم، كان منظره لا يوحى بأنه صديق الأستاذ "عطسة"، فقد صفف شعره بطريقة جميلة: فَرق فى وسط الرأس، وبدلة على الطراز الإنجليزى، ورابطة عنق أنيقة جدًا، وعلى صدره سلسلة ذهبية اللون لامعة لساعة جَيب.

وإذا بالأستاذ "عطسة" يفاجئه بسؤال قليل الحياء، فقال: "هل هذه السلسلة ذهب أصلى أم تقليد؟".

فقال السيد "سوزوكى" وهو يضحك: "ذهب عيار 18".

ثم أضاف: "لقد كبرتَ كثيرًا، أتذكر أن عندك بنتًا واحدة، أليس كذلك؟".

فقال الأستاذ "عطسة": "لا".

فقال الضيف: "هل هما اثنتان؟".

فقال الأستاذ "عطسة": "لا".

فقال الضيف: "فوق ذلك! إذًا ثلاث".

فقال الأستاذ "عطسة": "نعم، ثلاث، ولكن ربما يزدنَ بعد ذلك".

فقال الضيف: "كالعادة أنت تحب المزاح، وكم عمر الابنة الكبرى؟ أكيد أنها كبرت الآن".

فقال الأستاذ "عطسة": "نعم، لا أعرف بدقة، ولكن فى سن السادسة أو السابعة".

فقال الضيف ضاحكًا: "مهنة التدريس مريحة تجعل الشخص مسترخيًا، يا ليتنى عملت مدرسًا".

فقال الأستاذ "عطسة": "افعل ذلك وسوف تعرف إن كانت كذلك أو لا. ستكرهها بعد ثلاثة أيام فقط".

فقال الضيف: "أحقًا ما تقول! أليست مهنة جيدة! إنها مهنة محترمة وسهلة وتعطيك وقت فراغ فتدرس ما تحب، وإن كان العمل كرجل أعمال ليس سيئًا فهو عندى عمل غير مربح، يجب على رجل الأعمال أن يبذل مجهودًا كبيرًا حتى يصعد إلى أعلى، وإذا لم يفعل ذلك فعليه أن يجلس مع الكبار فيتملّقهم ويجاملهم.. عليه أن يقوم بأعمال حقيرة من أجل أن يستمر فى عمله".

فقال الأستاذ "عطسة": "أنا أكره رجال الأعمال منذ أن كنت طالبًا، إنهم يفعلون أى شىء مقابل الحصول على مال، رجل الأعمال شخص وضيع".

ثم انطلق فى الحديث عن مساوئ رجال الأعمال أمام صديقه رجل الأعمال.

فضحك السيد "سوزوكى" وقال:

"ليس لهذا الحد. ليس كل رجال الأعمال كما تصف. أكيد أن فيهم أشياء سيئة قليلة، ولكنّ هناك أمرين إن لم يكن عندك عزيمة قوية لفعلهما فلن تستطيع إتيانهما، وهما الانتحار وجمع المال، فالمال جذاب يغير القلوب، ولقد كنت عند رجال أعمال قبل أن أحضر إليك الآن، ولقد قالوا لى إنه لكى تجمع مالاً يجب أن تمتلك فن استخدام المثلث، مثلث الهروب من ثلاثة أشياء، الهروب من القيام بواجبك ناحية الآخرين، والهروب من التعاطف معهم، والهروب من الإحساس بالخجل. أليس كلامًا جذابًا يستحق التفكير فيه؟".

فقال الأستاذ "عطسة": "من الغبى الذى قال ذلك؟".

فقال السيد "سوزوكى":

"ليس غبيًا، بل إنه ذكى جدًا، إنه رجل أعمال مشهور، ألا تعرفه؟! إن قصره على ناحية التقاطع القريب من هنا".

فقال الأستاذ "عطسة":

"كانيدا! أهو الذى قال ذلك؟ ذلك الوضيع!".

فقال السيد "سوزوكى":

"يبدو عليك الغضب الشديد. ماذا حدث؟ إنه مجرد مزاح لا أكثر، مجرد تشبيه يوضح أن على الإنسان الذى يفكر فى

ادخـار المـال أن يفعـل ذلـك، لا يجـب التفكـير فى هـذا الـكلام بعمـق كـما تفعـل أنـت، خـذ الأمـر ببسـاطة".

فقال الأستاذ "عطسة":

"يمكـن أن أتقبـل أن فـن المثلـث مجـرد مـزاح، ولكنـى لا أسـتطيع تقبـل منخـار زوجتـه، بمـا أنـك ذهبـت إلى قـصره، فـما رأيـك فى منخـار زوجتـه؟".

فقال السيد "سوزوكى":

"تقصد حرمه؟ إنها إنسانة طيبة جدًا".

فقال الأستاذ "عطسة":

"المنخـار، أنـا أتحـدث عـن منخارهـا الكبـير، لقـد كتبـت شـعرًا مسترسـلا عـن منخارهـا منـذ أيـام".

السيد "سوزوكى":

"ماذا؟ شعرًا مسترسلاً! ماذا تعنى بذلك؟".

الأسـتاذ "عطسـة": "ألا تعـرف الشـعر المسترسـل؟ أنـت جاهـل جـدًا!".

السـيد "سـوزوكى": "الأشـخاص المشـغولون مثـلى لا يعرفـون شـيئًا عـن الأدب. وفـوق ذلـك أنـا غـير مغـرم بـالأدب منـذ صغـرى".

الأسـتاذ "عطسـة": "هـل تعـرف شـكل أنـف الملـك الرومـانى شـارلمان؟".

فضحك السيد "سوزوكى" وقال:

"يبدو أن لديك وقت فراغ كبيرًا، طبعًا لا أعلم".

الأستاذ "عطسة": "هل تعرف أن جنود القائد العسكرى الإيرلندى آرثر ويلزلى (دوق ولنجتون)، كانوا يسمونه أبا منخار؟".

السيد "سوزوكى": "أنت لا تتحدث إلا عن الأنوف، ماذا حدث لك؟ ما المشكلة فى أن يكون الأنف دائريًا أو مدببًا؟!".

الأستاذ "عطسة": "ليس الأمر هكذا إطلاقًا، هل تعرف الفيلسوف الفرنسى باسكال؟".

السيد "سوزوكى": "تسألنى هل تعرف هذا وذاك، كأنى حضرت من أجل دخول امتحان. حسنًا، ما موضع باسكال هذا؟".

الأستاذ "عطسة": "باسكال يقول الآتى...".

السيد "سوزوكى": "يقول ماذا؟".

الأستاذ "عطسة": "إذا كان أنف كليوباترا أصغر قليلاً، لغيرت وجه العالم تمامًا".

السيد "سوزوكى: "حقًا!".

الأستاذ "عطسة": "ولذلك لا يجب على شخص مثلك أن يستخف بأهمية الأنف ويسخر منه".

السيد "سوزوكى": "عمومًا سأفكر فى موضوع الأنف بجدية، ولنترك هذا الحديث وننتقل إلى سبب حضورى اليوم، فقد حضرت كى أتحدث عن شاب كان تلميذك، لا أتذكر اسمه الآن، ولكنه يأتى إليك كثيرًا".

الأستاذ "عطسة": "هل تقصد القمر البارد؟".

السيد "سوزوكى": "نعم إنه هو، القمر البارد، القمر البارد، لقد حضرت من أجل أن أسألك عن بعض الأشياء الخاصة به".

الأستاذ "عطسة": "هل تريد أن تسأل عن موضوع الزواج؟".

السيد "سوزوكى": "تستطيع أن تقول هذا، لقد كنت اليوم فى قصر السيد أبو الدهب".

الأستاذ "عطسة": "لقد حضرت زوجته بصحبة منخارها هنا منذ عدة أيام".

السيد "سوزوكى": "نعم هذا صحيح، وحرمه أخبرتنى بذلك، حضرَت من أجل السؤال عن القمر البارد، ولكن -للأسف- السيد ميتيه كان حاضرًا اللقاء، وقد تدخل فى الحديث وكان يمزح أحيانًا، ما جعلها لا تميز جيدًا بين الجد والمزاح، ولم تحتمل الاستمرار فى الحديث".

الأستاذ "عطسة": "المشكلة أنها جاءت بصحبة ذلك المنخار".

السيد "سوزوكى": "لم تكن أنت المشكلة، بل كانت فى وجود السيد ميتيه؛ فقد شعرت بالحرج من أن تسأل بحرية عن القمر البارد، ولذلك طلبت منى أن أحضر إليك كى أسألك عنه، وبالنسبة إلىّ لم يحدث سابقًا أن تدخلت فى أمور تخص الزواج، لأنها مسألة خاصة بكليهما، فإذا كان الطرفان يرغبان فى الارتباط معًا، فلن نخسر شيئًا إذا تدخلنا كى نقربهما من بعضهما. هذا هو الموضوع الذى حضرت إليك من أجله اليوم".

فرد الأستاذ "عطسة" ببرود: "شيء جميل أن تسعى فى إسعاد الآخرين".

ولكنه فى داخله قال لنفسه: ماذا يعنى بكلمة "مسألة خاصة بكليهما"، فلقد أشعرته بالقلق، وأحس بأن رياحًا باردة تدخل من كُمَّى ردائه إلى جسده رغم أنه فى مساء صيف حار محتبس الهواء. والأستاذ "عطسة" فى الأصل رجل بارد متحجر العقل ونقّاد، ولكنه هو الذى اختار لنفسه أن يصبح مختلفًا عن الآخرين، وأن يتأثر جدًا بحضارة باردة معدومة المشاعر الإنسانية، فإذا قال له شخص أى شيء، غلى فى داخله ثم ثار غضبًا، وأنا أعلم ذلك من معرفتى بما فى داخله.

الأستاذ "عطسة": "هل تريد أن تتزوج الفتاة بالقمر البارد؟ ليست مهمةً وجهةُ نظرى بالنسبة للسيد أبو الدهب أو منخار زوجته، ولكن المهم مشاعر الفتاة نفسها".

السيد "سوزوكى": "ماذا؟! مشاعرها! أليست تريد أن تتزوجه؟ إذًا أتصور أنها ترغب فى ذلك".

إجابة السيد "سوزوكى" لم تكن واضحة بدرجة كافية، فلقد كانت مهمته بأن يسأل عن السيد "القمر البارد" ثم يخبر السيد أبو الدهب وزوجته بما عرفه عنه، ولكنه حضر دون أن يتأكد من مشاعر الفتاة، يبدو أنه أطاع أوامرهما دون أن يفكر بعمق، إنه إنسان سطحى.

فهاجم الأستاذ "عطسة" دون أى داع السيد "سوزوكى" قائلاً: "أتصور! كلمة لا تدل بوضوح على معرفتك حقيقة مشاعرها".

"سوزوكى": "أنا آسف إذ عبّرت بطريقة غير واضحة، بالتأكيد ترغب الفتاة فى ذلك.. نعم هو كذلك. هذا ما قالته لى حرم السيد أبو الدهب، ولكن بدا أنها -فى بعض الأحيان- تنتقد السيد القمر البارد".

الأستاذ "عطسة": "هل تقصد أن الفتاة كانت تنتقد القمر البارد؟".

"سوزوكى": "نعم".

الأستاذ "عطسة": "هذه قلة أدب، ألا يدل هذا على أنها لا ترغب في أن تتزوجه؟".

السيد "سوزوكى": "يصعب أن نقول ذلك، لأن الحبيب أحيانًا ينتقد حبيبه، هذه هى الدنيا".

فقال الأستاذ "عطسة" معدوم الإحساس بالمشاعر الإنسانية: "وهل هناك إنسانة غبية مثل هذه فى أى مكان فى الدنيا؟!".

السيد "سوزوكى": "الأغبياء الموجودون فى الدنيا مثلها كثيرون، ولكن ما باليد حيلة، وحرم السيد أبو الدهب ترى ذلك، فلقد قالت إن ابنتها أحيانًا تتحدث عن السيد القمر البارد بالسوء فتقول إنه خاوٍ ومتردد، ومعنى ذلك أنها تفكر فيه وتريده".

ولم يتوقع الأستاذ "عطسة" إجابة مثل هذه، فلم ينطق بكلمة للتعليق، ونظر إليه بدهشة، فرأى السيد "سوزوكى" أن الاستمرار فى مناقشة ذلك الأمر مع الأستاذ "عطسة" سيؤدى إلى نتيجة سيئة، فحول موضوع الكلام إلى موضوع آخر يتقبله الأستاذ "عطسة".

السيد "سوزوكى": "لو فكرت فى كلامى ستجد أنه منطقى، بما أن عائلة الفتاة غنية جدًا وهى جميلة جدًا، يتمنى الجميع الزواج بها، أما السيد القمر البارد فهو ربما شخص عظيم ولكن من ناحية المنزلة، فأرجو ألا تسىء فهم كلامى إذا قلت إنه من ناحية المال لا يُناسب مستواه مستواها، ولكن عندما يطلب منى والداها أن أحضر إليك رغم انشغالى بمأمورية للشركة هنا، فيعنى هذا أن والديها يرغبان فيه لأن ابنتهما ترغب فيه".

وهكذا شرح السيد "سوزوكى" الأمر للأستاذ "عطسة" بطريقة منطقية جدًا، وشعر بالطمأنينة عندما شاهد الأستاذ "عطسة" مقتنعًا بكلامه، ولكنه إن توقف عن الكلام هنا وأعطى الأستاذ "عطسة" وقتًا للتفكير والمناقشة فلربما اعترض على كلامه وانتقد ما قال، فقرر أن يسرع فى الكلام وأن ينتهى بسرعة من مهمته التى جاء من أجلها. فقال:

"والسيد أبو الدهب وحرمه لا يريدان منه مالاً أو أملاكًا، ولكن بدلاً عن ذلك يريدان منه شهادة، أقصد بالشهادة أى وضع اجتماعى، وكى لا تفهمنى خطأ، أنا أقصد أنه إذا اجتهد وحصل على شهادة الدكتوراه فهذا يكفى. وعندما حضرت حرم السيد أبو الدهب إلى منزلك كان السيد ميتيه موجودًا، وتدخل فى الحديث، فلم يعجبها ما دار فى الجلسة من مناقشات، ولكن لم تقصد أنك السبب، ولقد مدحتك فقالت إنك إنسان صادق وشريف وموضوعى ولا تحب أن تجامل أحدًا، وأن السيد ميتيه أساء الكلام جدًا وكان السبب فيما حدث من سوء فهم بينكما، وأنه إذا استطاع السيد القمر البارد الحصول على

شهادة الدكتوراه فهذا سيكون سببًا كافيًا للافتخار والمباهاة به أمام الناس. فهل تعتقد أن السيد القمر البارد يمكن أن ينتهى من بحث الدكتوراه والحصول على الشهادة قريبًا؟ ما رأيك؟ بالنسبة إلى السيد أبو الدهب فهو لا يريد شهادة دكتوراه أو حتى ليسانس، ولكن لا يستطيع تزويجه بابنته دون سبب وجيه يقنع الناس".

وبهذه الطريقة اتضح أن طلب السيد أبو الدهب وحرمه أن يحصل السيد القمر البارد على شهادة الدكتوراه هو طلب منطقى، وإذا اقتنع الأستاذ "عطسة" بكلام السيد سوزوكى، فسيجيب سؤال إن كان السيد القمر البارد يمكن أن يحصل على شهادة الدكتوراة قريبًا أم لا، والأستاذ "عطسة" إنسان شريف وصادق، إذًا فالسيد "سوزوكى" اضطر الأستاذ "عطسة" إلى السير فى الاتجاه الذى حدده له ولا يستطيع الهروب منه.

الأستاذ "عطسة": "حسنًا، عندما يحضر القمر البارد المرة المقبلة سأشجعه على كتابة بحث الدكتوراه، ولكن قبل ذلك سأتحقق منه إن كان يرغب فى الزواج بالآنسة طوميكو (ثرية) ابنة أبو الدهب أم لا".

السيد "سوزوكى": "ماذا؟! تتحقق! إذا فعلت ذلك بهذه الطريقة الجافة، فستفسد الزيجة، لكن أفضل طريقة وأقصرها لمعرفة ذلك هى الاستنتاج من خلال الحديث معه".

الأستاذ "عطسة": "استنتاج!".

السيد "سوزوكى": "نعم، ربما كلمة (استنتاج) غير مناسبة لما أريد قوله، لا أقصد استنتاجًا، ولكن أن تفهم ذلك بطريقة غير مباشرة من خلال كلامه".

الأستاذ "عطسة": "أنت لديك القدرة على الفهم بهذه الطريقة، ولكنى إذا لم أسأل بطريقة مباشرة لا أستطيع أن أفهم".

السيد "سوزوكى": "ليس مهمًا أن تفهم، ولكن لا تقل ما يفسد الزيجة مثلما فعل السيد ميتيه، فلو فرضنا أنك لا تستطيع أن تشجعه على زواجها، فلا تبدِ رأيك فى الموضوع؛ لأنه موضوع يجب أن يقرره هو لأنه صاحب الشأن، عندما يأتى القمر البارد المرة المقبلة، فبقدر الإمكان أرجو ألا يكون هناك عائق عن إتمام الزيجة. أنا لا أقصدك أنت، بل أقصد السيد ميتيه، فإذا جاء ذلك الرجل وتحدث فى الأمر مع القمر البارد، فستفسد الزيجة".

وكما يقول المثل "جِبنا فى سيرة القط، جِه ينُط"، فإذا بالبروفيسور "الفشار" كعادته دون موعد سابق ودون استئذان يدخل المنزل من باب المطبخ، ثم إلى الحجرة كما تدخل عليهما رياح الربيع، ثم قال: "من؟ صديق قديم لم يحضر منذ زمن طويل! لا تكثر من المجىء مثلى حتى لا يعاملك بجفاء كما يفعل معى، يجب أن يحضر الإنسان كل عشر سنوات مرة كما فعلت أنت، وستُقدم له حينها حلوى الجيلى غالية الثمن من بودرة الفول والسكر، ومن حلوانى فوجيمورا الشهير مثلما يحدث الآن".

ثم وضع واحدة كاملة فى فمه وأخذ يستمتع بمذاقها العظيم.

السيد "سوزوكى" يتلوى ضيقًا.

الأستاذ "عطسة" يبتسم سخرية.

البروفيسور "الفشار" يمضغ باستمتاع.

كنت أنظر إليهم وأنا فى الشرفة، كأننى أمام مشهد مسرحى صامت. وبما أن من أفكار البوذية فكرة "الحوار الصامت بين القلوب المتفاهمة"، دل هذا المشهد الصامت على حوار بينهم، يسألون ويجيبون عن الأسئلة فى صمت لأنهم يفهمون بعضهم، ولقد كان مشهدًا قصيرًا جدًا ولكنْ كان حساسًا جدًا.

البروفيسور "الفشار": "لقد تصورت أنك ستظل تسافر من مكان إلى آخر، ولكنك رجعت فجأة، أكيد أنك تريد أن تستقر وتعيش حياة مديدة هنا فى هدوء، ولكن لا شىء يضمن أن الأمور ستسير هكذا".

قال البروفيسور "الفشار" ذلك وهو لا يشعر بحياء أمام السيد "سوزوكى" أو الأستاذ "عطسة"، وبما أنهم لم يتقابلوا منذ عشر سنوات حين كانوا يعيشون معًا، فالمفترض أن يشعر بالخجل من أن يتحدث بهذه الطريقة الجافة، ولكن البروفيسور "الفشار" فعل ذلك بطريقة عادية، فلم يظهر عليه شعور بأنه فعل شيئًا مشينًا، ولا أستطيع الحكم على تصرفه هذا، أهو تصرف شخص شجاع أم تصرف شخص أحمق.

رد السيد "سوزوكى" ببرود وهو يتحسس السلسلة الذهبية لساعته فى ضيق: "شىء مؤسف أن تقول ذلك رغم أننى لم أهِنك".

وإذا بالأستاذ "عطسة" يسأل السيد "سوزوكى" فجأة سؤالاً غريبًا: "هل سبق لك أن ركبت القطار الكهربائى؟".

السيد "سوزوكى": "يبدو أننى حضرت اليوم كى تسخرا منى، فعلاً لقد حضرتُ من الريف، ولكنى أملك ستين سهمًا فى شركة المترو الكهربائى لطوكيو".

البروفيسور "الفشار": "طبعًا لا نستطيع أن نسخر منك وأنت تملك تلك الأسهم. أنا كنت أملك 888 سهمًا ونصف سهم، ولكن للأسف الحشرات قد أكلتها، ولم يتبق الآن إلا نصف سهم، لو حضرتَ مبكرًا لأعطيتك عشرة أسهم، ولكن للأسف أنت تأخرت".

السيد "سوزوكى": "كالعادة كلامك سيئ. وبصرف النظر عن مزاحك، فإن امتلاك تلك الأسهم ليس خسارة؛ لأن قيمتها ترتفع كل عام".

البروفيسور "الفشار": "هذا صحيح، فمثلاً بعد مرور ألف عام سترتفع قيمة نصف السهم بما يمكّن الشخص من بناء ثلاثة مخازن، أنا وأنت يا سوزوكى نفهم فى هذه الأشياء، بعكسه تمامًا، أكيد أنه عندما يسمع كلمة سهم لا يفكر إلا فى القوس".

ثم أمسك بقطعة حلوى ونظر إلى الأستاذ "عطسة"، فانتقلت عدوى تناول الطعام منه إلى الأستاذ "عطسة"، فمد الأستاذ "عطسة" يده تجاه طبق الحلوى، ففى عالم الواقع يُبتدأ الأمر من صاحب الشخصية القيادية، ثم ينتقل إلى التابع.

فقال الأستاذ "عطسة" وهو ينظر بحزن إلى ما تبقى من حلوى بعد قضم جزء منها: "أنا لست مهتمًا بالأسهم، ولكنى كنت أريد أن أجعل صديقنا صورو ساكى يركب القطار الكهربائى".

البروفيسور "الفشار": "لو ركب صورو ساكى القطار الكهربائى لنسى ونزل كل مرة فى المحطة الأخيرة، شينا جاوا. عمومًا هو الآن يرقد بأمان فى قبر حجرى نضع فوقه غطاء برميل المخللات كى لا يسقط، بعد أن تغير اسمه من صورو ساكى إلى تنن كوچى".

السيد "سوزوكى": "نعم لقد سمعت أن صورو ساكى مات، شىء مؤسف، لقد كان إنسانًا ذكيًا.. مؤسف أن يموت مبكرًا".

وإذا بالبروفيسور "الفشار" يعلق على الفور قائلاً: "كان ذكيًا ولكنه كان سيئا جدًا فى طهو الأرز، عندما كان يحين دوره فى طهو الطعام كنت أترك المنزل وأذهب لتناول شعيرية فى المطعم، كى لا أجوع".

فتذكر السيد "سوزوكى" تلك المشكلة التى عانى منها منذ عشرة أعوام مضت، فقال: "فعلاً كان يحرق الأرز فتتصاعد منه رائحة كريهة ويصير كالحصى. لم أكن أحب تناوله. كما أنه كان

دائمًا يعد معه فولاً مخترًا نيئًا يقدمه باردًا، فلم أكن أستطيع تناوله".

البروفيسور "الفشار": "وكان الأستاذ عطسة الصديق المقرب للسيد صورو ساكى، وكانا يخرجان كل مساء لتناول طبق حلوى الفاصوليا الحمراء وكرات الأرز، فكانت عاقبتهما أن أصيبا بمرض مزمن وهو ضعف فى المعدة، سبب لهما معاناة شديدة. وفى الواقع كان الأستاذ عطسة يأكل تلك الحلوى بإفراط مقارنة بالسيد صورو ساكى، وبالتالى كان يفترض أن من يموت مبكرًا هو عطسة".

فردّ الأستاذ "عطسة" على البروفيسور "الفشار" ذاكرًا ما كان يفعله من حماقات حينذاك: "كلام غريب لم نسمع له مثيلاً فى أى مكان، وخاصة إذا قارناه بما فعلتَ أنت، لقد كنتَ تخرج كل ليلة إلى منطقة المقابر خلف منزلنا وتضرب شواهد القبور بسيف خشبى، وتقول إن ما تفعله رياضة بدنية، وذات يوم شاهدك الراهب الذى يحرس المقبرة فأهانك بشدة".

فضحك البروفيسور "الفشار" وقال: "نعم، نعم، أتذكر أن الراهب أشار إلى المقابر وقال لى إن من فى داخلها يرقدون فى سلام فلا تزعجهم، ولم أستخدم سوى سيف خشبي. أما القائد سوزوكى -الذى يحضرنا الآن- فكان يستخدم يديه بطريقة جبارة، كان يلعب المصارعة اليابانية مع شواهد القبور، ولقد أسقط ثلاثة منها على الأرض".

السيد "سوزوكى": "ولقد غضب الراهب غضبًا شديدًا، وقال: أعد شواهد القبور إلى مكانها كما كانت. فقلت له: انتظر

وسأستأجر عمالاً يفعلون ذلك، فقال: لن أسمح لك بذلك، يجب أن تفعل ذلك بنفسك كى تكفر عن ذنبك".

البروفيسور "الفشار": "كنت مسكين الهيئة وقتها، ترتدى ملابسك الداخلية فقط، وتبكى وأنت واقف وسط بركة من الماء تكونت بفعل الأمطار".

السيد "سوزوكى": "وأنت كنت قاسى المشاعر. وقفتَ ترسم منظرى هذا فى اسكيتش. أنا عادة لا أغضب، ولكنى وقتها شعرت بأنك عديم الحياء، وغضبت منك فى قلبى. ما زلت أتذكر ما قلتَه وقتها، هل تذكر؟".

البروفيسور "الفشار": "كيف أتذكر وقد مضت عشر سنوات! ولكن ما زلت أتذكر النقوش المنحوتة على تلك الشواهد التى ترجع إلى عام 1777 ميلادية. كانت شواهد قبور قديمة وجميلة، لدرجة أننى فكرت أن أسرقها عندما كنا نترك المسكن، كانت شواهد ذات طراز قوطى، مُنشأة بمعايير علم الجمال".

وبذلك الحديث حول البروفيسور "الفشار" الموضوع إلى علم الجمال الخاص به.

السيد "سوزوكى": "هذا أسلوبك فى الكلام، لقد قلتَ: أنا سأتخصص فى علم الجمال ولذلك أريد أن أرسم كل حادثة غريبة فى الدنيا كى تكون مرجعًا لى فى المستقبل، ولن أقول إنك مسكين وأمتنع عن رسمك؛ لأن العلم ليس له علاقة بالمشاعر. فجعلنى كلامك هذا أشعر بأنك عديم الإحساس، فجذبت بيدى الملوثة بالطين كراسة الرسم التى كنت تمسك بها ومزقتها".

البروفيسور "الفشار": "ولقد شعرتُ حينها أن مقدرتى الكبيرة على الرسم قد تلاشت، لقد حطمت مستقبلى، ولذلك أكرهك بشدة".

السيد "سوزوكى": "لا تستخف بى، فأنا من يكرهك بشدة".

وبعد أن انتهى الأستاذ "عطسة" من تناول الحلوى، تدخل فى الحديث الجارى بين صديقيه، فقال: "ومنذ ذلك الوقت وميتيه دائم الكذب".

ثم أضاف: "لم يسبق له أن صان أبدًا وعدًا قطعه على نفسه، ولا اعتذر أبدًا عن عدم المحافظة على الوعد، دائمًا كان يذكر مبررات. عندما كانت زهرة الكريب الآس متفتحة، قال إنه سيكتب كتابًا باسم مبادئ علم الجمال قبل أن تسقط أوراق تلك الزهور، فقلت له: أنا متأكد أنك لن تفعل ذلك، ففوجئت به يقول ألا أحكم على الظاهر، وقال إنه إنسان قوى العزيمة، وإذا كنت أشك فى ذلك فلنتراهن، فقررنا أن من يخسر الرهان يدعو الآخر إلى طعام فى مطعم مأكولات أوروبية فى منطقة كانضا، ولقد كنت متأكدًا أنه لن يكتب كتابًا، ولكنى كنت قلقًا بعض الشىء من ذلك الرهان معه، لأنى لا أملك ما يكفى لدعوته إلى طعام فى مطعم مأكولات أوروبية، والمفاجأة أنه لم يبد عليه أنه كان مشغولاً بكتابة الكتاب، ومر أسبوع، ثم عشرون يومًا، ولم يكتب حتى صفحة واحدة، وحان وقت سقوط أوراق زهور الكريب آس، حتى سقطت جميعها ولم تتبقَّ واحدة، ومع هذا يتصرف بطريقة عادية كأن شيئًا لم

يكن، فاستنجزته ما وعد، وذلك بأن يدعونى للطعام فى مطعم مأكولات أوروبية، ولكنه تجاهل كلامى".

فعلق السيد "سوزوكى" على ذلك قائلاً: "طبعًا، أكيد قدم أعذارًا بأن كذا وكذا حدث".

الأستاذ "عطسة": "فعلاً، إنه إنسان بارد، لقد قال لى بعناد: كلكم عندكم قدرات ومواهب أكثر منى، ولكنى عندى عزيمة أقوى منكم جميعًا".

فقال البروفيسور "الفشار" مخاطبًا نفسه: "لا يكتب صفحة واحدة!".

الأستاذ "عطسة": "طبعًا، حينذاك قلت لى بتكبر الآتى: بخصوص العَزومة لن أتراجع أبدًا عن قولى إننى أقوى منكم جميعًا، ولكن بخصوص الذاكرة فأنا أقل من أى شخص، فلقد كانت عندى عَزيمة لتأليف كتاب عن مبادئ علم الجمال، ولكن فى اليوم التالى لذلك الكلام نسيت ما قلته، وعليه فعدم إنجاز ذلك الكتاب لا يرجع إلى أننى لا أملك عزيمة كافية لفعل ذلك، ولكن لضعف ذاكرتى، وبما أن السبب ضعف الذاكرة، فلا يجب علىّ أن أدعوك لتناول الطعام فى مطعم مأكولات أوروبية".

فقال السيد "سوزوكى" وكان يبدو عليه الشعور بالفرحة: "حسنًا، أنا سعيد لأننى اكتشفت أهم صفة فى ميتيه".

قال السيد "سوزوكى" ذلك وهو عكس ما كان يقوله عن البروفيسور "الفشار" فى وقت غيابه، ربما تكون هذه صفة الإنسان الذكى.

وحينئذ قال الأستاذ "عطسة" وهو ما زال فى حالة غضب: "ما الذى جعلك سعيدًا؟!".

البروفيسور "الفشار": "أنا متفهم شعورك بالضيق، ولكى أعوضك عن ذلك، فأنا أبحث بشدة عن لسان الطاووس، وقد كلفت كثيرًا من الأشخاص بالبحث عنه، ولذلك -من فضلك- لا تغضب وانتظر إلى أن أجده، وأما بالنسبة للكتابة، فلقد حضرت إليك اليوم بخبر عظيم وفريد".

الأستاذ "عطسة": "كلما حضرتَ إلى منزلى، أحضرت معك أخبارًا فريدة، يجب أن نسمعها بآذان مصغية وتفكير عميق".

البروفيسور "الفشار": "أخبار اليوم أخبار غريبة جدًا، لا يوجد أغرب منها أخبار، هل تعرف يا أستاذ عطسة أن القمر البارد بدأ فى كتابة رسالة الدكتوراه! وبما أنه لا يمعن النظر للأشياء تصورت أنه لن يبذل المجهود الكبير الذى يتطلبه أمر مثل كتابة رسالة دكتوراه، ولكنه يرى أن كتابة الرسالة ستجعله جذابًا للجنس الآخر، شىء غريب! أرى أنك يجب أن تخبر الآنسة ثرية ابنة السيدة منخار بذلك، وأكيد أنها الآن ترى حلم حصوله على درجة الدكتوراه فى ثمرة البلوط".

وعندما سمع السيد "سوزوكى"اسم "القمر البارد" أشار بعينه وذقنه إلى الأستاذ "عطسة" كى لا يذكر أمام ميتيه شيئًا مما دار بينهما من حديث قبل دخوله، ولكن الأستاذ "عطسة" لم يفهم

تلك الإشارات مطلقًا، وكان الأستاذ "عطسة" بعد سماعه كلام السيد "سوزوكى"منذ قليل تعاطف مع الآنسة "ثريا"، ولكنه الآن حين سمع البروفيسور "الفشار" يتحدث عن السيدة منخار تذكّر الشجار الذى دار معها منذ عدة أيام، تذكر ذلك فشعر برغبة فى الضحك وفى الوقت نفسه شعر بقليل من الضيق تجاهها، ولكنه عندما بدأ "القمر البارد" فى كتابة رسالة الدكتوراه شعر بفرحة أنسته كل شىء آخر، وكان البروفيسور "الفشار" يتحدث عن الخبر الفريد الذى أحضره كالعادة بافتخار وتباهٍ، بل وكان يتحدث عن ذلك أيضًا بسعادة، والمهم ليس أن يتزوج "القمر البارد" الآنسة "ثريا" أو لا يتزوجها، ولكن المهم أن "القمر البارد" بدأ يكتب رسالة الدكتوراه، فالأستاذ "عطسة" لا يريد أن يصبح "القمر البارد" مثله، إنه مثل تمثال خشبى سيئ الصنع موضوع فى نهاية حجرة راهب إلى أن يأتى النمل فيأكله، يسودّ خشبه الأبيض بفعل تراكم الأتربة، ولكنه يريد لـ"القمر البارد" أن يكون كتمثال صُنِع بمهارة، ووُضع طلاؤه وأُضيفت نقوشه المذهّبة أولاً بأول على قدر المستطاع.

سأل الأستاذ "عطسة" البروفيسور "الفشار" بحماس عن "القمر البارد" متجاهلا إيماءات السيد "سوزوكى" له: "هل أنت متأكد أنه بدأ يكتب رسالة الدكتوراه؟".

البروفيسور "الفشار": "أنت إنسان دائم الشك، ولكنى لا أعرف إذا كان موضوع الرسالة عن ثمرة البلوط أو عن القوة الميكانيكية عند الشنق، ولكن على كل حال مؤكد أنها ستكون رسالة تشرف السيدة منخار".

وكلما سمع السيد "سوزوكى" البروفيسور "الفشار" يذكر السيدة منخار بطريقة عادية دون شعور بالحياء ظهر عليه الضيق، ولكن البروفيسور "الفشار" لم يلحظ ذلك، واستمر فى كلامه بطريقة عادية، يكذب كما يكذب دائمًا، فقال: "وللعلم لقد قمت ببحث عن الأنف، ومنذ فترة وجيزة اكتشفت نظرية عن الأنوف فى رواية (حياة وآراء تريسترام شاندى) للكاتب الإيرلندى (لورانس ستيرن)، وكنت أودّ لو رأى لورانس ستيرن أنف السيدة منخار، فهو مادة جيدة للكتابة عن الأنوف، ولكن للأسف لا سبيل إلى ذلك، فقد مات منذ زمن بعيد. لو كان كتب عن منخارها لحظى منخارها بالخلود على مدار التاريخ.. شىء مؤسف أن يظل منخارها مغمورًا حتى يفنى. عندما تحضر السيدة منخار المرة المقبلة سأرسم منخارها كى أستفيد منه كمرجع لعلم الجمال".

ولكن الأستاذ "عطسة" ذكر للبروفيسور "الفشار" بالضبط ما سمعه منذ قليل من السيد "سوزوكى": "ولكنى سمعت أن الفتاة ترغب فى أن تتزوج بالقمر البارد".

وحينئذ تغيرت ملامح السيد "سوزوكى"وبدا عليه التوتر، ثم أخذ يشير بعينيه إلى الأستاذ "عطسة"، ولكن "عطسة" كمادة غير موصلة للكهرباء تحاول أن تصلها بالكهرباء فلا تستجيب، فلم يُجدِ غَمز السيد "سوزوكى" وإشاراته للأستاذ "عطسة".

البروفيسور "الفشار": "شىء غريب، هل ابنة شخص مثل هذا تستطيع أن تحب؟! أكيد ليس حبًا حقيقيًا، وإن أحبت فلن تستطيع أن تحب إلا اللعب فى منخارها لا أكثر".

الأستاذ "عطسة": "دعنا نأمل أن يتزوجها القمر البارد".

البروفيسور "الفشار": "ماذا؟! يتزوجها؟! ألم تقل المرة السابقة إنك تعارض بشدة هذه الزيجة؟! ما لك اليوم مسالم جدًا على غير العادة!".

الأستاذ "عطسة": "لست مسالمًا، أنا لا أسالم أبدًا، ولكن...".

البروفيسور "الفشار": "ولكن ماذا؟ بما أنك يا سوزوكى تنتمى إلى طبقة رجال الأعمال الوضيعة فأخبرنا برأيك كى نستفيد، بخصوص ذلك المدعو أبو الدهب، هل ترضى بأن تصبح ابنة ذلك الشخص الوضيع حرم شخص عبقرى وعالى المقام مثل القمر البارد؟! أنا أعتقد أنى والأستاذ عطسة كصديقين للقمر البارد لا يجب أن نقف متفرجين ننظر ببرود إلى هذه الزيجة ونتركها تتم. ورغم أنك رجل أعمال أكيد أنك تتفق معنا فى رأينا، أليس كذلك؟".

وإذا بالسيد "سوزوكى" يتهرب من الإجابة بمجاملته فقال: "أنت كالعادة دائمًا متحمس وتحب أن يكون لك رأى فى كل شىء، وهذا شىء جيد، أنت لم تتغير ولو حتى قليلاً منذ كنا نعيش معًا منذ عشر سنوات، أنت عظيم".

البروفيسور "الفشار": "بما أنك تمدحنى وتقول إننى عظيم، سأزيدك من علمى. كان أهل روما قديمًا يحبون الرياضة، وكانوا يقيمون المسابقات الرياضية ويخصصون جوائز قيمة جدًا للتشجيع على ممارستها، ولكن الشىء الغريب أنه لا توجد سجلات تقول إنهم كانوا يخصصون أى جوائز للتشجيع على

العلم أو جوائز للعلماء، وهذا جعلنى أشعر -حتى عدة أيام- مضت بالحيرة والدهشة والتعجب".

وهنا قال السيد "سوزوكى" محاولاً مجاراته فى كل ما يقول: "نعم، الموضوع يدعو إلى التعجب".

البروفيسور "الفشار": "لكن منذ عدة أيام وأنا أقوم بأبحاث فى علم الجمال اكتشفت السبب، وبذلك حللت اللغز الذى ظل أعوامًا عديدة يشغل تفكيرى، كانت مسألة مبهمة تمامًا لى، ولكن عندما توصلت إلى حلها شعرت أننى فى قمة السعادة".

وبما أن كلام البروفيسور "الفشار" كان كذبة كبيرة، فإن السيد "سوزوكى" عبر عن رفضه هذا الكلام، ولكن من خلال ملامح وجهه، وعندما شعر الأستاذ "عطسة" بأن البروفيسور "الفشار" بدأ يكذب مرة أخرى، أمسك بأعواد الطعام المصنوعة من العاج وضرب بها على حافة طبق الحلوى ونظر إلى أسفل، ولكن البروفيسور "الفشار" استمر فى سرد كذبه الذى يتميز به.

البروفيسور "الفشار": "فهل تعرف من الذى أوضح هذا الموضوع، وأخرجه من الظلام إلى النور، وأنقذنى من الحيرة التى كنت أشعر بها كلما فكرت فى ذلك الموضوع؟ إنه العالم الذى ظهر منذ عرفنا أنه يوجد شىء اسمه العلم، إنه الفيلسوف اليونانى مؤسس المدرسة الفلسفية المسمّاة المَشَّائية، إنه الفيلسوف أرسطو.

ومن فضلك يا عطسة، توقف عن ضرب طبق الحلوى بعصيان الطعام، يجب أن تنصت لِما أقول.

وقد كانوا يحصلون على جوائز تشجيعية عما يقومون به من مباريات رياضية أعلى بكثير من مستوى الفنون الرياضية التى يقدمونها، وذلك كى تكون تقديرًا وتشجيعًا لهم على الاستمرار فى ذلك وتجويده، ولكن لو طبقنا هذا الكلام على المعرفة فماذا يحدث؟ فلو أردنا أن نعطى عطايا على المعرفة، يجب أن تكون تلك العطايا أثمن من المعرفة، فهل يوجد فى الدنيا ما هو أثمن من المعرفة! طبعًا لا يوجد، ولكن اليونانيين قرروا أن يحددوا عطايا على المعرفة، فجمعوا خزائن مملوءة بالمال ووضعوا بعضها فوق بعض، فأصبحت فى مثل ارتفاع جبل أوليمبوس، ولقد فهموا أنهم لو أخذوا خزائن الملك كرويسيوس فاحش الغنى ما استطاعوا جمع عطايا تساوى المعرفة، وأيقنوا بأنهم مهما جمعوا من عطايا فلن تزيد عن قيمة المعرفة، وبناءً على ذلك قرروا منذ وقتها ألا يعطوا مقابلاً على المعرفة، ونستخلص من ذلك أن المال لا يصل إلى قيمة المعرفة أبدًا.

ودعونا نفكر فى المشكلة الحالية من ناحية النظرية السابقة، أليس المدعو أبو الدهب لا يعرف سوى المال؟! لو وصفته بدقة سأقول إنه لا يزيد على بنك.

وإذا ألقينا نظرة على وضع السيد القمر البارد فسنجد أنه غير مناسب لها، فبلا فخر قد تخرج فى أفضل مدرسة فى المحافظة، وكان الأول على دفعته، يرتدى زيًا عظيمًا ويبحث ليلاً ونهارًا فى موضوع ثبات ثمرة البلوط، ومع ذلك لا يكتفى بذلك بل بدأ فى كتابة بحث كبير فى الأيام الماضية، وبحثه لا يقل عن بحث عالم الفيزياء الأسكتلندى اللورد كلفن، أليس كذلك؟ والموضوع أنه بالصدفة وهو يعبر جسر (أزما باشى) قفز على

جسم الجسر بدلاً من أن يقفز فى النهر، وما شعر به وقتها هو شعور مفاجئ كثيراً ما يحدث للشباب، ولم يكن شعورًا عميقًا مبنيًا على معرفة بتلك الأمور، ولو استخدمت أسلوبى فى تقييم السيد القمر البارد فسأقول إنه رجل علم، خبرته فى العلم كبيرة وفى الحياة قليلة، كما أنه إذا خرجت طلقة من مدفع 28 سم هاوتزر فإنها تحدث انفجارًا رهيبًا، فإن السيد القمر البارد إذا كتب بحثًا فسيحدث ضجة فى المحافل العلمية".

وإلى هنا أحس البروفيسور "الفشار" أنه لا يجد المزيد ليقوله بأسلوبه الخاص به، فبدا كلامه فى بدايته قويًا، وفى نهايته ضعيفًا، ولكنه أضاف: "إن عشرات الملايين من الشيكات ما هى إلا قصاصات صغيرة من الورق، ولذلك فإن فتاة مثل هذه لا تناسب القمر البارد، أنا لا أستطيع أن أتخيل فيلاً كبيراً وذكيًا يتزوج خنزيرة صغيرة جشِعة. أليس كذلك يا سيد عطسة!".

وتوقف هنا مسلّمًا مهمة استكمال الحديث للأستاذ "عطسة"، فضرب الأستاذ "عطسة" على طبق الحلوى بأعواد الطعام واستمر صمته.

شعر السيد "سوزوكى" بضيق مما سمعه من البروفيسور "الفشار"، ووجد أنه لا مفر من أن يقول: "الموضوع ليس هكذا".

وشعر الأستاذ "عطسة" أن البروفيسور "الفشار" قد قال كلامًا سيئًا كثيراً، وأنه لو تفوه بكلام سيئ هو أيضًا فربما يفشى السر الذى طلب منه السيد "سوزوكى" ألا يفشيه، فقرر أنه من الحكمة أن يترك البروفيسور "الفشار" يهاجم السيد

"سوزوكى"، والسيد "سوزوكى" ذكى، فهو يستخدم أسلوب هذ العصر، وهو تفادى المعارضة على قدر المستطاع، ولكن أسلوب العصر السابق كان المجادلة الكلامية التى لا تؤدى إلى نتائج، فهدف الحياة تحقيق أشياء فى الواقع وليس مجرد التفوه بكلام، وكلما اقترب السيد "سوزوكى" من تحقيق ما يريده، عنى هذا أنه اقترب من تحقيق أهدافه فى الحياة، فإن هدف الحياة هو الوصول إلى المراد دون تعب وقلق وصراع، والمراد هو العيش عيشةً رغدة، ولقد نجح السيد "سوزوكى" بعد التخرج من تحقيق الحياة الرغدة، فهو يحمل ساعة ذهبية، ولأنه يؤمن بفكر الحياة الرغدة، فقد طلب السيد "أبو الدهب" وزوجته منه أن يتدخل لإتمام الزيجة، وعلى أساس ذلك الفكر استطاع أن ينجح إلى حد كبير فى مهمته هذه مع الأستاذ "عطسة"، ولكن ظهور ذلك الشخص غريب الأطوار ومعقد النفسية المسمى البروفيسور "الفشار" فجأة، قد أدى إلى تغير مفاجئ فى النتائج، وإن مبدأ "الحياة الرغدة" مبدأ قد تبناه سادة العصر الحالى، والسيد "سوزوكى" آمن بهذا المبدأ وينفذه، ولكن فى هذا الموقف الحالى، فإن الذى يعانى بسبب الإيمان بهذا المبدأ وتطبيقه هو أيضًا السيد "سوزوكى".

البروفيسور "الفشار": "أنت لا تفهم الموضوع إطلاقًا، ولذلك تقول بكل سهولة وببعض كلمات مؤدبة إن الموضوع ليس هكذا، ولكنك لو كنت شاهدت السيدة منخار عندما جاءت هنا، لكنت عرفت كم كانت تتحدث معنا بتكبر كزوجة رجل أعمال كبير، أليس كذلك يا عطسة؟! ألم تشعر بالضيق من أسلوبها فى الكلام".

الأستاذ "عطسة": "إنها احترمتنى أكثر منك على كل حال".

فضحك البروفيسور "الفشار" ثم قال: "أنت واثق من نفسك جدًا.. وماذا عن موضوع شاى الأوباش، لقد سخر منك بقية الأساتذة والتلاميذ أيضًا، ولكنك كنت تذهب إلى المدرسة دون رد فعل، كأن شيئًا لم يحدث، وللعلم أنا لست ضعيف العزيمة، بل قوى العزيمة لدرجة ألا يتفوق علىّ فيها أحد، لكن لا أستطيع أن أكون باردًا إلى هذا الحد، يجب أن يحترمنى الناس احترامًا شديدًا".

الأستاذ "عطسة": "لا يوجد ما أخشاه على نفسى من سخرية التلاميذ والأساتذة، إن الناقد الفرنسى الذى ليس له مثيل (شارل أوجستان سانت بوف) قام بالتدريس فى جامعة باريس ولكن سمعته كانت سيئة جدًا، وعندما كان يخرج من الجامعة كان يمسك بخنجر تحت كُمه كى يحميه من هجوم الطلاب عليه، كما أنه عندما هاجم الكاتب الفرنسى (فرنيناند برونيتير) الروائى الفرنسى (إميل زولا)...".

فقاطعه البروفيسور "الفشار" قائلاً: "ولكنك لست أستاذًا جامعيًا ولا من هذا القبيل، أنت أستاذ مطالعة فى المدرسة، فلماذا تشبه نفسك بعظماء كهؤلاء، كيف تُشبّه صغارُ الأسماك- التى تُستخدم كطُعم سنارة- نفسَها بالدرافيل، ما دمت تقول كلامًا مثل هذا فمن الطبيعى أن يسخروا منك".

الأستاذ "عطسة": "اخرس، أنا وشارل أوجستان سانت بوف عالمان على نفس المستوى".

البروفيسور "الفشار": "وجهة نظر ثاقبة جدًا، ولكن حمل حنجر وأنت تسير أمر خطير جدًا، فلا تقلده في ذلك، فإذا كان الأستاذ الجامعي يحمل خنجرًا، فإنه يكفي أستاذَ مطالعةٍ أن يحمل سكينًا صغيرًا، ولكن بما أن السلاح الأبيض خطر، فربما الأفضل أن تذهب إلى سوق ناكا ميسيه التجاري فتشتري مسدس صوت لعبة وتحمله وأنت تسير، سيكون مناسبًا لك، أليس كذلك يا سوزوكي؟!".

عندها تنفس السيد "سوزوكي" الصعداء لأن الكلام أخيرًا ابتعد عن موضوع الزواج، فقال: "كالعادة الحديث معكما نابع من القلب على سجيته، ويجعلني أشعر بالسعادة، عندما قابلتكما منذ عشر سنوات كنت أشعر أنني أعيش في عالم صغير، ولكن باختلاطي بكما شعرت أنني خرجت من عالمي الصغير إلى عالم كبير، حيث المشاعر الصادقة والراحة النفسية. أما عالمنا نحن رجال الأعمال فعندما نتحدث يجب أن نكون منتبهين جدًا لما نسمع ونقول، لا نستطيع سماع أو قول شيء بإهمال، ما يجعلنا نشعر بالتوتر والملل والإرهاق الشديد. شيء جميل أن يتحدث الإنسان كما يحلو له دون شعور بالذنب، وأفضل شيء أن يشعر الإنسان أنه يتحدث مع الأصدقاء القدامى على سجيته، دون تردد ودون تفكير فيما يجب أن يقول وما لا يجب أن يقول. أنا سعيد اليوم لأنني قابلت ميتيه، ولكني مضطر إلى أن أترككما الآن لأمر يجب القيام به".

ثم وقف استعدادًا للخروج، وحينئذ قال البروفيسور "الفشار": "وسأخرج أنا أيضًا، فيجب أن أذهب إلى مقر جماعة الفنون المسرحية في شنباشي، دعنا نَسِر معًا".

السيد سوزوكي: "طبعًا يسعدني هذا، ستكون فرصة أن نتنزه معًا كما كنا نفعل منذ زمن".

ثم شبكا أيديهما معًا وسارا إلى الخارج.

الفصل الخامس

إن كتابة جميع أحداث أربع وعشرين ساعة أو قراءتها يستغرق أربعًا وعشرين ساعة أخرى. ويجب أن أعترف بأن ذلك يتخطى قدرات القطط، وبصرف النظر عما إذا كان الأستاذ "عطسة" عبقريًا وأسلوبه فى التعبير عن الواقع عبقريًا أيضًا أم لا، فإن نقل كل ما يفعله بالكتابة للقارئ شىء صعب جدًا، ولكنى مضطر إلى محاولة فعل ذلك رغم أننى محتاج إلى وقت راحة.

توقفت الرياح القوية التى كانت تُسقِط أوراق الشجر بعد أن رحل السيد "سوزوكى" والبروفيسور "الفشار"، وتساقطت الثلوج بهدوء فى الليل الساكن. وكالعادة قبع الأستاذ "عطسة" فى مكتبه، ووضع الأطفال الوسادات فى حجرة مساحتها عشرون

مـترًا مربعًـا وخلـدوا إلى النـوم، وفى حجـرة مسـاحتها نحـو ثلاثـة أمتـار مربعـة نامـت الابنـة الصغـرى المسـماة "منقـو" ذات الثلاثـة أعـوام، ومعهـا سـيدتى ترضعهـا.

اتجهـت الشـمس إلى الغـروب بسرعـة والسـماء مليئـة بالغيـوم. وبلغـت حجـرةَ المعيشـة أصـواتُ قباقيـب المـارة أمـام مدخـل المنزل بوضـوح تـام، وكانـت تصـل إلى أذنى وأنـا نائـم أصـوات النـاى التـى تعـزف فى أحـد المنـازل فى الشـارع الخلفـى، فأسـتيقظ مـن حـين لآخـر. وخـارج المنـزل سـاد الظـلام، وبمـا أننـى كنـت جائعًـا جـدًا، ثـم تناولـت وليمـة هـذا المسـاء، وكانـت مكونـة مـن يخنـى بحسـاء أسـماك وُضِـع لى فى طبقـى الخـاص، فقـد شـعرت برغبـة فى النـوم.

ولقـد انتـشر لفـترة محـدودة نـوع مـن الشِـعر عـن "حـب القطـط"، فلقـد علمـت أن أبنـاء فصيلتـى مـن القطـط الموجوديـن فى المدينـة كانـوا يحلمـون بدخـول فصـل الربيـع، إذ يقضـون الليـل خـارج المنـازل معًـا، ولكنـى لم يسـبق لى أن شـعرت برغبـة فى فعـل ذلـك أبـدًا. ربمـا يكـون الحـب إحساسًـا يشـعر بـه جميـع مخلوقات الكـون. إن جميـع المخلوقـات -مـن الإلـه الرومـانى "جوبيـتر" الموجـود فى السـماء إلى الـدود وحـشرات "المالـوش" تحـت سـطح الأرض- يفعلـون كل مـا يسـتطيعون مـن أجـل الحـب. أمـا أنـا فـإن سـعادتى بيخنـى الأسـماك والهـدوء اللذيـن أحبهـما شىء طبيعـى، كـما أنى أيضًـا سـبق لى أن اكتويـت بنـار حـب القطـة "ألـوان". حتـى "ثريـة" بنـت حادثـة السـقوط فى النهـر وابنـة الشريـر "أبـو الدهـب" صاحـب "نظريـة الـلاءات الثـلاث (لا للواجـب، ولا للتعاطـف، ولا للخجـل)" وقعـت فى حـب "القمـر البـارد"، ولذلـك يجـب ألا نسـخر أبـدًا مـن ذكـور وإنـاث القطـط فى هـذه الدنيـا، أن يسـحرهم الجـو

الربيعى هذا فيخرجوا معًا يسيرون فى الشوارع فى سعادة تحت السماء، ولكن لو دعتنى قطة للخروج معها لاضطررت إلى الرفض لأنى لا أشعر برغبة فى ذلك.

كل ما أرغب فيه الآن أن أخلد للنوم، فكيف أتحدث عن الحب وأنا أشعر بالنعاس! فسرت على أطراف أصابعى بخفة إلى ذيل لحاف الأطفال، فدخلت تحت اللحاف وخلدت للنوم فى سعادة.

فتحت عينىّ، فإذا بالأستاذ "عطسة" قد جاء من حجرة مكتبته إلى حجرة النوم، ودخل فى فراش بجانب فراش زوجته ونام. ومن عادات الأستاذ "عطسة" أنه حين يأتى للنوم يحمل معه كتابًا صغيرًا مكتوبًا باللغة الإنجليزية، ولكنه ينام، لم يسبق له أن قرأ منه حتى صفحتين، وأحيانًا يأتى فيضعه بجانب الوسادة ولا يلمسه بعد ذلك أبدًا. ولكن إذا لم يكن يقرأ منه ولو سطرًا واحدًا، فما أهمية أن يأتى به إلى حجرة النوم؟! ولكن هذه هى شخصيته، ومهما قالت له زوجته أن يكف عن فعل ذلك، فإنه لا يستجيب لها أبدًا، فكل ليلة يكلف نفسه عناء حمل كتاب لا يقرأه من حجرة المكتبة إلى حجرة النوم، وأحيانًا يتشجع ويأتى حاملاً عدة كتب، وفى الفترة الأخيرة تجرأ وأتى حاملاً معجم "ويبستر الكبير"، وأنا أعتقد أن ذلك مرض مصاب به الأستاذ "عطسة"، مثل مرض شخص غنى تعود ألا ينام إلا حين يسمع صوت غليان الماء من الغلاية التى صنعتها شركة "ريوبونضو"، فالأستاذ "عطسة" لا يستطيع النوم إلا إذا وضع كتابًا بجانب الوسادة، وعلى هذا فإن الكتب عنده

ليست للقراءة، ولكنها أداة لاستدعاء النوم مثل أدوية النوم، إنها مطبوعات للنوم.

وسألت نفسى: ما الكتاب الذى أتى به اليوم هنا؟ ثم نظرت كى أرى، فرأيت كتابًا رقيقًا أحمر موضوعًا بالقرب من شاربه ومفتوحًا قليلاً، وإصبع إبهام يده اليسرى موضوع بين أوراق الكتاب، وعندما نظرت جيدًا إلى الصفحة التى عليها إصبعه، اكتشفت أنه عمل إعجازًا الليلة، فلقد قرأ خمسة أسطر. وبجانب الكتاب ساعة جيب نيكل، لونها أزرق لا يتناسب مع فصل الربيع.

أما سيدتى فكانت تنام بعيدة عن الطفلة الرضيعة قليلاً، ورأسها بجانب الوسادة وفمها مفتوح تغطّ فى النوم. وإذا سألنى أحد: ما أقبح منظر لا تحب أن تشاهد الإنسان عليه؟ قلت: منظره وهو نائم فاغرًا فمَه، فإن القطط لا يفعلون ذلك أبدًا. الفم فى الأصل عضو مهمته إخراج الصوت، والأنف عضو مهمته دخول الهواء، ولكن طبيعى أن نجد اليابانيين الموجودين فى الشمال يتكاسلون عن فتح أفواههم، ويميلون إلى عدم فتحها كثيرًا بهدف توفير الطاقة، ولذلك هناك لهجات تستخدم الأنف فى النطق بكثرة بدلاً من الفم، ولكن أن يغلق إنسان أنفه ويستخدم فمه فقط لإخراج الأصوات، فهذا شىء مقزز، فهناك خطر-مثلاً- من أن تسقط فضلات فأر يقف على السطح داخل فم ذلك الإنسان.

أما الأطفال، فإنهم لا يقلون فظاعة عن والديهم فى طريقة النوم سيئة المنظر.. الابنة الكبرى "طونقو" تستخدم سلطاتها

كأخت كبرى، فتضع يدها اليمين على أذن أختها الصغرى. والابنة الصغرى "سنقو" تنتقم بوضع إحدى رجليها على بطن أختها الكبرى بتكبر. وكلتاهما تتحرك بزاوية تسعين درجة عن وضع بداية نومهما، ولكنهما ظلتا على هذا الوضع، ولم تشكُ إحداهما من طريقة نوم الأخرى، وكلتاهما تنام بعمق شديد.

كان الضوء في الربيع مختلفًا عن بقية الفصول، كان طبيعيًا لدرجة لا حدود لها. كانت ليلة يسطع فيها القمر، فيجذب ضوؤه القلوب، فنظرت حولي في الحجرة أسأل نفسي عن الوقت الآن، فوجدت حولي هدوءًا تامًا، ولم أسمع إلا صوت ساعة الحائط وغطيط سيدتي، وصوت اصطكاك أسنان الخادمة النائمة بعيدًا، والتي حين ينبهها شخص للتوقف عن ذلك تقول بثقة: "لا أتصور أنني فعلت ذلك قط منذ ولادتي حتى الآن"، لا تقول أبدًا: "سأحرص على عدم فعل ذلك" أو "أنا آسفة لإزعاجي إياكم".

منطقي ألا تتصور ذلك لأنها تفعله وهي نائمة، وكونها لا تتصوره حقيقة، ولكن فعلها لذلك في الواقع هو حقيقةٌ تضايقنا، فكم يوجد في هذه الدنيا أناس يقومون بأفعال سيئة، ولكنهم يعتقدون أنهم أناس أفاضل إلى أقصى حد، واعتقاد الشخص الطالح أنه صالح سذاجة، ولكنها أمر خاص به، وسذاجة لن تؤدي إلى تغيير حقيقة أننا نشعر بالضيق. وإني لأعتقد أن سيدات المقام الرفيع اللاتي يتسببن في مضايقات للآخرين ينتمين إلى فصيلة هذه الخادمة الوضيعة.

انتصف الليل.. فسمعت طرقتين على باب المطبخ. شيء غريب، هذا ليس وقت زيارات! أكيد هو فأر كبير، إذا كان كذلك فلن أتحرك للإمساك به، فلقد قررت ألا أمسك فأرًا أبدًا، فليفعل ما يحلو له.

عادت الأصوات مرة أخرى، بدأت أشك أنه ليس فأرًا، ولو افترضنا أنه فأر، فهو فأر يتوخّى الحذر جدًا، وكما أن تلاميذ مدرسة الأستاذ "عطسة" المسكين يعتقدون أن عملهم هو تحويل أحلامه -سواء فى القيلولة أو فى الليل- إلى كوابيس فيعربدون طوال الوقت، فإن فئران منزله لا يشعرون بالخجل من منافسة تلاميذه فى العربدة فى المنزل. فمنذ عدة أيام اقتحم فأر حجرة نوم الأستاذ "عطسة" وعض أنفه الغائر فى وجهه وغنى أغنية النصر، ثم هرب مسرعًا، ولكن ما سمعته الآن من أصوات لا يَشى بأن ذلك فأر.

ثم سمعتُ صوت رفع الباب الخارجى من أسفل إلى أعلى، ثم فَتحِ الباب الداخلى رويدًا رويدًا، فتأكدت من خلال هذا التصرف أن من يفعل ذلك ليس فأرًا، بل بالتأكيد إنسان.

ومن يستطيع الدخول فى منتصف الليل بعد أن يفتح الباب المغلق بإحكام، طبيعى ألا يكون البروفيسور "الفشار" أو السيد "سوزوكى"، أكيد أن سيادته لص عظيم! حان الوقت لأنعم بالنظر إلى وجه معاليه.. دخل المنزل وخطا خطوتين فقط بأرجله الموحولة بالطين، وفى الخطوة الثالثة انحنى على الأرض فأصدر صوتًا بقدمه كان له صدًى تردد فى الليل الهادئ، فشعرت كأن أحدًا استخدم فرشاة أحذية وسرَّح فروة ظهرى

فى اتجاه عكسى، ثم لم تصدر أرجله أى صوت لبرهة، فنظرت إلى سيدتى فوجدتها فاتحة فاها ومستغرقة فى الزفير والشهيق باستمتاع، والأستاذ "عطسة" ما زال يضع إبهامه فى وسط الكتاب الأحمر غارقًا فى النوم كأنه يحلم، ثم سمعت صوت اشتعال كبريت فى المطبخ! حتى فخامة اللص الكبير لا يستطيع أن يرى مثلى فى الظلام! أكيد أنه فى ورطة فى المطبخ، حيث لا يستطيع التحرك بسبب الظلام.

وفى هذه اللحظة جلست وفكرت، هل سيخرج اللص من المطبخ فيتجه إلى حجرة المعيشة، أم سيتجه يسارًا من أمام المدخل الرئيس للمنزل ثم يدخل إلى مكتبة الأستاذ "عطسة"؟ وإذا بى أسمع صوت فتح باب الشرفة وصوت أقدام تخرج إليها.. أكيد أنه متجه إلى المكتبة، ثم ساد الصمت بعد ذلك.

وتنبهت أخيرًا إلى أننى يجب أن أوقظ سيدى وسيدتى. حسنًا.. ماذا أفعل كى أوقظهما؟ أخذ عقلى يعمل ويدور كالساقية ولكنه لم يتوصل إلى أى فكرة. فهززتُ اللحاف كى يتنبها عدة مرات، ولكن لم يؤد ذلك إلى النتيجة المطلوبة، فوضعت أنفى البارد على وجنة الأستاذ "عطسة" كى يتنبه، لكنه ضربنى وهو نائم بيده بقوة وضِيق على أنفى فطرحنى بعيدًا ولم يستيقظ، والأنف عضو مهم جدًا للقطط، شىء سيئ جدًا أن تؤذيه.

فأطلقتُ مواء مرتين كى أوقظه، ولكن صوتى لم يخرج فى هذا الوقت بالذات، كأن فى حلقى شيئًا يعوق خروج الصوت، فاستجمعتُ قواى وبذلت مجهودًا كبيرًا كى أُخرِج صوتًا، فخرج

ضعيفًا على عكس ما توقعت ما أدهشنى، ومع ذلك لم يستيقظ الأستاذ "عطسة"، ولكنى حينئذ سمعت صوت خطوات اللص، وهو يسير بخفة فى الشرفة ويقترب من حجرة النوم التى أنا فيها، فقلت لنفسى: "جاءك الموت يا جبان"، وأخفيت نفسى فى ركن خلف باب حجرة النوم، بين الباب وصندوق كبير مصنوع من فروع أشجار السرو، ونظرت فى صمت منتظرًا قدرى.

ولكن حين وصل صوت خطوات اللص إلى باب حجرة النوم توقفت، فكتمت أنفاسى وقلت لنفسى فى قلق شديد: "ماذا سيفعل بعد ذلك؟"، ثم قلت لنفسى: "هل شعورى الآن هو شعور الفأر عندما يتأهب القط للانقضاض عليه؟!"، وشعرت أن روحى ستخرج من جسدى. وفى الحقيقة أنا أدين للص بأنه أعاد إلىّ روحى مرة أخرى، وذلك عندما شاهدت لون الورق الملصق فى أعلى الباب يتغير بفعل ماء كأنه ماء مطر، ثم شاهدت شيئًا لونه أحمر فاتح يقترب، ومنظر الورق يتغير من الفاتح إلى القاتم، فلقد وضع اللص لسانه على الورق وأخرج لعابه فاسودّ الورق وظهر من خلفه لسان أحمر، ثم سواد الورق المبلل من لعابه، حيث سقط وبسقوطه تكونت فتحة ظهر منها اللسان لعدة ثوانٍ، ثم ظهر بعد ذلك من تلك الفتحة شىء واحد يضىء على نحو مرعب، ومما لا شك فيه أنه عين اللص، حينها شعرتُ أن هذه العين لا تشاهد ما فى الحجرة من أشياء، ولكنها فقط ترانى أنا، رغم أننى أقف متخفيًا خلف الصندوق وراء الباب.. لم يستمر مشهد العين التى تنظر داخل الحجرة إلا دقيقة واحدة فقط ولكنى شعرت أن عمرى أوشك على الانتهاء، وعندما لم أستطع تحمل السكون

هكذا وحياتى فى خطر، هممت بالقفز من خلف الصندوق هربًا، ولكن فُتِح الباب بهدوء ودخل اللص المنتظر وأصبح أمام عينىّ بكامل هيئته.

كان من الطبيعى أن أقدم لحضراتكم هذا الزائر نادر الحضور، والذى أتى فى وقت غريب، وكان من دواعى سرورى أن أفعل هذا، ولكن قبل ذلك أود أن أعرض على حضراتكم وجهة نظرى المتواضعة فى الموضوع التالى.

تُعبد آلهة العصور القديمة كآلهة تعرف كل شىء وقادرة على فعل كل شىء، وخاصة أن إله الدين المسيحى يرتدى رداء من يعلم كل شىء ويقدر على كل شىء، ويُعبد حتى عصرنا على ذلك الأساس، ولكن يمكن أن نفسر ما يعتقد العامة أنه "معرفةُ كل شىء والقدرة على كل شىء" بأنه أحيانًا يكون جهلاً وعدم قدرة على فعل كل شىء، وهذا يُسمى بوضوح منطق "المفارقة"، وإذا قلنا إن أول من سمّى ذلك "مفارقة" منذ بداية الكون حتى الآن هو أنا، وهذا يجعلنى أفتخر بنفسى وأدعى أننى لست قطًا عاديًا، فأرجو أن تضعوا فى عقولكم أيها البشر ذوو المكانة العالية أنه لا يمكن الاستخفاف بالقط.

يقولون إن الإله هو الذى خلق جميع ما فى هذا الكون، وعلى هذا فإن البشر صناعة إلهية، وفى الواقع إن هذا مكتوب فى الإنجيل.

وفى الحقيقة إن الإنسان أمضى آلاف السنين يفكر فى نفسه ويتأملها بعمق شديد، وفى نفس الوقت توصل إلى أن الإله هو عالِم كل شىء وقادر على كل شىء، وليس أحدٌ آخر. ورغم

وجود كثير جدًا من البشر، لا يوجد اثنان متشابهان فى الوجه أبدًا فى هذه الدنيا، الأعضاء التى يتركب منها الوجه محددة، وبخصوص حجم الوجه فغالبًا متشابه والاختلافات بسيطة. ما أريد قوله هو أن جميع البشر خُلقوا من مادة واحدة، ورغم ذلك لا يوجد شخص يشبه الآخر تمامًا. ورغم استخدام مادة بسيطة فى الخلق، تختلف التفصيلات الدقيقة فى وجه كل شخص عن الآخر، ولذلك يجب أن نشهد بمهارة الخالق، فإنه لو لم تكن لديه فكرة عن عملية الخلق، لما استطاع أن يغير تفصيلات وجه كل شخص عن الآخر بدقة هكذا، فحتى أعظم فنان إذا وضع قالبًا لعمل وُجوه، ثم غير فى تركيب ذلك القالب لعمل وُجوه أخرى فلن يستطيع عمل أكثر من اثنى عشر قالبًا، ولكن الإله الذى خلق الإنسان، خلقه وحده وغيّر تفصيلات كل شخص عن الآخر، ولذلك يجب أن نشهد بعظمته، وبما أن مهارة صنع المجتمع البشرى واضحة للعيان، فلا يوجد شك فى أنها دليل على المهارة فى عمل كل شىء، ولأن الإنسان فكر فى ذلك وأدركه، قدّر واحترم وخاف الإله.

نعم، توصل الإنسان من خلال وجهة نظره وتأمله لنفسه إلى احترام الإله والخوف منه، ولكن من خلال وجهة نظر القطط نفسها نستطيع أن نقول إن الإله لا يقدر على أى شىء، فإذا لم تكن لديه أى قدرات، نستطيع أن نقول إنه لا يوجد من يملك قدرات أكثر من الإنسان.

فلقد خلق الإله كثيرًا من البشر بكثير من الوجوه المختلفة، لكنه لم يكن يخطط قبل أن يبدأ الخلق أن يخلق كل تلك الوجوه على أن تكون مختلفة بعضها عن بعض، فلقد حاول

أن يخلق الجميع بالوجه نفسه دون أى تغيير فى ملامحه ولكنه فشل فى ذلك، واضح أنه كان يخلق ويفشل، يخلق ويفشل، إلى أن وصل إلى فشل ذريع، وهكذا، من ناحيةٍ، نستطيع أن نقول إن وجود الأعضاء نفسها فى كل وجه دليل على نجاح الإله فى الخلق، ومن ناحية أخرى نستطيع أن نقول إن الاختلافات فى تفصيلات الوجوه دليل على فشله فى خلق وجوه متشابهة تمامًا.

وبالتالى لا مانع في أن نقول إنه قادر على كل شىء، أو إنه ليس قادرًا على كل شىء.

ومن وجهة نظرى، إن الإنسان متغطرس، رغم أن له عينين فى الوجه على مستوى واحد، لا يستطيع أى يرى بهما الجهة اليمنى والجهة اليسرى فى الوقت نفسه.. إنه مسكين، لا يدخل إلى حيز رؤيته إلا نصف الأشياء فقط، وهذا يؤدى إلى عجزه عن الحكم حتى على الأمور البسيطة، سواء نهارًا أو ليلاً، ويؤدى إلى أن يحتويه خوفه من الإله غيرَ قادر على فهم الأشياء بالمنطق.

فإذا كان صنع الاختلافات أمرًا صعبًا، فإن عمل تشابه تام أيضًا أمر صعب، فإذا طلبنا من الرسام الإيطالى "رفائيل" أن يرسم لوحتين متشابهتين تمامًا لتمثال السيدة مريم وهى تحمل المسيح، فسيشعر أنه فى ورطة، كما لو طلبنا منه أن يرسم لوحتين مختلفتين تمامًا لذلك التمثال، فسيشعر أيضًا أنه فى ورطة، فأكيد أن رسم صورتين للشىء نفسه أمر صعب. ولو سألنا الراهب والخطاط اليابانى "قوبو ضايشى" أن يكتب اسمه

بنوع الخط نفسه مرتين بشرط أن يكونا متطابقين تمامًا، لشعر بأنه فى ورطة، وأن ذلك أصعب من أن يطلب منه أحد أن يكتب اسمه مرتين بنوعين مختلفين من الخط.

أما بخصوص اللغات، فإن الإنسان يتعلم اللغات التى يستخدمها عن طريق التقليد، فالإنسان يتعلم اللغات بطريقة عملية عن طريق تقليد الأم أو المرضعة أو الآخرين، إنه يكرر فقط ما سمعه من الآخرين، دون أى نوع من استخدام العقل، فإنه يستخدم قدراته كى يقلد على قدر المستطاع، وبمرور عشرة أعوام أو عشرين يتغير النطق اللغوى الذى اكتسبه عن طريق التقليد تلقائيًا، وهذا يوضح حقيقة أن الإنسان ليس عنده قدرة على التقليد تقليدًا كاملاً، وهكذا، كما هو واضح، فإن التقليد الكامل شىء يصعب الوصول إليه.

وعلى هذا، لو كان الإله خلق وجوه البشر على هيئة واحدة تمامًا بحيث لا يمكن التمييز بينهم، لدل هذا على أنه قادر على كل شىء، وفى نفس الوقت لو كانت الوجوه نضجت على ما هى عليه بفعل حرارة الشمس، لكان هذا دليلاً على حدوث تغيرات هائلة، وبالتالى على أن الإله غير قادر على كل شىء.

نسيتُ ما الذى أقحمنى فى هذا الموضوع، وأريدكم أن تعرفوا أنه إذا كان النسيان عند البشر أمرًا طبيعيًا ويحدث كثيرًا، فهو كذلك عند القطط ، وعلى كل حال عندما شاهدت اللص يفتح باب حجرة النوم ويصعد على الحُصْر، خفق قلبى تلقائيًا وشعرت بما وصفته سابقًا.

وإذا قِيل لى: لماذا خفق قلبك؟ فيجب أن أفكر كى أذكر الأسباب، نعم.. نعم.. الأسباب كالآتى:

قبل أن يظهر وجه اللص فجأة أمام عينىّ، كنت أتصور أن الإله غير قادر على كل شىء، ولكنى عندما شاهدت وجه اللص كان يحتوى على شىء مميز جدًا، تمييزًا ليس له مثيل، فلقد كان يشبه تمامًا وجه عزيزى السيد "القمر البارد"، كأنها فولة وانقسمت نصفين.

طبعًا أنا لا أعلم الكثير عن اللصوص، لكن من خلال أفعالهم السيئة هذه كان فى عقلى وقلبى انطباع عن وجوههم، فكنت أتخيل أن اللص حليق الرأس، ذو أنف صغير، على يمينه ويساره عينان فى حجم العملة المعدنية. ولكن عندما شاهدت وجهه وفكرتُ وجدتُ وجهه على خلاف ما تصورتُ تمامًا، اختلافًا كما بين السماء والأرض، ولم يكن جسمه قوىّ البنيان كما تصورت. كان رشيق القوام، حواجبه سوداء فاتحة، وسيمًا، لصًا تبدو عليه العظمة، وعمره نحو ستة وعشرين، ولكنه صورة طبق الأصل من "القمر البارد".

وإذا كان الإله استطاع خلق وجهين متشابهين تمامًا مثلهما، لم نستطع أن نقول إنه غير قادر على كل شىء، بل أكثر من ذلك، نقول إن التشابه تام لدرجة أننى ظننت أن "القمر البارد" أصابه الجنون؛ فجاء فى منتصف الليل ودخل علينا وهو الواقف أمامى الآن. ولكنى لم ألاحظ وجود براعم شعر لونها أسود فاتح بدأت تنمو تحت الأنف، فعلمت أنه ليس "القمر البارد"، و"القمر البارد" شاب وسيم ومحبوب كما يقول

البروفيسور "الفشار" و"الشيك (الآنسة ثرية)"، إنه منتَج إلهى مخلوق بمهارة تجعل الآنسة "ثرية" تريد الحصول عليه بأى طريقة، ولكن لو نظرنا جيدًا إلى هذا اللص من ناحية الهيئة، فسنجده جذابًا للنساء، لا تقل جاذبيته عن "القمر البارد" بأى قدر، فإذا كانت الآنسة "ثرية" قد جذبها فى "القمر البارد" جمال عينيه وجمال حديثه، وبلا شك إذا لم تقع فى غرام هذا اللص الذى يملك مقومات تحريك مشاعرها نحوه مثل "القمر البارد"، فليس عندها إحساس، ولكن بشكل عام فإن الإحساس لا يتوافق مع المنطق، وأكيد أنها ذكية وسريعة البديهة ولذلك إن لم تكن علمت بتلك الأمور من الآخرين، فستستطيع أن تعرفها من نفسها، وبالتالى لو قدمنا لها هذا اللص بدلاً من "القمر البارد"، فسوف تحبه من كل جوارحها، وأكيد سيكونان متفاهمين جدًا ويليق كل منهما بالآخر، أما "القمر البارد"، فكما يقول البروفيسور "الفشار" إذا تزوج بالآنسة "ثرية" فلن يستمر زواجهما، ولكن لدى هذا اللص فستستمر الزيجة طوال حياته، وعندما فكرت فى موضوع هذا الزواج وتوصلت إلى ذلك، شعرت بأن الآنسة "ثرية" ستكون فى أمان إذا تزوجت هذا اللص، وهذا يعنى أن الأهمية الكبيرة لوجود هذا اللص فى هذه الدنيا، قد تكون من أجل أن يجعل الآنسة "ثرية" تعيش حياة سعيدة.

كان اللص يحمل تحت ذراعه لفافة صغيرة، فنظرت جيدًا، فإذا بها البطانية القديمة التى كان الأستاذ "عطسة" قد ألقاها فى مكتبته، وقد لف حولها حزامًا أزرق منقطًا، والآن يرفع إحدى ساقيه كى يضعها على الحصيرة، فشاهدت قصبة ساقه

مـن عظـم الركبـة إلى أسـفل، وقـد كانـت ناصعـة البيـاض، وإذا بالأستاذ "عطسـة" -الـذى كان نائمًـا منـذ قليـل يحلـم وهـو واضـع إصبعـه فى الكتـاب الأحمـر- ينقلـب عـلى جنبـه الآخـر ويصيـح بصـوت عـال: **"القمـر البـارد"**.

وإذا باللـص يلقـى بالبطانيـة، ويسـحب سـاقه بسرعـة إلى الـوراء. وشـاهدت مـن خـلال الحاجـز الورقـى -الـذى يفصـل بـين حجـرة النـوم وخارجهـا- سـاقى اللـص وهـما تتحـركان بهـدوء وحيطـة إلى خـارج حجـرة النـوم، وإذا بالأسـتاذ "عطسـة" يهلـوس وهـو نائـم، ثـم ألقـى ذلـك الكتـاب الأحمـر بعيـدًا، وأخـذ فى حـكّ سـاعده بشـدة، كأنـه مصـاب بالجـرب، ثـم هـدأ وأبعـد الوسـادة عـن رأسـه واسـتكمل النـوم، وظـل اللـص فى الخـارج واقفًـا فى الشرفـة ينصـت لِـما بداخـل الغرفـة مـن أصـوات، وعندمـا تأكـد أن الأسـتاذ "عطسـة" وسـيدتى نائمـين، وضـع إحـدى سـاقيه عـلى الحصـيرة المفروشـة داخـل حجـرة النـوم، ولكنـه لم يسـمع هـذه المـرة: "القمـر البـارد".

وضـع اللـص قدمـه الأخـرى عـلى الحصـيرة، ولأن ضـوء الربيـع كان يدخـل الحجـرة بكثافـة، فقـد شـاهدت عـلى الحائـط خلفـى ظِـل اللـص بوضـوح يتحـرك مـن ناحيـة الصنـدوق نحـو منطقـة أعـلى رأسى، ثـم ظِـل وجـه اللـص يتحـرك عـلى منتصـف الجـدار، وعندمـا نظـرت جيـدًا إلى ظِـل ذلـك اللـص الوسـيم، شـعرت أن منظـره غريـب، كأنـه عفريـت بثمانيـة رءوس، ولقـد نظـر مـن أعلى إلى سـيدتى النائمـة ثـم ابتسـم ولا أعـرف لمـاذا ابتسـم، فتعجبـت أنـه حتـى ابتسـامته أيضًـا هـي ابتسـامة "القمـر البـارد" نفسـها.

وكان هناك صندوق بجانب وسادة سيدتى طوله 32 سم وعرضه 18 سم وارتفاعه 14 سم، وبه كثير من المسامير، ويبدو أنه مهم لها، وإلا لما وضعته بجانب وسادتها، وبداخله بطاطس جبلية أحضرها السيد "طاطارا" من مسقط رأسه منطقة "كاراتسو" بمحافظة "صاجا"، حيث إنه كان فى زيارة إلى أهله، وفى الواقع لم أسمع من قبل عن شخص يضع بطاطس بجانب وسادته وهو نائم كأنها زينة، وسيدتى لا تملك حُسن تقدير لوضع الأشياء فى مكانها المناسب، لدرجة أنها تضع السكر الذى يُستخدم فى طهو البطاطس فى أدراج ملابسها، وعلى ذلك فإن وجود بطاطس جبلية أو فجل مخلل فى حجرة النوم شىء عادى عندها، ولكن اللص ليس إلهًا ليعرف ما فى عقل هذه السيدة، وعليه فإنه أمر طبيعى أن يظن أن بداخل الصندوق أشياء ثمينة، وإلا لما وضعته بجانبها حتى وهى نائمة! فرفع اللص صندوق البطاطس قليلاً فوجده ثقيلاً كما توقع، فبدت عليه السعادة، فقلت لنفسى: هل سيسرقه؟! وشعرت فجأة بالدهشة من أن يسرق شخص وسيم مثله بطاطس جبلية، ولكنى تذكرت أننى إذا أصدرت صوتًا فسأكون فى خطر، ولذلك قررت أن أستمر فى هدوئى وألا أصدر أى صوت.

ثم وضع اللص صندوق البطاطس الجبلية فى البطانية القديمة وبدأ فى لفها بعناية فائقة، ثم نظر حوله يبحث عن شىء يربط به البطانية، ومن حسن حظه أنه وجد حزامًا قطنيًا قويًا كان الأستاذ "عطسة" قد خلعه قبل النوم، فأخذ اللص ذلك الحزام وربط به البطانية بقوة، ثم حملها فوق ظهره، ولم يبدُ أنه مهتم بمتعلقات النساء، فأخذ معطفين دون أكمام

للأطفال، وحشر كل معطف فى فردة سراويل داخلى مغزول من القطن للأستاذ "عطسة"، فانتفخ الجزء الذى وضع فيه المعطف وأصبح على شكل كرة، وأشبه منظرُه ثعبانًا يبتلع ضفدعة، أو ربما أفضل أن أشبّه منظره بأنثى الثعبان وهى حامل. المهم أن منظر السراويل أصبح غريبًا جدًا، وإذا لم تكن تصدقنى جرِّب وستعلم، ثم لف السراويل حول عنقه، فأصبحت يداه طليقات يستطيع أن يفعل بهما ما يشاء، ثم نظرت إليه جيدًا كى أعرف ماذا سيفعل بعد ذلك، فإذا به يفرد رداءً خفيفًا ومفتوحًا للأستاذ "عطسة" كأنه يفرد منديلاً، ويضع فى داخله حزامًا للأستاذ "عطسة" وزى التشريفة، وملابس داخلية، وأشياء أخرى، ويلف الرداء فوقها بعناية فائقة، فدُهِشت وأعجبت بقدرته الفائقة على تجميع أشياء كثيرة وربطها بمهارة، ثم ربَط حزامين قطنيين لزوجة الأستاذ "عطسة" معًا، وربط بهما ذلك الرداء المحتوى على كل تلك المقتنيات، وحمله بإحدى يديه.

ثم نظر حوله كأنه يسأل نفسه إن كان هناك المزيد ليُسرَق أم لا، فوجد علبة سجائر ماركة "أساهى (شمس الصباح)"، فأخذها ووضعها فى جيبه، ثم أخرجها مرة أخرى فأخذ منها سيجارة، وأشعلها من المصباح، ثم أخذ نفسًا عميقًا وأخرجه وعليه علامات السعادة والتلذذ بالسيجارة، وبينما كنت أنظر إلى المصباح ذى اللون الأبيض كاللبن، سمعت أصوات خطوات اللص تتجه واحدة تلو الأخرى فى اتجاه الشرفة، ثم لم أعد أسمعها، ولكن الأستاذ "عطسة" وزوجته كانا لا يزالان يغطان

فى نومهما، بينما كانت نار المصباح لا تزال مشتعلة، وهذا دليل على أن الإنسان مهمل.

وحينئذ شعرت بحاجة إلى النوم، وأننى إذا ظللت على وضعى هذا فسوف أسقط وأنهار، فخلدت للنوم، ونمت نومًا عميقًا، ولكن عندما استيقظت كان ضوء النهار يغمر المكان بشدة، وكان الأستاذ "عطسة" وزوجته يقفان مع شرطى عند المدخل الخلفى للمنزل ويتحدثان معه.

الشرطى: "تقول إن اللص دخل من هنا واتجه إلى حجرة النوم، وأنتما كنتما نائمين ولذلك لم تنتبها إلى وجوده، أليس كذلك؟".

فقال الأستاذ "عطسة" وهو يشعر بالحرج: "بلى، هو كذلك".

فسألهما الشرطى سؤالاً غير منطقى قائلا: "ما الساعة التى تمت فيها السرقة؟".

طبعًا إذا كانا يعلمان وقت السرقة لما سُرقا، ولكن الأستاذ "عطسة" وزوجته لم ينتبها إلى ذلك، وأخذا يتناقشان باهتمام بالغ كى يحددا وقت حدوث السرقة، فقال السيد لزوجته: "هل تعرفين كم كانت الساعة؟".

فقالت: "دعنى أفكر".

كأنها إذا فكرت فستعلم. ثم قالت الزوجة لزوجها: "ما الساعة التى نمت فيها أمس؟".

فقال: "بعد منتصف الليل بقليل".

فقالت: "لقد نمت قبلك بقليل".

فقال: "كم كان الوقت عندما استيقظتِ؟".

فقالت: "غالبًا نحو السابعة والنصف".

فقال: "إذًا ما الوقت الذى دخل اللص فيه إلى المنزل؟".

فقالت: "أكيد ليلاً".

فقال: "طبعًا ليلاً! هذا مفهوم ولا يحتاج إلى نقاش، المقصود من السؤال معرفة وقت دخوله إلى المنزل ليلاً".

فقالت وهى تجتهد فى محاولة إجابة السؤال: "لا أستطيع تحديد الوقت بدقة إلا إذا فكرت جيدًا".

وبما أن الشرطى سأل هذا السؤال لمجرد استكمال أوراق رسمية، وليست مهمة الإجابة عنه بدقة، ولا ضرر من عدم الإجابة عنه بدقة، كان مفترضًا أن يجيبا بأى إجابة حتى لو لم تكن الحقيقة، وبدا عليهما أنهما لا يستطيعان الإجابة، فبدت على الشرطى أمارات الضيق من طول نقاشهما فقال: "لا تعرفان وقت دخوله المنزل، أليس كذلك؟".

فقال الأستاذ "عطسة" وهو يشعر بالحرج: "تستطيع أن تقول ذلك".

فقال الشرطى بنبرة صارمة: "إذًا يجب أن تكتب شكوى لا بلاغًا، ولا توجهها إلى شخص معين. تكتب أنه فى عام كذا، شهر كذا، يوم كذا أغلقنا الأبواب ونمنا، ولكن لصًا اقتحم الباب وتسلل داخلاً وسرق كذا وكذا".

فقال الأستاذ "عطسة": "هل يجب أن نكتب بالتفصيل كل ما سرق؟".

قال الشرطى بطريقة عادية: "تكتب قائمة بالمسروقات، مثلاً رداء رجالى عدد كذا وتساوى نقدًا كذا، وبما أن السرقة حدثت فليس هناك جدوى من الدخول ومعاينة المنزل من الداخل".

ثم تركهما الشرطى وعاد من حيث أتى.

فأحضر الأستاذ "عطسة" ريشة كتابة وحبرًا ووضعهما على المنضدة وجلس، ثم استدعى زوجته وقال لها بطريقة فظة كأنه يتشاجر معها: "سوف أكتب شكوى بسبب السرقة، اذكرى لى جميع المسروقات، هيا بسرعة".

فقالت وهى تجلس وقد ربطت رداءها بحزام يُستخدم عند دخول الحمام للاستحمام: "ماذا تقول؟ كيف تأمرنى أن أذكر لك كل المسروقات فى الحال؟ من الذى يستطيع فعل ذلك؟!".

فقال: "ما هذا الحزام الذى ترتدينه! منظرك مثل خادمة تعمل فى فندق رخيص، لماذا لا ترتدين حزامًا جيدًا؟".

قالت: "إن كان لا يعجبك هذا الحزام فاشترِ لى آخر، ماذا تريدنى أن أفعل؟! لقد سرق اللص أحزمتى".

قال: "ماذا؟ اللص سرق أحزمتك! حتى الأحزمة سرقها! لص قذر، إذًا سنبدأ بتسجيل الأحزمة، ما الأحزمة التى سرقها؟".

قالت: "أحزمة! هل تعتقد أن عندى أحزمة كثيرة! إنهما حزام أسود وآخر قطنى".

قال: "حزام أسود وآخر قطنى، وكم ثمن الواحد؟".

قالت: "نحو ثلاثة ينات".

قال: "كيف ترتدين أحزمة باهظة الثمن هكذا؟! المرة المقبلة اشترى أحزمة بنصف هذا الثمن".

قالت: "وهل هناك حزام بهذا السعر الزهيد الذى ذكرته؟! أنت فعلاً كما يقول الناس عديم الإحساس، لا تهتم بزوجتك وتتركها ترتدى ملابس قذرة.. تهتم بنفسك فقط".

قال: "حسنًا، كفى كلامًا عن ذلك واذكرى لى بقية المسروقات".

قالت: "زى تشريفة خاص بى، كان ملك خالتى قونو، وقد حصلت عليه بعد وفاتها كذكرى، ولا يمكن أن تجد مثيلاً له هذه الأيام".

فقال: "هذا الشرح ليس بالمهم، المهم كم سعره".

قالت: " 15 ينًا".

قال: "كيف ترتدين رداء ثمنه غالٍ هكذا؟!".

قالت: "ما الخطأ فى ذلك؟ أنت لم تشتره لى".

قال: "عدّدى بقية المسروقات".

قالت: "حذاء أسود خفيف".

قال: "هل هو حذاؤك؟".

قالت: "لا، حذاؤك أنت، وثمنه ربع ين".

قال: "التالى".

قالت: "صندوق بطاطس جبلية".

فقال: "حتى صندوق البطاطس الجبلية سرقه؟! هل سيأكلها نيئة أم يسلقها؟".

قالت: "لا أعرف ما سيفعل بها، اذهب إليه واسأله".

قال: "ما ثمنها؟".

قالت: "معلوماتى لا ترقى إلى حد معرفة ثمن البطاطس الجبلية".

قال: "إذًا سأكتب اثنى عشر ينًا وربع ين".

قالت: "ما هذا الغباء؟! جاءت تلك البطاطس من منطقة كاراتسو بمحافظة صاجا، ولكن هذا لا يعنى أن يصل ثمنها لاثنى عشر ينًا وربع، كلام يحرق الدم".

قال: "لكنك قلت إنك لا تعرفين الثمن".

قالت: "طبعًا لا أعرف، ولكن ليس منطقيًا أن تبالغ فى الثمن إلى اثنى عشر ينًا وربع".

قال: "كيف لا تعرفين وتقولين إن اثنى عشر ينًا وربعَ ينٍ سعر مبالغ فيه! كلامك غير منطقى، أنت استيوبد".

قالت: "ماذا قلت؟".

قال: "استيوبد".

قالت: "ماذا! ما تعنى بكلمة استيوبد هذه؟".

قال: "لا شيء، وبخصوص قائمة المسروقات، ألا توجد أى ملابس تخصنى قد سرقها اللص؟".

قالت: "أنت تقول ما يحلو لك من كلام، لو سمحت قل لى ما معنى كلمة استيوبد".

قال: "كلمة ليس لها معنى، انسى ذلك".

قالت: "ما المانع أن تخبرنى بمعناها؟! أكيد أنك تسخر منى، أكيد أنك أهنتنى لأنك تعلم أننى لا أعرف الإنجليزية".

قال: "لا تقولى مثل هذا الكلام السخيف، قولى بسرعة ما التالى من المسروقات.. بسرعة، إذا لم نقدم الشكوى بسرعة، فلن تعود إلينا مسروقاتنا".

قالت: "حتى إذا كتبناها الآن لن يكون هناك متسع من الوقت لتقديمها اليوم، والأهم من ذلك أن تخبرنى معنى كلمة استيوبد لو سمحت".

قال: "أنت لحوحة، لقد قلت لك: لا معنى لها".

قالت: "إذا كان الوضع هكذا، فإنه لا توجد مسروقات أكثر مما ذكرت لك".

قال: "أنت متصلبة الرأى، افعلى ما شئتِ، لن أكتب أى مسروقات من الآن".

قالت: "وأنا لن أخبرك بعدد المسروقات، أنت من يُفترَض أن يكتب قائمة بها لا أنا، المشكلة مشكلتك".

قال: "إذًا فلننه هذه المحادثة".

ثم وقف فجأة وسار إلى مكتبته فدخلها، وذهبت السيدة إلى حجرة المعيشة حيث جلست أمام أدوات الحياكة، وظلا صامتين لنحو عشر دقائق، لا يكلم أحدهما الآخر، والباب مغلق يحول بينهما.

وفجأة تُفتح البوابة الأمامية للمنزل بقوة، ويدخل منها الشخص الذى أهداهما البطاطس الجبلية، وهو السيد "طاطارا". لقد كان السيد "طاطارا" تلميذ الأستاذ "عطسة"، ثم تخرج فى كلية الحقوق ويعمل الآن فى شركة استخراج فحم، وهو رجل أعمال حديث، ويُعد خليفة السيد "سوزوكى"، وأحيانًا يزور الأستاذ "عطسة" من حين لآخر بما أنه كان تلميذه، وعلاقته قوية بأهل المنزل، لدرجة أنه أحيانًا يقضى يوم الإجازة الأسبوعية فى المنزل منذ الصباح وحتى الليل.

ألقى السيد "طاطارا" تحية خفيفة وقال: "الجو اليوم جميل يا سيدتى"

فقالت: "من؟! السيد طاطارا!".

قال: "أين الأستاذ؟ هل هو فى الخارج؟".

قالت: "لا، إنه فى مكتبته".

فقال: "أكيد أنه يعمل فى مكتبته. حتى فى أيام العطلات! اليوم عطلة أسبوعية".

فقالت: "لا تخبرنى بذلك فما بيدى حيلة، أخبره هو".

فقال: "نعم، ولكن..."، ثم نظر حوله وقال بصوت خفيض لا يُعرف منه إذا كان يتحدث إلى نفسه أو يسأل السيدة: "ولكن أين الفتيات اليوم؟!".

وفي تلك اللحظة جاءت "طونقو" و"سونقو" تجريان باندفاع نحوه من الحجرة المجاورة.

قالت الأخت الكبرى "طونقو": "هل أحضرت لحمًا نيئا (سوشي)؟".

ونظرت هي وأختها الصغرى إلى وجه السيد "طاطارا"، ينتظران ردًا سريعًا منه بالإيجاب، لأنه كان قد وعدهما المرة السابقة بأن يحضر لهما سوشي، ولكن السيد "طاطارا" أحنى رأسه وقال معترفًا بالحقيقة: "إن ذاكرتكما قوية، سأحضره المرة المقبلة، لقد نسيت اليوم".

فقالت الأخت الكبرى: "شيء مؤسف".

وتبعتها أختها الصغرى تقلدها: "شيء مؤسف".

وعندما سمعت السيدة ذلك، انفرجت أسارير وجهها وضحكت.

فقال السيد "طاطارا": "لم أحضر سوشي، ولكني أحضرت المرة السابقة بطاطس جبلية، هل أكلتماها؟".

فسألت الأخت الكبرى السيد "طاطارا": "ما هي البطاطس الجبلية؟".

وتبعتها الصغرى مكررة السؤال نفسه: "ما هي البطاطس الجبلية؟".

فقال: "ألم تأكلاها بعد! اطلبا من أمكما أن تطهوها بسرعة".

ثم أضاف مفتخرًا ببطاطس بلدته: "البطاطس الجبلية المزروعة فى منطقة كاراتسو ليست كالتى تُباع فى طوكيو، إنها لذيذة المذاق جدًا".

وهنا تنبهت السيدة للحديث عن البطاطس الجبلية فقالت:

"شكرًا جزيلاً على البطاطس الكثيرة التى أحضرتها لنا المرة السابقة".

فقال: "لقد صنعت صندوقًا خصوصًا لوضعها فيه، كى لا يصيبها أى ضرر وتصل إليكم بشكلها الذى خرجت به من الأرض".

فقالت: "للأسف البطاطس التى أحضرتها سرقها لص".

قال السيد "طاطارا" بتعجب شديد: "لص؟! أكيدٌ لصٌ غبى، لص يحب البطاطس الجبلية؟!".

فقالت الابنة الكبرى: "هل دخل منزلنا لص يا أمى؟".

فأجابت الأم بصوت خفيض: "نعم".

فقالت الابنة الصغرى: "لص دخل المنزل! وكيف كان وجهه؟".

فارتبكت الأم ولم تعرف كيف تجيب عن هذا السؤال فقالت: "كان وجهه مرعبًا".

ثم نظرت إلى السيد "طاطارا"، فقالت الابنة الكبرى بتلقائية كأنها لا تتفوّه بكلام محرج: "وجهه مرعب؟! تقصدين أن وجهه كوجه السيد طاطارا؟".

فقالت الأم: "ماذا تقولين؟! لا تتفوّهي بكلام غير محترم كهذا".

في رأس السيد "طاطارا" من الخلف توجد بقعة صلعاء مساحتها نحو 3 سنتيمترات مربعة، ولقد حدث ذلك منذ شهر مضى، فذهب إلى الطبيب، فأخبره بصعوبة علاجها كي ينبت فيها شعر مرة أخرى، وكان ابنة الأستاذ "عطسة" الكبرى أول من اكتشف تلك البقعة الصلعاء، إذ قالت: "ما هذا؟ رأس السيد طاطارا يضيء مثل رأس أمي".

فقالت السيدة: "لقد قلتُ لك أن تصمتِي".

فقالت الابنة الصغرى: "وهل كان رأس لص أمس يضيء أيضًا؟".

فضحكت السيدة والسيد "طاطارا" تعجبًا من سؤالها، وصمتا إذ لم يعرفا ماذا يقولان، ثم حثت السيدة ابنتيها على مغادرة الحجرة: "هيا اخرجا إلى الحديقة والعبا، وسأحضر لكما حلوى لذيذة هناك".

ثم سألت السيدة السيد "طاطارا" بجدية: "ما مشكلة شعر رأسك؟".

قال: "لقد أكلت الحشرات شعر رأسي، وصعب جدًا أن ينبت مرة أخرى، وأنتِ ما مشكلة شعر رأسك؟".

قالت: "سؤال محرج، ولكن الحشرات لم تأكله، بل لأن السيدات يصففن شعرهن كثيرًا ويشكلنه على هيئة ذيل حصان؛ فيتساقط بعض الشعر فى موضع منبت ذيل الحصان".

فقال: "كل أنواع الصلع سببها البكتيريا".

فقالت: "عندى ليست البكتيريا".

فقال: "أنت عنيدة".

قالت: "ليس كل الحالات بسبب البكتيريا، ولكن ماذا يعنى الصلع باللغة الإنجليزية؟".

قال: " bald".

قالت: "هذا غير صحيح، إنها كلمة أطول".

قال: "لو سألتِ الأستاذ ستعرفين فورًا".

قالت: "الأستاذ لا يريد أن يخبرنى ولذلك أسألك".

قال: "لا أعرف إلا كلمة بولض، أىّ كلمة طويلة تقصدين؟".

قالت: "استيوبد، (استيو) تعنى عدم وجود شعر، و(بد) تعنى الرأس".

قال: "ربما تكونين على صواب، سأذهب إلى مكتبة الأستاذ وأبحث فى المعجم كى أتأكد من ذلك، ولكن ما يفعله الأستاذ غريب، إنه يجلس داخل المنزل، رغم أن الجو جميل فى الخارج، بهذه الطريقة لن يشفى من مرض المعدة، من فضلك انصحيه بأن يذهب فى نزهة خلوية لمشاهدة الزهور فى منطقة أوينو".

قالت: "أقنعه أنت بأن يفعل، إنه لا يقتنع بكلام النساء".

قال: "هل ما زال الأستاذ يأكل المربى؟".

قالت: "نعم، لقد اعتاد ذلك".

قال: "فى المرة الماضية قال لى إنه يشعر بالضيق لأنك قلتِ له إنه يُفرط فى أكل المربى، وإنه لا يأكلها إلى حد الإفراط، وإنك تصورتِ هذا خطأ، والسبب فى سوء الفهم هذا يرجع إلى أنك والبنات تأكلنها أيضًا".

قالت: "هذا كلام محرج، لماذا تقول هذا يا سيد طاطارا؟".

قال: "يبدو على وجهك أنك تأكلين المربى".

قالت: "هل تعلم ذلك من مجرد رؤية الوجه؟".

قال: "لا، ولكن ألست تأكلين ولو حتى القليل؟".

قالت: "طبعًا آكل القليل، لا ضرر أن آكلها، فإنها ملك لنا جميعًا".

قال ضاحكًا: "فعلاً، كلامك صحيح، ولكن بخصوص اللص، دخول لص إلى منزلكم حادثة خطيرة وغريبة، فهل سرق البطاطس الجبلية فقط؟".

قالت: "لو كان سرق البطاطس الجبلية لما كانت هناك مشكلة، ولكنه سرق جميع الملابس التى نرتديها يوميًا".

قال: "هذا يعنى أنكم الآن فى ورطة، ويجب أن تقترضوا مالاً، لو كان ذلك القط كلبًا لما دخل منزلكم لص، شىء محزن، أنصحك بتربية كلب كبير، القط لا فائدة منه، إنه يأكل فقط، وحتى الفئران، هو غير قادر على صيد فأر واحد حتى".

قالت: "لم يسبق له أن اصطاد فأرًا واحدًا، إنه قط بارد، لا يقوم بواجبه".

قال: "فعلاً، إنه عديم الفائدة، ألقيه فى الشارع بسرعة، أنا مستعد أن آخذه وأطهوه وآكله".

قالت: "ماذا؟! هل تأكل القطط؟!".

قال: "نعم سبق أن أكلتها، مذاقها لذيذ جدًا".

قالت: "أنت إنسان غريب، وقوى العزيمة جدًا لتفعل ذلك".

لقد سمعت عن طلاب عديمى الرحمة يأكلون القطط، ولكنى لم أتصور أبدًا أن يكون السيد "طاطارا" الذى أشاهده كثيرًا هنا واحدًا منهم، وبما أنه لم يعد طالبًا، ورغم أنه لم يحصل إلا على شهادة التخرج فى كلية الحقوق، تعين فى شركة "ميتسوى" فى يوم تخرجه، وهذا ما جعل كلامه هذا يدهشنى بشدة، وكما يقول المثل "لا تثق فى شخص لم تتعامل معه جيدًا"، فلقد اتضحت صحة هذا المثل، فقد انطبق هذا المثل على اللص شبيه "القمر البارد"، ولذلك فإننى أستطيع أن أقول "لا تتوقع من شخص لم تتعامل معه جيدًا ألا يكون آكل قطط"، وهذه حقيقة تعلمتها من السيد "طاطارا".

فعلاً "كلما عشنا فى الدنيا تعلمنا"، يسعدنى أن أتعلم الجديد ولكن أشعر مما أتعلم أن الأخطار أكثر مما كنت أعتقد، وأنه يجب علىّ ألا أتراخى أبدًا فى الحذر عند التعامل مع الآخرين، وأيضًا معرفةُ اللؤم والحقارة، فهى معرفة ببواطن الأمور،

ومعرفة بواطن الأمور تؤدى إلى أن نصبح قادرين على الدفاع عن أنفسنا، إذًا فقدرتنا على الدفاع عن أنفسنا، هى نتيجة لما نتعلمه فى الحياة، وإن تعلمنا من الحياة فهذا يعنى أننا أصبحنا كبار السن، وإن عدم وجود كبير سن أهطل، يرجع إلى سبب أنه تعلم من الحياة. وتصورت فى هذه اللحظة السيد "طاطارا" وهو يفكر كيف سيذبحنى ويضعنى فى إناء طهو ومعى بعض البصل، فتراجعت إلى أحد أركان الحجرة واختفيت هناك، وحينئذ سمع الأستاذ "عطسة" الذى كان قبل قليل يتشاجر مع زوجته صوت السيد "طاطارا"، فجاء من حجرة المكتبة إلى حجرة الضيوف يسير ببطء.

وإذا بالسيد "طاطارا" يحرج الأستاذ "عطسة" فى بداية حديثه معه قائلاً: "علمت أن لصًا دخل منزلك وسرقك يا أستاذى، هذا تصرف غبى".

فرد الأستاذ "عطسة" مادحًا نفسه بثقة فى ذكائه فقال: "طبعًا لص غبى أن يدخل منزلى".

فقال السيد "طاطارا": "طبعًا اللص غبى أن يسرق ممتلكات الآخرين، ولكن من تُسرق ممتلكاته ليس ذكيًا لدرجة كبيرة".

فتدخلت الزوجة تساند زوجها وقالت متهكمة: "طبعًا مثلك ممن لم تُسرق ممتلكاتهم، هم الأكثر ذكاءً".

فقال السيد "طاطارا": "ولكن الأغبى هو هذا القط، طبعًا هو كذلك، إنه لا يفكر فى أى شىء، فلا يصطاد الفئران ولا يفعل

شيئًا إذا دخل لص المنزل، اترك لى هذا القط يا أستاذ، فلا فائدة من وجوده هنا".

فقال الأستاذ "عطسة": "يمكن أن أعطيك إياه، ولكن ماذا ستفعل به؟".

قال السيد "طاطارا": "سأطهوه وآكله".

فوجئ الأستاذ "عطسة" بهذه الإجابة الحادة، مفاجأة أصدرت صوتًا من أحشائه الضعيفة، ولكنه لم يعلق على إجابة السيد "طاطارا"، ولم يقل السيد "طاطارا" إنه يصر على أن يأكلنى، فشعرت بسعادة غامرة لم أكن أتوقعها.

ثم غيَّر الأستاذ "عطسة" موضوع الحديث فقال بانكسار: "موضوع القط ليس المهم، المهم هو أن اللص قد سرق الملابس والجو بارد، ولا أستطيع تحمل البرودة".

لقد كان الجو باردًا فعلاً، فقد كان يرتدى حتى أمس رداءين ثقيلين من القطن، ولكنه الآن يرتدى فقط قميصًا بنصف كم ورداء شتويًا خفيفًا، يجلس طوال اليوم لا يتحرك، ولذلك فإن دورة الدم بطيئة فيتحرك كل الدم إلى المعدة فقط، ما يجعل الدم الذى يصل إلى الأطراف قليلاً.

ثم قال السيد "طاطارا": "حضرتك تعمل مدرسًا، هذا العمل ليس مربحًا، فإذا سرق لص منك القليل أصبحت فى مأزق، ما رأيك فى أن تغير عملك وتصبح رجل أعمال؟".

فقالت السيدة وكانت تجلس بجانبه: "الأستاذ يكره رجال الأعمال، فلا فائدة من هذا الكلام".

ولكـن كان يبـدو عليهـا أنهـا تتمنـى أن تـرى زوجهـا رجـل أعـمال.

فسأل السيد "طاطارا": "منذ متى بدأت العمل مدرسًا؟".

فقالـت الزوجـة وهـى تنظـر إلى زوجهـا: "هـذا العـام التاسـع لـه مدرسًـا".

ولكن زوجها لم يعلق على كلامها بإيجاب أو نفى.

فقـال السـيد "طاطـارا": "تسـع سـنوات ومـع ذلـك لم يرتفـع الراتـب، ومهـما اجتهـدت فى تحصيـل العلـم فلـن يمدحـك أحـد".

ثـم توجـه إلى السـيدة وقـال بيـت شـعر كان قـد درسـه فى المدرسـة الإعداديـة:

شمعة تحترق فى سكون كى تضىء لأهل الجحود

ولكنها لم تفهم معنى ذلك، فآثرت الصمت.

فقـال الأسـتاذ "عطسـة": "طبعًـا أنـا أكـره التدريـس ولكـن أكـره رجـال الأعـمال أكـثر".

وكان يقـول ذلـك ويبـدو عليـه أنـه مـا زال يفكـر بداخلـه فيـما يكرهـه.

فقالت الزوجة: "إنه يكره كل شىء".

فقـال السـيد "طاطـارا" مازحًـا بمـا لا يناسـب الموقـف: "هـل الـشىء الوحيـد الـذى لا تكرهـه هـو زوجتـك؟".

فـرد الأسـتاذ "عطسـة" بوضـوح واختصـار شـديد: "إنهـا أكـثر مـا أكره".

فنظرت الزوجة إلى الناحية الأخرى لبرهة، ثم توجهت بنظرها إليه مرة أخرى وقالت بهدف الانتقام: "أنت تكره أنك على قيد الحياة، أليس كذلك؟".

فأجاب إجابة غير متوقعة وبلا مبالاة: "فعلاً، لا أحبها كثيراً".

فشعر السيد "طاطارا" أنه لا يعرف ما يجب أن يقول تعليقًا على ذلك.

فغيَّر السيد "طاطارا" مجرى الحديث قائلاً: "إذا لم تذهب فى نزهة سير كرياضة فستزداد صحتك سوءًا يا أستاذى، ومن فضلك اعمل رجل أعمال، هذا لن يحتاج إلى مال قد تخسره أو أى شىء آخر".

فقال الأستاذ "عطسة": "ولكنك تضع مالاً فى هذا العمل وقد تخسره".

قال السيد "طاطارا": "لم أضع أى مال فى هذا العمل، فلقد التحقت بالشركة العام الماضى، ولكنى قد ادخرت مالاً أكثر منك".

فقالت السيدة باهتمام شديد: "كم من المال ادخرت؟".

فقال: "أكثر من خمسين ينًا".

فسألت السيدة فى دهشة: "إذًا كم راتبك الشهرى؟".

فقال: "ثلاثون ينًا، ولكنى أدخر آخر كل شهر خمسة ينات فى الشركة كى أستخدمها وقت الطوارئ. أنصحك بأن تشترى أسهمًا فى شركة سكك حديد العاصمة، سوف تشتريها بمبلغ

زهيد جدًا ولكنه سيتضاعف بعد ثلاثة أشهر، مال قليل ولكنه سيتضاعف مرة أو مرتين فى مدة قصيرة".

فقالت: "لو كنا نملك هذا المال ما شعرنا بضائقة بعد أن سرقنا اللص".

السيد "طاطارا": "لذلك ليس هناك حل إلا العمل كرجل أعمال، لو كنت درست الحقوق يا أستاذى والتحقت بشركة أو بنك لكان دخلك الآن 450 ينًا شهريًا، شىء محزن أن هذا لم يحدث، هل تعرف المهندس السيد سوزوكى يا أستاذى؟".

الأستاذ "عطسة": "نعم أعرفه، كان هنا أمس".

"طاطارا": "لقد قابلته فى إحدى الحفلات منذ فترة، وكنت قد حدثته عنك، وعندما عرف أننى كنت تلميذك قال لى إنه كان يسكن معك فى معبد كويشيكاوا، وهو يهديك السلام، وسيحضر قريبًا لزيارتك".

قال الأستاذ "عطسة": "لقد عاد إلى طوكيو منذ مدة قصيرة".

"طاطارا": "نعم، كان يعمل فى فرع الشركة فى جزيرة كيوشو، حيث مناجم الفحم، ولكنه عاد للعمل فى الفرع الرئيسى للشركة هنا فى طوكيو. إنه إنسان ذكى جدًا، كان يتحدث إلىّ فى الحفل بطريقة ودية كأنى صديق مقرب له. هل تعرف كم دخله الشهرى يا أستاذى؟".

الأستاذ "عطسة": "لا أدرى".

السيد "طاطارا": "راتبه 250 ينًا، وبجانب الحوافز يكون متوسط الدخل الشهرى 500 ين. شخص مثله يحصل على

دخل كبير، وحضرتك يا أستاذى رغم أنك أعلى مكانة فى تخصصك تعيش حياة صعبة، هذا شىء مؤسف".

فقال الأستاذ "عطسة" الذى لا تختلف وجهة نظره إلى المال عن الشخص العادى، والذى هو فى ضائقة كبيرة ويحتاج من المال إلى ضعف ما يحتاجه الشخص العادى: "فعلاً شىء مؤسف".

وبعد أن عمل السيد "طاطارا" إعلانًا عن مكاسب العمل فى مجال التجارة، لم يجد ما يقوله فسأل: "هل يحضر لزيارتك شخص اسمه السيد القمر البارد؟".

فقالت: "نعم يحضر كثيراً".

فقال: "ماذا يعمل؟".

فقالت: "باحث على درجة كبيرة من العلم".

قال: "وهل هو وسيم؟".

ضحكت وقالت: "مثلك فى وسامتك".

قال بطريقة جدية: "وسيم مثلى؟!".

فسأله الأستاذ "عطسة": "لماذا تسأل عنه؟".

قال: "قابلت منذ مدة شخصًا ما طلب منى أن أسأل عن السيد القمر البارد".

ولكنه تعمد عدم التصريح باسم الشخص الذى طلب منه السؤال عن السيد "القمر البارد".

قال الأستاذ "عطسة": "أكيد أنه رجل ذو شأن أعظم منك".

فقال بطريقة جدية لا تدل على ضحك أو غضب، وهذا هو أسلوب "طاطارا" فى الكلام: "أعظم منى!".

ثم قال: "هل سيحصل السيد القمر البارد على شهادة الدكتوراه قريبًا؟".

فقال الأستاذ "عطسة": "إنه حاليًا يكتب رسالة الدكتوراه".

فقال السيد "طاطارا": "إنه غبى أن يقضى وقته فى كتابة رسالة مثل رسالة الدكتوراه، كنت أعتقد أنه رجل اجتماعى وعنده وقت للتحدث مع الناس".

فقالت السيدة وهى تضحك: "أنت كالعادة لك وجهات نظر جريئة".

السيد "طاطارا": "قال لى من أراد أن أسأل عن السيد القمر البارد، إنه إذا حصل على شهادة الدكتوراه سيستطيع الزواج بابنة شخص ما، ولكنى وجدت ذلك غباء، شىء غير منطقى أن يحصل شخص على شهادة الدكتوراه من أجل التزوج بفتاة، وقلت لذلك الشخص: بدلاً من أن يجهدوا أنفسهم فى حل تلك المشكلات كى يستطيعوا أن يزوجوها بالسيد القمر البارد فليزوجونى بها، ولتنتهِ هنا مشكلتهم".

فقال الأستاذ "عطسة": "لمن قلت ذلك؟".

قال السيد "طاطارا": "الرجل الذى طلب منى أن أسأل عن السيد القمر البارد".

قال الأستاذ "عطسة": "هل هو السيد سوزوكى؟".

قال "طاطارا": "لا أستطيع التصريح باسمه الآن، إنه شخص له مقام عالٍ".

فقالت زوجة الأستاذ "عطسة": "أنت يا طاطارا تستأسد علينا، وتصبح فأرًا أمام ذلك الرجل، لماذا حضرت إلى منزلنا؟ حضرت تستعرض علينا قوتك، ولكنك أمام شخص مثل سوزوكى تصبح صغيرًا ومنكسرًا".

فقال: "طبعًا، إذا لم أفعل ذلك فسأكون فى خطر بالغ".

وإذا بالأستاذ "عطسة" فجأة يقول: "هيا نذهب فى نزهة يا طاطارا".

كان الأستاذ "عطسة" يشعر بالبرودة؛ فقد كان يرتدى رداءً واحدًا فقط، فاعتقد أنه إن تحرك فسيشعر بالدفء، ولذلك اقترح مشروع هذا القرار الذى ليست له سابقة، وطبعًا لم يكن أمام طاطارا إلا أن يقبل ما يقوله أستاذه.

السيد "طاطارا": "هيا نذهب، هل تحب أن نذهب إلى منطقة أوينو، أو نذهب إلى منطقة إيموزاكا ونأكل حلوى هناك؟ أنصحك يا سيدتى بأن تذهبى إلى هناك وتأكلى الحلوى، إنها ناعمة ورخيصة، ويمكن أن تحتسى الخمر هناك أيضًا".

وبينما كان يتحدث فى أشياء سخيفة، كان الأستاذ "عطسة" قد ارتدى قبعته ونزل إلى باب الخروج.

أما أنا فسوف أرتاح قليلاً، فلا أهمية لمعرفة ماذا فعل الأستاذ "عطسة" والسيد "طاطارا" فى حديقة "أوينو"، وكم عدد أطباق الحلوى التى تناولاها فى منطقة "إيموزاكا"، كما أننى لا

شجاعة لدىّ كى أتلصص عليهما، ولذلك سأختصر الكلام عن ذلك وأستغل ذلك الوقت فى الراحة. جميع المخلوقات لها حق من الخالق أن تحصل على راحة، جميع المخلوقات فى هذه الدنيا يجب أن تحصل على راحة كى تقوم بما يجب أن تقوم به كمخلوقات، فلو قال الإله إنه خلَقَنا لنعمل لا لنرتاح، فسأجيبه قائلاً: خُلقنا من أجل أن نعمل، ولكى نعمل يجب أن نحصل على راحة. حتى شخص عنيد مثل سيدِ منزلٍ أحيانًا يحصل على إجازة فى أيام ليست أيام إجازة أسبوعية؛ كى يرتاح ويجدد نشاطه. وبخصوصى، أنا أعمل ليلاً ونهارًا، وأتحمل كثيرًا من الكراهية والإهانة. ورغم أننى قِط، أحتاج طبعًا إلى راحة أكثر من الأستاذ "عطسة".

ولكن عندما نعتنى السيد "طاطارا" منذ قليل بأننى مخلوق ليست له قدرات وعديم الفائدة حتى فى أوقات العمل، جعلنى ذلك أشعر بالضيق، شخص عادى لا يقوم إلا بأعمال يدوية مثل السيد "طاطارا"، ولا يقوم بأعمال يتخطى تأثيرها الحواس الخمس، إذا قام بتقييم الآخرين فسيسبب لهم مشكلات؛ لأن نظرته لا تتخطى الأشياء المادية إلى أشياء معنوية، إذا لم نقطع ذيولنا ونتصبب عرقًا لن يفهم أننا نعمل. يُقال إن الراهب المسمى "ضاروما" كان يجلس للصلاة إلى أن تتعفن قدماه، ولم يكن يتحرك حتى إذا شاهد حشرة تزحف وعلى وشك أذيّة عين أو فم الراهب الأكبر، وطبعًا سكونه لا يعنى أنه كان نائمًا أو ميتًا، بل كان يتعبد، كان يفكر فى أن جميع الناس متساوون أمام الخالق.

ويُقال إن علماء الدين كانوا يبتكرون. طبعًا لم تكن ابتكاراتهم أن يجلسوا فى حجرة ويغلقوها ثم يزحفوا على الأرض وهم يفكرون فى الصفاء الروحى، بل كانوا يفكرون ضعف الشخص العادى، كان يبدو عليهم من الخارج الهدوء والسكينة، ولكن العامة كانوا ينظرون إليهم على أنهم أحياء أموات مثل المصابين بمرض التخشُّب، أو أشياء لا نفع لها، وإذا تكلموا يرفعون أصواتهم بكلام سيئ لا يريد سماعه أحد.

المشكلة أن الناس العاديين ينظرون إلى ظواهر الأشياء ولا ينظرون إلى بواطنها، وعلاوة على ذلك فإن السيد "طاطارا" شخصية من الطراز الأول، ينظر إلى الظاهر ولا ينظر إلى الباطن، ولذلك فإنه ينظر إلىّ كأنى براز. وللأسف فإن الأستاذ "عطسة" الذى قرأ قليلاً من كتب التراث والكتب المعاصرة وأصبح على قدر قليل من فهم حقائق الأمور، ينظر إلىّ نظرة احتقار كما يفعل السيد "طاطارا"، لا يرفض بوضوح فكرة أن يحولنى السيد "طاطارا" إلى وجبة "طاجن قطط".

ولكن إذا فكرتُ بموضوعية فسأتفهم لماذا يحق لهما أن ينظرا إلىّ باحتقار، فهناك حكمة قديمة تقول: **"لا يفهم العامة الكلام العميق".**

وإن مطالبةَ من له نظرة مادية إلى الأشياء بأن يفكر فى الروحانيات لهى أمر مستحيل، كاستحالة أن تسأل راهبًا أصلع أن يفرق شعر رأسه، أو أن تسأل سمكة تونة أن تلقى خطابًا، أو أن تسأل قطارًا أن يخرج عن السكة الحديد، أو أن تسأل الأستاذ "عطسة" أن يستقيل من عمله فى التدريس، أو أن تسأل

السيد "طاطارا" أن يكف عن التفكير فى المال.. جميعها أمور مستحيلة.

القطط حيوانات أليفة، تقيّم نفسها فترى أنها فى مكانة مرتفعة مقارنة ببقية الحيوانات، ولكن يجب عليها أن تتعامل مع بقية الكائنات بطريقة دبلوماسية إلى حدٍّ ما، والأستاذ "عطسة" وزوجته والخادمة والسيد "طاطارا" لا يقدرونني مثلما أقدرهم أنا، وهذا شىء مؤسف لا حيلة لى فيه، ولكن أن يصل الأمر إلى نتيجة غامضة، مثل أن يقوموا بنزع فرائى وبيعه لمتجر العود الموسيقى، أو تقطيع لحمى وتقديمه كطعام للسيد "طاطارا"، فهو أمر خطير لا يمكن السكوت عليه حتى لا يحدث فعلاً. أنا أملك عقلاً قد خلقه الإله لأفكر به، والقطط حيوانات موجودة منذ قديم الأزل، وهذا يعنى أن وجودها شىء مهم جدًا، كما يقول المثل: **"ابن الأغنياء لا يعرِض نفسه للأخطار".**

وبالتالى فإن من يفتخر بتميزه الكبير عن الآخرين، يجعل الناس يحسدونه ويكرهونه، ولذلك يجب ألا يشعر أنه مميز عن الآخرين وأن يصلح أحواله. وذلك مثيل أن نضع فى حديقة حيوان نمرًا عظيمًا بجانب خنزير عفن، أو أن نضع إوزّة ضخمة بجانب دجاجة صغيرة فى القفص نفسه، فهذا يعنى أننا نساوى بينهما، ووضع العادى فى المكانة نفسها مع المتميز تحقير من شأن المتميز، وبالتالى أن يطلبوا منى صيد الفئران تقليل من شأنى بأن يجعلونى على قدم المساواة مع أى قط عادى. عمومًا تحت هذا الضغط أنا مضطر إلى أن أقرر اصطياد فأر.

منذ فترة كانت هناك حرب كبيرة بين اليابان وروسيا، وبما أننى قط يابانى، فأنا أناصر اليابان، ولو كنت أستطيع تكوين فرقة من القطط بأنواعها كافة، وخربشة الجنود الروس بأظفارنا لفعلت، ونظرًا إلى صحتى الجيدة وحيويتى الكبيرة، لو كانت لدى أدنى نيّة لصيد فأر أو اثنين، لفعلتُ وأنا نائم دون بذل أدنى مجهود.

وقديمًا سأل شخص حكيمًا: "كيف أصل إلى معرفة بواطن الأمور؟".

فقال له الحكيم: "راقب جيدًا كما يراقب القط الفأر".

وهذا يعنى أن "من جَدَّ وجد"، كما يوجد مثل يقول: **"المرأة التى تدعى المعرفة تفشل فى التجارة".**

ولكن ليس هناك مثل بعد يقول: "القط الذى يدعى المقدرة يفشل فى صيد الفئران". وبالتالى لا نستطيع أن نقول إن قطًا ذكيًا مثلى يفشل فى صيد فأر. أيعقل أننى لا أستطيع صيد فأر؟! أيعقل أننى أفشل فى صيد فأر؟! إن سبب عدم صيدى فئرانًا حتى الآن، هو أننى لا أريد أن أصطادها.

جاء ليل اليوم من فصل الربيع مثلما جاء ليل أمس، إذ تساقطت أزهار شجرة الكرز كلما هبت الرياح، ودخلت المطبخ من الأماكن الممزقة فى الحواجز الورقية التى تفصل بين المطبخ والحديقة، وطفت فوق إناء الماء، فبدا لونها أبيض بفعل ما انعكس عليها من ضوء خافت للمصباح.

وبما أننى قررت أن أقوم الليلة بعمل كبير سيدهش الجميع دهشة شديدة، فقد بدأت فى تفقدِ المكان الذى ستدور فيه رحى المعركة، ودَرسِ تضاريسه بتركيز شديد. وأما موقع المعركة فليس كبيرًا، نحو ثلاثة عشر مترًا مربعًا، ثلاثة أمتار مربعة تحتوى على أحواض الغسيل فى المطبخ، وثلاثة أمتار أخرى لوضع زجاجات الخمر، ويوجد فرن عظيم لا يتناسب مع هذا المنزل الفقير، وغلاية كبيرة مصنوعة من النحاس الأحمر اللامع لغلى الماء، وخلفها مساحة ستين سنتيمترًا مربعًا من الألواح الخشبية، حيث يوضع إناء الطعام الخاص بى. وبالقرب من حجرة المعيشة يوجد أدراج بمساحة مئة وثمانين سنتيمترًا مربعًا لوضع أوانى طعام خشبية صغيرة. وأمام هذه الأدراج أدراج أخرى بمثل ارتفاعها ما يجعلك تشعر أن المطبخ أضيق مما هو عليه. وتحت تلك الأدراج مطحنة طعام وداخلها وعاء صغير موضوع على الجانب ومؤخرته ناحيتى. ويوجد فجل مبشور وبجانبه مضرب الطاحونة، وبالقرب منهما إناء ماء لإطفاء الحرائق يرقد فى هدوء واستعداد تام لإطفاء أى حريق، ويوجد فى مكان تلاقى أعمدة السقف عمود متدلٍ ومعلقة فى نهايته من أسفلَ سلةٌ كبيرة منبسطة تتحرك أحيانًا بلطف من أثر الرياح، كنت عندما حضرت إلى هذا المنزل لا أدرى لمَ يعلقون هذه السلة فى ذاك العمود، ولكنى فهمت لاحقًا أنهم يفعلون ذلك كى يضعوا فيها الطعام، لأن القطط لا تستطيع الوصول إليها، فشعرت من قمة رأسى إلى أخمص قدمى بأن الإنسان شرير يحب أذية الآخرين.

الآن سأضع خطة الحرب. والسؤال: أين سأقيم هذه المعركة مع الفئران؟ والإجابة: بالطبع فى الأماكن التى يظهرون فيها. ورغم أننى الآن أقف فى مكان مناسب للمعركة من ناحية التضاريس، فإننى إذا ظللت واقفًا هناك بمفردى فلن تحدث معركة أبدًا، وعليه يجب أن أبحث عن الأماكن التى يخرج منها الفئران إلى هنا، ولذلك سأقف فى منتصف المطبخ كى أستطيع النظر إلى جميع الاتجاهات وتحديد الأماكن التى يأتون منها.. أشعر وأنا أفعل هذا كأننى القائد العسكرى اليابانى "طوجو".

الخادمة ذهبت إلى الحمام العام ولم تعد بعد، أما البنات فهن نائمات منذ فترة، وأما الأستاذ "عطسة" فقد تناول حلوى من منطقة إيموزاكا وعاد إلى المنزل فدخل حجرة مكتبه وظل داخلها كالمعتاد، وأما زوجته فلا أدرى ماذا تفعل الآن، غالبًا هى نائمة تحلم بأكل البطاطس الجبلية. وأمام بوابة المنزل أحيانًا تمر العربات التى تُدفع باليد ويركبها الناس، ولكن بعد أن تمر أمام المنزل يعود السكون إلى سابق عهده. أما عن القرار الذى اتخذته والعزم على تنفيذه والضوء الساطع فى المطبخ وسكون المكان، فكلها كانت مجتمعة معًا تشجعنى على القيام بالبطولة، وجعلتنى أعتقد أننى القائد "طوجو" وليس شخصًا آخر، وأى شخص آخر سيكون فى هذا الجو سيشعر بقمة السعادة، ولكنى اكتشفت شعورًا بقلق كبير فى قاع شعورى بهذه السعادة الغامرة، حيث إننى مستعد لمحاربة الفئران ولا أشعر بالخوف منهم مهما كان عددهم، ولكن المشكلة أننى لا أعرف من أى اتجاه سوف يأتون! ومن خلال بحثى لموقع

المعركة أستطيع أن أقول بشكل عام إنهم سيأتون من أحد طرق ثلاثة.

فلو كانوا فئران مجارٍ، فبالتأكيد سيسيرون فى مواسير المجارى ويدخلون إلى حوض الماء ثم يسيرون خلف الفرن، وفى هذه الحالة سأتخفى خلف إناء طهو الطعام، وأعترض طريق عودتهم.

أو ربما يخرجون من البالوعة التى نلقى فيها الماء الساخن كى يُصرَف إلى المجارى، ثم يستديرون حول حمام الاستحمام، ويقفزون داخل المنزل فجأة دون أن يتنبه أحد، وفى هذه الحالة سوف أنتظرهم فوق إناء طهو الطعام، وعندما يأتون تحتى سأنقض عليهم من أعلى وأعضهم.

وعندما نظرت إلى المكان جيدًا من كل جانب شاهدت فتحة على شكل نصف دائرة أسفل أرفف الأوانى على الجانب الأيمن، فقلت لنفسى: ربما يدخلون ويخرجون من هذه الفتحة، وعندما اقتربت منها شممت رائحة فئران، فإذا خرجوا من هذه الفتحة، فسأنتظرهم خلف العمود، حتى إذا مروا بجانبه، أهاجمهم من الجانب وأصيبهم بأظفارى.

وإذا جاءوا من السقف، فسوف أستطيع مشاهدة السقف المغطى بالهباب شديد السواد، لوجود ضوء المصباح، ولكن الوضع سيكون كأن جهنم من فوق وليست بالأسفل، بمعنى أننى لن أستطيع الصعود إليهم أو النزول من عندهم، مستحيل أن يأتوا من السقف، ولكن سأكون حذرًا وأتعامل معهم على حسب الموقف.

وهناك احتمال أن يأتوا من الجهات الثلاث فى الوقت نفسه، فلو جاءوا من جهة واحدة لانتصرت عليهم، ولو جاءوا من جهتين لغلبتهم بعد مجهود كبير وبصعوبة، أما إذا جاءوا من ثلاث جهات فى الوقت نفسه، فلا يتوقع من قط مثلى أن يصطاد شيئًا، لن أستطيع فعل شىء، وسيكون محرجًا لى أن أطلب من القط الأسود الموجود عند صاحب العربة أن يساعدنى، وسيكون جرحًا لكرامتى.. إذًا ماذا أفعل إذا جاءوا من ثلاث جهات فى الوقت نفسه؟ إذا لم أعرف ما أفعل فى هذه الحالة، فأقصر الطرق إلى الشعور بالأمان والراحة وحل هذه المشكلة، أن أقرر لنفسى أن هذا لن يحدث، فمتى فكرتَ فى مشكلة مستقبلية ولم تجد لها حلاً، فطبيعى أن تفكر فى أنها لن تقع. هيا نر ما يحدث فى الدنيا، مثلاً نحن لا نستطيع أن نجزم بأن من تزوج أمس لن تموت عروسه اليوم، ولكن العريس يزين قاعة العرس بنباتات تمر حنة التى ترمز لطول العمر، ووجهه لا يبدو عليه أى قلق، فهو يتخيل أنهما سيعيشان حياة مديدة فى سعادة وسيفعلون هذا وذاك دون أن يقلق، ليس لأن القلق لا فائدة له، ولكن لأنه مهما قلق فلن يستطيع فعل شىء للقضاء على سبب القلق، وبما أننى لا أملك دليلاً على أن الفئران ستأتى من الجهات الثلاث فى الوقت نفسه، فإن عدم توقع حدوث ذلك مفيد لأنه يجعلنى أشعر بالراحة والأمان. الشعور بالراحة والأمان شىء مهم لجميع الأحياء، وأنا أيضًا أريد أن أشعر بالراحة والأمان، وبناء على ذلك فلن يحدث أن يهاجموا المنزل من الجهات الثلاث فى الوقت نفسه.

ولكن رغم كل ذلك ما زلت أشعر بالقلق، وتوصلت إلى سبب قلقى بعد أن فكرتُ جيدًا، لقد فاضلت بين الثلاث خطط وسألت نفسى: أى تلك الخطط الأقرب إلى التنفيذ؟ ولكنى لم أستطع إجابة هذا السؤال بوضوح، فشعرت بالضيق والقلق، فأعددت لهم خطة فى حال جاءوا من الفتحة التى بجوار رفوف الأوانى، وأعددت لهم خدعة إذا ما جاءوا من ناحية حمام الاستحمام، وخطة لمواجهتم إذا جاءوا من ناحية المواسير، ولكن ما يضايقنى أننى لا أستطيع تحديد خطة واحدة من تلك الخطط أقرب إلى التنفيذ كى أكون فى انتظارهم، ولقد شعر القائد العسكرى اليابانى "طوجو" بقلق كبير عندما كان يحارب الروس، وكان الأسطول الروسى على وشك أن يهاجم اليابان، ولكنه لم يكن يعلم: هل سيهاجم الأسطول الروسى اليابان عبر مضيق "تسوشيما" أو مضيق " تسوجرو" أو مضيق "صويا"، وأنا عندما أفكر فى الظروف التى تحيط بى الآن، أشعر بشكل عام أننى فى موقف يشبه موقف القائد "طوجو"، وأشعر أننى على قدم المساواة معه فى الإحساس بالمعاناة والقلق.

وبينما كنت منشغلاً بالتفكر فى الخطط التى أعددتها للفئران، أطلّ علىّ فجأة وجه الخادمة "أوصن" من الفتحة المزقة فى الحائط الورقى الفاصل بين الحجرة والشرفة، وليس معنى ظهور وجهها فقط أنْ ليس لها أيدٍ أو أرجل، ولكن الوقت كان ليلاً ولون وجهها يسقط شعاعًا قويًا على مقلتى عينىّ فلا أستطيع رؤية بقية أجزاء جسمها، ولأنها كانت قد عادت توًّا من حمام الاستحمام العام، كان وجهها الأحمر قد توهج احمراره عن الأوقات العادية، فدخلت الحجرة وأغلقت الباب

بالترباس، ثم سمعت صوت الأستاذ "عطسة" يقول: "ضعوا العصا بجانب وسادة النوم"، ولا أعرف لماذا يضع العصا بجانب وسادة النوم، فهل يفعل مثلما فعل قاتل مأجور فى الصين طلب منه عظيم أن يقتل حاكم مقاطعة أخرى، ولكن حاكم المقاطعة استولى على سلاح ذلك القاتل ثم قتله بسلاحه؟ هل يضع الأستاذ "عطسة" العصا بجانب وسادة النوم كى يستخدمها لضرب اللص؟! بالأمس وضع البطاطس الجبلية بجانب الوسادة واليوم العصا، فماذا سيضع غدًا؟!

ما زلنا فى بداية الليل وهذا ليس وقت حضور الفئران، سأنام قليلاً استعدادًا للمعركة الكبرى.

لا توجد نافذة فى سقف المطبخ، ولكنهم قطعوا جزءًا نحو ثلاثين سنتيمترًا مربعًا من سطح حجرة الضيوف، كى يكون فتحة للتهوية فى الصيف والشتاء، ومن هناك دخل نسيم يحمل عطر أزهار الكرز، فانتبهت واستيقظت، وفوجئت بضوء القمر ساطعًا، وظِل إناء الطهو مرتسِمًا بطريقة مائلة على الأرض، فخشيتُ أن أكون قد أفرطتُ فى النوم، فأنصتُّ عدة مرات جيدًا كى أسمع أى أصوات داخل المنزل، فلم أسمع إلا صوت دق الساعة كما كان يحدث أمس، وما عدا ذلك فهدوء تام، فقلت لنفسى: لقد حان وقت حضور الفئران، فمن أين سيأتون؟!

هناك صوت اهتزاز فى أرفف الأوانى، أكيد أن الفئران تضع أقدامها على الأوانى الصغيرة وتعبث داخلها، أكيد أنها ستأتى من هناك، فانتظرت فى هدوء بجانب الفتحة القريبة من الأرفف، ولكنى انتظارى طال ولم تخرج كما توقعت، وفوق

ذلك توقفت أصوات اهتزاز الأوانى الصغيرة، لكن أصوات اهتزاز الأوانى الكبيرة بدأت، وكانت تشتدّ أحيانًا، لقد كانت على الجانب الآخر من الباب مباشرة، وبناء على حاسة الشم عندى فإن المسافة بينى وبين تلك الأصوات لا تزيد عن مائة ملليمتر، وأحيانًا أسمع أصوات أقدامهم قريبة من الفتحة التى بجانب الأرفف، ثم يبتعد الصوت، ولا أشاهد حتى وجه فأر واحد أمامى، ورغم أن بابًا واحدًا فقط يحول بينى وبين أعدائى، كان يجب أن أقف بجانب فتحة خروجهم؛ فالموضوع يحتاج إلى صبر أيوب.

واضح أن الفئران فى مكان مغلق من كل جانب، ولذلك أقاموا حفلاً يرقصون ويستمتعون بوقتهم فيه، ولو كانت الخادمة "أُوصَنْ" تركت الباب مفتوحًا دون غلقه بالترباس لكنت استطعت الدخول، ولكنها ريفية غبية.

ثم انتقلت أصوات أقدامهم حيث إناء الطعام الخاص بى الموجود بجانب إناء طهو الطعام، فأدهشنى أن العدو تجرأ واقترب إلى هذا الحد، ثم شاهدت ذيل فأر يخرج قليلاً من وعاء صغير، ثم اختفى أسفل حوض الماء، ثم بعد برهة سمعت صوت اصطدام إناء شاى بإناء طعام فى حمام الاستحمام، ثم التفت خلفى فوجدت فأرًا كبيرًا قد أسقط معجون غسيل الأسنان، ثم جرى بسرعة حيث دخل تحت جدار المنزل، فقلت لنفسى: لن أتركه أبدًا، فعدوت خلفه إلى جدار المنزل ولكنى لم أجد له أى أثر.

يبدو أن اصطياد الفئران مسألة أصعب مما تصورت، فهل خُلِقتُ دون قدرة على صيد الفئران؟!

التففت حول حمام الاستحمام، فإذا بالفئران تخرج من أرفف الأوانى، وعندما بدأت أتنبه لما يحدث فى الأرفف، إذا بفئران أخرى تقفز من حوض الغسيل، فوقفت صامدًا فى منتصف المطبخ، ولكنى سمعت أصواتهم تتعالى رويدًا رويدًا وتأتى من الجهات الثلاث، ولا أعرف إن كان ما يفعلونه معى كُره أم احتقار، ولكنهم بلا شك ليسوا أعداءً نبلاء، فجريت هنا وهناك نحو خمس عشرة مرة وأنا أركز بشدة فى الإيقاع بأعدائى، ولكن للأسف لم أنجح ولو حتى مرة واحدة، فلكى تواجه أعداءً أقزامًا هكذا لن تجد خطة تناسب حجمهم الصغير هذا، ولا حتى القائد "طوجو" يستطيع وضع خطة للتعامل معهم. فى البداية كنت أشعر بالشجاعة والرغبة فى قتالهم، بل الوصول إلى أسمى درجات الجمال وهى التضحية، ولكن فجأة شعرتُ بالضيق وأن ما أفعله ضرب من الحماقة، وأحسستُ بالإرهاق والرغبة فى النوم، فجلست فى منتصف المطبخ غير قادر على الحركة، وأخذت أنظر إليهم فى كل اتجاه نظرات تحدٍّ، فلم يستطيعوا فعل شىء يؤذينى، لأنهم أقزام.

ولكن.. تلاشى شعورى بأن أعدائى مجرد كيانات صغيرة غبية، وأن النصر حليفى، ولم يتبق لى إلا الشعور بالغيظ تجاههم، وبعد ذلك ذهب عنى غيظى وانتهت نظراتنا المتبادلة الدالة على تحفز كلٍّ للآخر، ثم أصبحت شارد الذهن، وقلت فى نفسى: افعلوا ما يحلو لكم، فأنا لا أستطيع أن أفعل أى شىء، إننى أحتقركم أشد احتقار. وبعد أن تعبت بشدة من اللف

والـدوران، شـعرت فجـأة بالرغبـة فى النـوم. سـأنام! رغـم أننـى فى معركـة وأعـدائى يحيطـون بى، فمـن المهـم أن آخـذ قيلولـة.

فوجئـت بهـواء قـوىّ محمـل بعبـير الزهـور يهـب عـلىّ مـن طاقـة التهويـة الموجـودة فى السـقف إلى داخـل المطبـخ، وفـأر يخـرج بسرعـة ناحيتـى كطلقـة رصاصـة، فيعـض أذنى اليـسرى، وبعـد ذلـك شـاهدت شـيئًا أسـود يلتـفّ خلفـى، وفى الحـال وجدتـه يتعلـق بذيـلى، حـدث هـذا فى لمـح البـصر، فوجدتنـى أقفـز إلى أعـلى بتلقائيـة دون أى هـدف، فجمعـت كل قـوتى وقـررت أن أطـرح هـذه العفاريـت أرضًـا، ولكـن أحدهـم كان يقبـض عـلى أذنى بأسـنانه ففقـد توازنـه فسـقط عـلى أحـد جانبـى وجهـى، ودون توقـع، دخلـت مؤخـرة ذيلـه الناعـم كالمطـاط فى فمـى، فضغطـت عـلى ذيلـه بـكل قـوة وحركتـه يمينًـا ويسـارًا كى أقطعـه، فانفصـل ذيلـه عالقًـا بـين أسـنانى الأماميـة، وفـرّ الفـأر مصطدمًـا بحائـط مغطـى بصحيفـة قديمـة، وسـقطت أنـا عـلى ظهـرى فـوق لـوح خشـبى، وحـين كنـتُ عـلى وشـك الوقـوف تحسسـت أنفـى فوجدته دائريًـا كالكـرة كأنـه ضُرِب بشـدة، ثـم وقفـت فى رعـب عـلى حافـة رف مُعلّـق، بحيـث كان هـو يقـف عـلى أرفـف الأوانى ينظـر إلىّ مـن أعـلى. وأنـا أقـف أسـفله عـلى لـوحٍ أنظـر إليـه لأعـلى.

المسـافة بينـى وبينـه مائـة وخمسـون سـنتيمترًا، وضـوء القمـر يسـقط أفقيًـا عـلى شـكل حـزام طويـل.

فاسـتجمعت قـواى فى رجـلىّ الأماميتـين وقـررت أن أقفـز لأرفف الأوانى، فاسـتطعت التعلـق بهـما فى حافـة الأرفـف، ولكـن الرجلـين الخلفيتـين لم تصـلا إليهـا فأصبحـت معلقًـا فى الهـواء، والـشىء

الأسود الذى كان ممسكًا بذيلى ظل قابضًا عليه بقوة ولا يريد أن يتركه.

أنا فى خطر.

حاولت التقدم إلى الأمام اعتمادًا على قدمىّ الأماميتين ولكن ما يحمله ذيلى من وزن حال دون ذلك، وإذا ما استمر هذا الوضع عدة دقائق فسوف أتزحلق وأسقط.

صرت فى خطر كبير.

صرير أظفارى وأنا أحاول التشبث بالأرفف يُسمع هناك وهناك، حاولت مرارًا وتكرارًا أن أظل ممسكًا بحافة الأرفف بأظفار قدمى اليسرى، ولكنى فشلت بامتياز، فانزلقت قدمى اليسرى عن حافة الأرفف، وظللت متعلقًا بقدمى اليمنى فقط، فجعل جسمى يدور حولى بفعل ثقله وثقل الشىء الأسود المعلق بذيلى، وإذا بالعفريت الذى كان يجلس فوق الأرفف ينظر إلىّ بتنمر دون حراك، ثم إذا به يقفز على جبهتى كحجر يسقط من أعلى الأرفف.

أوشكت أظفارى أن تنفصل عن حافة الأرفف، وأصبحنا نحن الثلاثة على وشك أن نسقط قاطعين ضوء القمر رأسيًا، وفى الرف الأسفل كان يوجد إناء عميق به وعاء وعلبة مربى فارغة، فسقطوا على وعاء ماء إطفاء الحريق أسفلَهم، فانزلق نصفهم فى داخل وعاء ماء والباقى على أحد الرفوف، متسببين فى ضجة أرعبتنى لحد الموت.

"لييييييص"!

أجفلَنا صوتٌ جهورى أجش يصيح بذلك. كان صوت الأستاذ "عطسة" الذى قفز من حجرة النوم إلى المطبخ، ممسكًا بيده مصباحًا، وبالأخرى عصا، وفى عينيه بريق حاد يدل على انتفاضته فجأة من النعاس. بينما كنت أنا قابعًا فى صمت بجانب إناء طعامى، بعدما هرب الفئران واختفوا فى أرفف أوانى الطعام. صاح الأستاذ "عطسة" وهو ينظر حوله قائلاً:

"مَن هنا؟ من الذى أصدر تلك الأصوات العالية؟".

وقد مال القمر ناحية الغرب، وتضاءل مسقط ضوئه الأبيض فى المطبخ إلى النصف.

الجو حار لدرجة أن القطط لا تستطيع تحمله، ويُقال إن الكاتب الإنجليزى "سيدنى سميث" قال ذات يوم: **"أريد أن أنزع جلدى ولحمى وأظل فقط بعظامى كى لا أشعر بحرارة الجو".**

أنا لا أريد أن أصل إلى حد نزع جلدى ولحمى والإبقاء على عظامى فقط، ولكن على الأقل أن أغسل فروتى الصوفية البنية المنقطة هذه، أو أرهنها لمدة عند أى متجر رهن.. مؤكد أن الإنسان يظن أن القط له الوجه نفسه على مدار العام، وأن وجهه لا يتغير بتغير فصول السنة من ربيع إلى صيف أو من خريف إلى شتاء، وأنه يحيا حياة آمنة وبسيطة ليس لها علاقة بالمال، ولكن على الرغم من أننا قطط نشعر جيدا بالحرارة والبرودة، وعلى كل حال طبيعى أن أرغب فى الاستحمام بالحمام وأن أغطى كامل جسمى بالماء الدافئ، ولكن ليس بيدى حلية، فإن تجفيف فروتى الصوفية هذه بعد وضع مياه دافئة عليها

ليس أمرًا هينًا، ولذلك ليس أمامى إلا أن أتحمل رائحة عرقى، فرغم بلوغى هذا العمر لم يسبق لى أن دخلت حمام استحمام كى أستحم، وأحيانًا أرغب فى استعمال مروحة يد كى تخفف الحرارة عنى، ولكن للأسف لا أستطيع الإمساك بها، وحين أفكر فى قدرة البشر على فعل مثل تلك الأشياء أدرك كم أنّ البشر يعيشون فى إسراف وتبذير، فهم يطهون الطعام الذى يمكن تناوله طازجًا، وأحيانًا يقلونه أو يخللونه، ويضعون عليه ما يحبون من مكسبات طعم وأشياء أخرى، ورغم أن ما يفعلونه مُرهق وغير مفيد، يشعرون بالسعادة به.

والشىء نفسه يُقال عن الملابس، فإذا كان القطط ولدوا وهم يرتدون رداءً (فروًا) واحدًا مدى الحياة، فإن البشر يختلفون عنهم فى هذا، فيستطيعون أن يحيوا دون وضع كثير من الملابس فوق جلودهم، فإنهم يلبسون صوف الماعز، وحرير دود القز، وحتى نباتات القطن، إنهم يعيشون عالة على الماعز ودود القز والقطن، ويسعنا أن نقول إنه إسراف وتبذير قائم على نقص العقل.

لن أتمادى فى الحديث عن الملابس والمأكولات أكثر من هذا، ولكنى لا أستطيع أن أفهم لماذا يتمادى البشر فى فعل مثل تلك الأشياء، وخاصة فعل ما ليس له فائدة أو يُسبب ضررًا مباشرًا لحياتهم! فأولاً: بخصوص شعر الرأس فإنه ينمو من تلقاء نفسه، وعليه فإن أفضل طريقة للتعامل معه هو تركه على وضعه كما هو، فذلك أسهل وأنفع للشخص، ولكن البشر يغيرون شكل شعورهم إلى أشكال كثيرة ومختلفة وليس لها فائدة.

مثلاً من يُطلق على نفسه راهب، دائمًا يحلق شعر رأسه تمامًا، ولكن عندما يكون الجو حارًا يضع مظلة أعلى رأسه، وعندما يكون الجو باردًا يلف رأسه بغطاء، وبما أنه يفعل ذلك فليس هناك فائدة من حلق شعر رأسه.

وبجانب ذلك هناك بشر يستخدمون أداة مثل المنشار يُقال عنها مِشط، ويفرِقون شعر رءوسهم فى الوسط، وتبدو عليهم السعادة لفعل ذلك، وهناك من لا يفعلون ذلك، بل يفرقونه بطريقة صناعية من جانب الرأس إلى اليمين واليسار، وبعضهم يطيل الفرق إلى أن يصل إلى مؤخرة الرأس.

وبجانب ذلك هناك من يحلق تمامًا شعر الجزء العلوى من رأسه، ويترك شعر الجانب الأيمن والأيسر طويلاً، فيبدو رأسه كإطار مربع الشكل، مثل مشتل محاط بسور من أشجار الأرز. وهناك من يقص شعره كى يصبح طوله تسعة ميللمترات، أو ستة، أو ثلاثة. وربما يظهر إنسان معجزة يحلق شعره حتى قفاه وبحيث يكون طول الشعر غائرًا ثلاثة ميللمترات، أو غائرًا ستة ميللمترات، المهم لماذا يعذب الإنسان نفسه بفعل هذه الأشياء عديمة النفع؟! ما الذى يريد الوصول إليه من فعل هذا؟!

رغم أن الإنسان له أربع أرجل، فإنه يستخدم اثنتين فقط، وهذا تبذير وإسراف، يستطيع أن يسير مسافة طويلة إذا استخدم أرجله الأربع، ولكنه يفعل ذلك باثنتين فقط، ويترك الأخريين مرتخيتين لا يفعل بهما أى شىء، وهو بذلك مثل أسماك

القد الموضوعة فى الشمس للتجفيف، فهى أيضًا لا تفعل شيئًا، وطبعًا هذا تصرف أحمق وسخيف.

وعندما ننظر إلى ما سبق يتضح أن الإنسان عنده وقت فراغ أطول من القطط بكثير، وأنه مخلوق ممل، فهو يستخدم وقت فراغه فى التفكير فى اللهو كى يستمتع، ولكن الغريب فى هذا أنه عندما يجتمع هنا وهناك مع الآخرين، دائمًا يدعى الانشغال الشديد، وليس هذا فقط، بل دائمًا يتسرع فى فعل كل شىء، ويتصنع أن الانشغال سوف يقتله، وعندما يرون القطط يقولون: نتمنى أن ننعم أحيانًا بوقت فراغ مثل القطط، ولكن إذا كانوا يريدون فعل ذلك فليفعلوه، لم يطلب منهم أحد أن ينشغلوا ويتسرعوا هكذا، هم الذين يحمِّلون أنفسهم ما لا طاقة لهم به ثم يقولون إنهم مشغولون ومرهقون. إنهم مثل من يوقد نارًا كبيرة ثم يصيح ضيقًا: "الجو حار، حار"، فإذا جاء يوم نفكر فيه نحن القطط فى عشرين نوعًا من قص الشعر، فبالطبع لن ننعم براحة مثلما نحن الآن، إن أراد الإنسان الشعور بالراحة فيكفيه أن يرتدى رداءَ صوف واحدًا طوال العام حتى فى الصيف، مثلما نرتدى نحن فروًا واحدًا.

ولكنه سيشعر بقليل من الحرارة، فى الحقيقة سيشعر بحرارة شديدة.

ووسط هذا الجو الحار لا أستطيع الاستمتاع بالقيلولة التى أنعم بها دائمًا.

ماذا أفعل عوضًا عن ذلك! لقد كنت ألاحظ المجتمع البشرى منذ فترة ولكنى تركت ذلك، ولذلك فكرت أن أعود إلى

ملاحظة جميع تصرفات المجتمع البشرى بما فى ذلك التصرفات الصغيرة، ولكن للأسف فإن الأستاذ "عطسة" له شخصية قريبة من شخصية القطط: ينام القيلولة مثلما أفعل أنا، وبعد أن يحصل على الإجازة الصيفية لا يفعل أى عمل يدل على أنه إنسان. ومهما حاولت أن ألاحظ تصرفاته فإننى أتراجع عن فعل ذلك كل مرة. وفى مثل هذا الوقت إذا جاء البروفيسور "الفشار" فسوف يدور الكلام حول معدة الأستاذ "عطسة" الحساسة، وبالتالى تبتعد تصرفات الأستاذ "عطسة" عن تصرفات القطط، ولذلك تمنيت أن يأتى البروفيسور "الفشار". وحينئذ سمعت صوت شخص ما يبدو أنه يغتسل، وللماء صوتٌ كأنه يسقط بقوة.. ليس هذا فقط، بل سمعته يصيح من حين لآخر بصوت مرتفع:

" هذا يكفى".. "أشعر براحة"..."المزيد من فضلك".

ويصل صدى صوته إلى كل أرجاء المنزل، ولا يوجد إلا شخص واحد يأتى إلى المنزل فيتحدث بصوت عال وبطريقة غير لائقة.. طبعًا إنه البروفيسور "الفشار".أخيرًا حضر. وبالتالى سوف يمر نصف اليوم دون إنتاج.

كان البروفيسور "الفشار" يتصبب عرقًا، فدخل حجرة الضيوف كالعادة وهو يسير كأنه فى منزله، ثم قال بصوت عال موجهًا كلامه لزوجة الأستاذ "عطسة" وهو يضع قبعته فوق الحصيرة:

"ماذا حدث للأستاذ عطسة يا سيدتى؟".

وكانت زوجة الأستاذ "عطسة" فى الحجرة المجاورة لحجرة الضيوف مستغرقة فى النوم بجانب صندوق أدوات الحياكة، ويبدو عليها الاستمتاع، حين انتفضت على صوتٍ كنباح كلب أو ما شابه يخترق طبلة أذنها، فقامت مفزوعة وجاهدت لفتح عينيها، ثم اتجهت صوب حجرة الضيوف، فوجدت البروفيسور "الفشار" مرتديًا معطفًا من الكتان وجالسًا فى المكان الذى أعجبه، يروّح على نفسه بمروحة يد.

فقالت: "البروفيسور! حضرتك شرفت؟!".

ثم أردفت بسرعة: "لم يخبرنى أحد بتشريف حضرتك لنا".

وانحنت احترامًا له بينما كان العرق يتصبب من مقدَّم أنفها.

فقال: "لقد حضرت توًّا، وقد صبت الخادمة أوصن بعض الماء على رأسى، فشعرت أننى قد عدت إلى الحياة مرة أخرى، يا له من حر شديد".

فقالت وما زال العرق يتصبب من على أنفها:

"رغم أننى لم أخرج من المنزل لعدة أيام ولم أبذل مجهودًا شاقًّا فى أى شىء فإننى أشعر بالحرارة، لدرجة أنى أتصبب عرقًا من تلقاء نفسى.. لكن يبدو عليك أنك بصحة جيدة، أليس كذلك؟".

فقال: "نعم شكرًا على سؤالك عنى، حرارة الجو لا تؤثر فِىّ بدرجة كبيرة، طبعًا الجو حار على نحو غير عادى، وهذا يجعلنى أشعر بضعف".

فـردت قائلـة: "وأنـا أيضًـا، فأنـا لا أنـام فى أثنـاء النهـار أبـدًا، ولكـن لأن الجـو حـار جـدًا فقـد نمـت دون أن أشـعر".

فقـال مجاملاً كالعـادة: "ومـا المانـع؟! تسـتطيعين النـوم نهـارًا أو ليـلاً، افعـلى ما تشـائين".

ثـم أضـاف، وكان يبـدو عليـه التعـب أكـثر مـن المعتـاد: "أمـا أنـا فمعتـاد عـلى عـدمَ النـوم، إنهـا طبيعتـى، ولكـن كلـما حـضرت هنـا وجـدت الأسـتاذ عطسـة نائمًـا، إننـى أحسـده عـلى ذلـك، ولكـن طبعًـا حـرارة الجـو تؤثـر سـلبيًا فى المـرضى بضعـف المعـدة، حتـى الشـخص الـذى يتمتـع بالصحـة يشـعر اليـوم بالإرهـاق والضعـف والنعـاس مـن شـدة الحـرارة لدرجـة أنـه لا يسـتطيع أن يرفع رأسـه، وبالطبـع لا يسـتطيع أن يخلـع الـرأس مـن مكانـه ويضعـه جانبًـا".

ثـم قـال: "طبعًـا لا تسـتطيعين الجلـوس يـا سـيدتى كى تعتنـى بشـعر رأسـك، لأنـه كثيـف وبالتـالى ثقيـل، فطبيعـى أن تشـعرى برغبـة فى النـوم".

هنـا انتبهـت الزوجـة إلى أنهـا حـضرت إلى حجـرة الضيـوف دون أن تصفـف شـعرها، فشـعرت بالخجـل مـن تنبهـه إلى ذلـك وتحدثـه عنـه، فضحكـت قائلـة: "قلـت مـا يُحـرج".

ثـم تطـرق البروفيسـور "الفشـار" إلى موضـوع غريـب، فقـال دون خجـل:

"لقد حاولت أن أقلى بيضًا أمس على السطح يا سيدتى".

فقالت: "كيف تقلى بيضًا على السطح؟!".

فقال: "لقد كان السطح ساخنًا جدًا فقررت أن أستفيد منه، فوضعت سمنًا ثم كسرت البيض عليه".

فقالت: "أحقًا فعلت هذا؟!".

فقال: "ولكن حرارة الشمس لم تكن كما توقعت. لم ينضج حتى إلى نصف مقلى، فنزلت إلى أسفل وبدأت أقرأ الصحيفة وإذا بضيف يأتى فنسيت البيض، ولكنى تذكرته اليوم صباحًا فصعدت إلى السطح متوقعًا أن يكون نضج".

فقالت: "وهل نضج؟".

قال: "لا، لم ينضج، بل سال على السطح".

فقالت بدهشة شديدة: "يا لها من خسارة!".

ثم قال: "ولكن الغريب أن الجو لم يكن حارًا فى منتصف الصيف، ثم أصبح حارًا جدًا ونحن الآن فى نهايته".

فقالت: "فعلاً هذا كلام صحيح، سابقًا كنت أشعر بالبرودة عندما أرتدى رداءً واحدًا، ولكن منذ أمس الأول أصبح الجو حارًا فجأة".

فقال: "كل شىء يسير على نحو عادى، ولكن الجو فقط الذى يسير إلى الخلف، أو ربما الأحداث ستحدث بطريقة عكسية من الحاضر إلى الماضى".

فقالت: "ماذا تقول؟ لم أفهم جيدًا ما تقصد".

فقال: "لا شىء، كلام ليس له معنى عميق كى تحاولى فهمه".

ثم استمر فى كلامه الغريب فقال: "أقصد أن المناخ يسير بطريقة عكسية مثل بقرة هِرَقل".

ولكن كما هو متوقع، فإن زوجة الأستاذ "عطسة" لم تفهم ما يقول، ولكنها علقت على كلامه فقط بكلمة: "شىء عجيب".

ولم تسأل أكثر من ذلك خوفًا من أن يحرجها ولا يجيب سؤالها كما فعل منذ قليل، ولكن البروفيسور "الفشار" شعر بالضيق من أنها لم تسأله، فقد كان يهدف من ذلك الكلام إلى أن تسأله، ولذلك قال:

"هل تعرفين قصة بقرة هرقل؟".

فقالت: "لا أعرف شيئًا عنها".

قال: "لا تعرفين عنها شيئًا؟! إذًا سأحدثك عنها".

وأرادت السيدة أن تقول: ليس مهمًا أن تفعل، ولكنها وجدت ذلك محرجًا له، فتراجعت وقالت: "تفضل".

فقال: "حدث منذ زمن بعيد أن هرقل كان يسحب بقرة".

قالت: "هل هرقل راعى بقر؟".

قال: "ليس راعى بقر، ولا صاحب محل جزارة، لم يكن فى هذا الزمن فى اليونان محلات جزارة".

فقالت وهى لا تعرف فقط إلا اسم دولة اليونان: "ماذا؟ هذه قصة حدثت فى اليونان! كان يجب أن تخبرنى فى البداية أنها حدثت فى اليونان".

قال: "طبعًا، فأنا أتحدث عن هرقل".

قالت: "وهل هرقل يونانى؟".

قال: "نعم إنه بطل يونانى".

قالت: "هذا هو سبب عدم معرفتى.. عمومًا ماذا فعل هذا الرجل؟".

قال: "هذا الرجل نام كما كنت تنامين نومًا عميقًا".

قالت: "هذا كلام مُحرِج".

قال: "وفى أثناء نومه جاء فولكان".

قالت: "مَن فولكان هذا؟".

قال: "إنه حداد، وقد سرق ابنه البقرة، سحب البقرة من ذيلها وهرب بها، وعندما استيقظ هرقل أخذ يبحث عنها وينادى: أين بقرى؟ أين البقرة؟

وكان طبيعيًا ألا يعرف، فإن ابن الحداد لم يسحبها من الأمام بحيث تسير إلى الأمام، بل سحبها من الخلف، فكانت تسير بطريقة عكسية إلى الخلف، فرغم أنه ابن حداد نجح نجاحًا باهرًا فى أن يجعلها تسير قدُمًا بمؤخرتها".

قال هذا ثم نسى موضوع الكلام عن الجو.

وما لبث أن قال: "كيف حال زوجك؟ أعتقد أنه ينام قيلولته كالعادة.. كلمة القيلولة تَرِد كثيرًا فى شعر الشعراء الصينيين، وتعنى فى اللغة الصينية (الجمال الخلاب) ولكن منذ بدأ زوجك ينام القيلولة كل يوم مثل الواجب المدرسى، أصبح معناها (العامة)، لقد حولها من عادة نستمتع بها فى أوقات

معينة إلى عادة يومية، ماذا أقول؟ إن القيلولة موت قصير كل يوم! من فضلك هلا أيقظتِه لى؟".

فوافقته السيدة وقالت: "نعم، نوم القيلولة دائمًا يسبب مشكلات، أولاً يؤدى إلى سوء الصحة، كما أنه تناول الغداء الآن".

ثم وقفت وهمت بالذهاب ولكن البروفيسور "الفشار" قال: "لقد تحدثتِ عن طعام الغداء، للعلم أنا لم أتناوله بعد".

قال ذلك ببرود رغم أن أحدًا لم يدعُه إلى تناوله.

فقالت: "أنا آسفة، نسيت أنه وقت الغداء، ولم أدعُك لتناوله، عمومًا ليس عندى الآن طعام فاخر، ما أستطيع تقديمه لك الآن طبق أرز فى شاى".

فقال: "إن كان الأمر كذلك فلن أستطيع تناول أرز فى شاى".

فقالت معتذرة: "للأسف ليس عندنا ما تريد تناوله".

فشعر أنه قال ما لم يجب قوله؛ فقال محاولاً إصلاح ما أفسده: "لا مشكلة فى أرز فى شاى أو فى ماء ساخن، ولكنى عندما كنت أسير إلى هنا طلبت من أحد المطاعم أن يبعث لى وجبة غداء فاخر إلى هنا".

فقالت: "حقا؟!".

و"حقًا" قد تدل على الدهشة أو الضيق أو الشعور بالسعادة لأنه حل المشكلة، وهنا فى هذا الموقف تدل على هذه المعانى الثلاثة مجتمعة.

وبسبب ضوضاء مرتفعة فجأة، خرج الأستاذ "عطسة" من حجرة مكتبته وجاء إلى حجرة الضيوف وهو فى حالة دُوار لأنه كان على وشك أن ينام القيلولة، ولكن أُزعِج بتلك الضوضاء فلم يستطع النوم. كان يتثاءب ويبدو على وجهه الضيق فقال: "أنت دائمًا مزعج، لقد كنت على وشك نوم قيلولة جميلة فأفسدتها أنت".

فحيا البروفيسور "الفشار" الأستاذ "عطسة" بطريقة لا ندرى معها من هو الأستاذ "عطسة" ومن هو الضيف، فقال: "يبدو أنك استيقظت من غفوتك، آسف أننى قطعت عليك وقت نومك المقدس، ولكن أحيانًا من الأفضل ألا تنام القيلولة، هيا تفضل اجلس".

فجلس الأستاذ "عطسة" فى صمت وأخرج سيجارة من علبة السجائر وأشعلها، وبدأ يسحب نفسًا تلو الآخر دون توقف، وفجأة وقعت عيناه على قبعة ملقاة فى زاوية الحجرة، وكانت قبعة البروفيسور "الفشار"، فإذا به يسأله: "هل اشتريت قبعة؟".

فقال البروفيسور "الفشار" فى الحال: "ما رأيك فيها؟".

ثم وضعها بافتخار أمام الأستاذ "عطسة" وزوجته.

فأخذت السيدة تتحسسها وتقول:

"إنها جميلة، فتحاتها صغيرة وملمسها ناعم".

فقال البروفيسور "الفشار": "هذه القبعة ممتازة، يمكن أن تفعل ما تشائين فيها".

ثم قبض يده وضرب جانب القبعة المسماة "قبعة بنما" فانبعج ذلك الجزء إلى الداخل على هيئة قبضته، فدُهِشت السيدة لأن القبعة لم يصبها أى تلف، وقالت: "غير معقول!".

ثم وضع يده فى داخلها وسحب الجزء الداخلى فأصبحت مدبّبة، ثم ضغط على إطار القبعة من الناحيتين، فأصبحت مستوية كفطيرة مفرودة بمضرب، ثم لفها من أحد الأطراف إلى الطرف الآخر، فصارت ملتفة مثل الحصيرة، ثم وضعها فى جيبه متباهيًا: "ما رأيك؟".

فانبهرت السيدة بما قدمه البروفيسور "الفشار" من عرض بالقبعة كأنه ساهر عظيم، وقالت: "شىء لا يصدقه عقل".

فشعر البروفيسور "الفشار" بالزهو من هذا الإعجاب، فأدخل يده فى كمه الأيسر وأخرج منه القبعة التى كان قد وضعها فى كمه الأيمن، ثم قال: "لم يصب القبعة أى ضرر".

ثم فردها وأرجعها إلى شكلها الطبيعى، ثم وضع إصبعه السبابة فى داخلها وأخذ يديرها، واعتقدت الزوجة أنه بذلك قد أنهى عرضه، لكن العرض لم ينته بعد، فقد ألقى القبعة خلفه وجلس بقوة فوقها.

فبدا القلق على وجه الأستاذ "عطسة" وقال: "هل أنت متأكد أن القبعة لم يصبها أى ضرر؟".

قالت السيدة وهى تشعر أيضًا بالقلق محذرة البروفيسور "الفشار": "إنها قبعة جميلة، أخشى أن تكون قد أتلفتها بما

فعلت، أرجو أن تتوقف عما تفعله فيها كى لا تضر بها، خسارة أن تفسدها".

فأراد مالك القبعة أن يبهرهما أكثر فقال: "لا يصيبها أى ضرر، بالتأكيد شىء مبهر".

ثم أخرجها من تحت مؤخرته، ووضعها على رأسه كما هى عندما كانت تحت مؤخرته، فعادت إلى شكلها الأصلى المناسب للوضع على الرأس، شىء عجيب.

فبدا على السيدة التعجب وقالت: "إنها قبعة قوية جدًا، أنا مدهوشة من عدم إصابتها بأى ضرر".

فقال البروفسور وهو يرتدى القبعة ردًا عليها: "لا يوجد ما يسبب كل هذه الدهشة، إنه أمر عادى، إنها مصنوعة لكيلا يصيبها أى ضرر مهما انثنت".

فقالت الزوجة ناصحة زوجها: "اشتر أنت أيضًا واحدة مثلها".

فقال البروفيسور "الفشار": "ولكنه يملك قبعة عظيمة مصنوعة من أعواد القمح، أليس كذلك؟".

فقالت: "ولكن البنات دُسنَ عليها سهوًا فتلفت".

فقال البروفيسور "الفشار": "شىء محزن أن يحدث ذلك".

فقالت لزوجها: "أعتقد أنك يجب أن تشترى قبعة قوية مثل هذه".

ورغم أنها لا تعرف ثمنها ظلت تنصح زوجها كثيرًا بأن يشترى مثلها: "اشترِ واحدة مثلها، اعمل بنصيحتى".

ثم أخرج البروفيسور "الفشار" من جيبه علبة حمراء داخلها مقص وأراها للسيدة قائلاً: "نكتفى بهذا القدر بخصوص قبعة بنما، انظرى إلى هذا المقص، إنه مفيد جدًا، تستطيعين استخدامه لعمل أشياء كثيرة".

لولا هذا المقص لكانت السيدة استمرت فى الإلحاح على الأستاذ "عطسة" حتى يشترى قبعة بنما، ولحسن الحظ فإن الحديث تحول إلى موضوع تهتم به زوجة الأستاذ "عطسة" بفطرتها كامرأة، ولكنى أعتقد أن تغير الحديث عن قبة بنما إلى المقص لم يكن تعمدًا من البروفيسور "الفشار" كى يبعد الخطر عن الأستاذ "عطسة"، ولكن كان مجرد حظ فى صالح الأستاذ "عطسة".

وطبعًا سألت السيدة البروفيسور "الفشار": "ما الأشياء الكثيرة التى يُستخدم فيها هذا المقص؟".

فقال البروفيسور "الفشار" بطريقته البارعة فى الكلام: "سأشرح لك الآن.. استعدى لسماع الشرح.. سأبدأ.. توجد هنا فتحة على شكل هلال ناقص ضلعًا، تضعين ورقة التبغ هنا وتضغطين فتتفتت إلى قطع صغيرة، ثم تقطعين الجذور، ثم نخرمها بالسلك المعدنى، ويمكن أن تجعليه مستويًا وتضعيه فوق ورقة على نحو أفقى فيصير مسطرة، والجهة الخلفية لشفرة القطع مقسمة إلى درجات ولذلك يمكن استخدامها كمقياس طول، أما الجهة الأمامية فهى مبرد ولذلك يمكن استخدامها

لتنعيم الأظفار. أعتقد أنك فهمت.. وعندما تغرسين هذا فى رأس مسمار لولبى وتديرينه يعمل كمفك مسامير لولبية، وعندما تغرسينه فى صندوق خشبى مغلق بقفل تستطيعين فتحه بسهولة دون أى مجهود أو تعب، ويمكن استخدام سن هذه الشفرة كمثقاب، ويمكن استخدام هذا فى محو الأخطاء الإملائية، وإذا فككتِ هذا فسيصير سكينًا.. وأخيرًا يا سيدتى، وهذا هو أكثر الأشياء متعة فى هذا العرض، كرة فى حجم عين الذبابة، انظرى فيها وستدركين ما أقصده".

فقالت: "لا، أكيد أن هناك خدعة مّا هدفها السخرية منى".

فعرض عليها أن تأخذ المقص قائلاً: "شىء مؤسف أنك لا تثقين بى، تعتقدين أننى أخدعك، انظرى من فضلك، ترفضين النظر، انظرى ولو حتى قليلاً".

فأخذت السيدة المقص وهى تشك فى نواياه، ثم وضعت عينها على الكرة التى بحجم الذبابة وحدقت بتركيز، وحينئذ قال البروفيسور "الفشار": "ماذا شاهدت؟".

قالت: "أرى لونًا أسود فقط".

فقال: "ليس لونًا أسود، وجهى الكرة ناحية الحائط، ارفعيها قليلاً ناحية الضوء، أكيد سترين شيئًا ما فى داخل الكرة".

قالت: "شىء عجيب، أرى صورة، لماذا وضعوا صورة صغيرة فى مكان كهذا؟".

قال: "هذا هو الشىء الممتع فى الموضوع".

وقد ظل الحديث متراوحًا بين البروفيسور "الفشار" والسيدة فقط، حينئذٍ أراد الأستاذ "عطسة" فجأة أن يرى الصورة فقال: "أعطينى المقص كى أرى أنا أيضًا".

ولكنها ظلت واضعة عينها على المقص تشاهد الصورة ثم قالت: "إنها جميلة فعلاً، فتاة عارية جميلة".

ثم ظلت تشاهدها لا تريد أن تترك المقص.

فقال الأستاذ "عطسة": "ألم أقل لك أن تعطينى المقص كى أشاهد؟!".

فقالت: "انتظر، شعرها جميل، يصل إلى خصرها، تنظر إلى أعلى وقامتها مرتفعة لدرجة مخيفة، ولكنها جميلة".

وإذا بالأستاذ "عطسة" يصيح غضبًا: "قلت لك دعينى أشاهد يعنى دعينى أشاهد".

فأعطته المقص وقالت: "آسفة لأنى جعلتك تنتظر، تفضل، خذ وقتك فى المشاهدة".

وحينئذ جاءت الخادمة من المطبخ وهى تحمل وجبتى شعيرية مثلجة إلى حجرة الضيوف وتقول: "لقد حضر ما طلبته من المطعم يا أستاذ عطسة".

قال البروفيسور "الفشار" للسيدة: "هذا هو طعامى الفاخر، سأدفع ثمنه من مالى، آسف لأننى سأسبب لكِ إزعاجًا بتناوله هنا".

ثم أحنى رأسه لها احترامًا، وبدا عليها أنها شعرت بارتباك فى الرد على ما قال، لأنها لم تفهم هل يتكلم بجد أم يسخر، فأجابت إجابة مختصرة وقالت:

"تفضل تناوله".

وحينئذ كان الأستاذ "عطسة" قد انتهى من النظر فى كرة المقص ثم قال: "كيف تأكل شعيرية مثلجة فى هذا الجو الحار؟! هذا يسبب تسممًا".

فقال البروفيسور "الفشار" وهو يكشف الغطاء عن علبة الطعام: "ماذا تقول؟! لا أحد يصاب بتسمم من تناول طعام يحبه".

ثم وضع البهارات على الحساء وقلبه جيدًا ثم قال: "اثنان لا أحبهما، الشعيرية القديمة والإنسان الغبى".

فبدا على الأستاذ "عطسة" القلق وقال للبروفيسور محذرًا: "لقد أفرطتَ فى الشطة فى حسائك".

فقال البروفيسور "الفشار": "الشعيرية لا تُؤكل إلا بالحساء والشطة، أكيد أنك تكره الشعيرية".

قال الأستاذ "عطسة": "أنا أحب المكرونة الإسباجتى".

فقال البروفيسور "الفشار": "سائقو البعير والحمالون يحبون المكرونة الإسباجتى، إننى أشعر بالأسف الشديد على من لا يميز المذاق الرائع للشعيرية أكثر من شعورى بالأسف على أى شخص آخر".

ثم وضع الأعواد المصنوعة من خشب الأرز فى الشعيرية وأمسك بها كمية كبيرة ورفعها إلى أعلى قليلاً، ثم قال:

"هناك طرق عدة مختلفة لتناول الشعيرية يا سيدتى، المبتدئ فى تناول الشعيرية يضع الشعيرية فى الحساء، ثم يرفعها إلى فمه ويأكلها وهو يحدث أصواتًا، ولكن طريقة الأكل هذه لا تجعل الإنسان يشعر بمذاقها الرائع، والصواب أن نمسكها بالعودين ونرفعها هكذا".

ثم رفع الشعيرية بالعودين قليلاً فى الهواء، ثم نظر إلى أسفل فوجد بعضها ما زال فى قاع العلبة متشابكًا ببعضه، وكان يعتقد أنه رفعها جميعًا، ثم قال: "إنها طويلة جدًا يا سيدتى، أليس كذلك؟".

ونظر إليها منتظرًا أن توافقه الرأى فقالت: "نعم طويلة جدًا".

قالت هذا وهى مدهوشة من طولها.

ثم رفع الشعيرية بالعودين عاليًا إلى أن ابتعدت عن العلبة وقال: "لقد أخذتُ ثلث الشعيرية وسأضعها فى الحساء ثم أبتلعها، لن أمضغها، سوف أشفطها، فإن مضغتها فلن أشعر بمذاقها الرائع، سوف تنزلق فى حلقى وهذا هو سر روعة مذاقها".

وظل يضع بالعودين قليلاً بعد قليل من الشعيرية فى الفنجان الذى يمسكه بيده اليسرى، فتبدأ الشعيرية تتشرّب الحساء من طرفها رويدًا رويدًا، وطبقًا لنظرية أرشميدس فإن

كمية الحساء التى شربتها الشعيرية تؤدى إلى انخفاض منسوب الحساء فى الفنجان، ولكن فى الأصل يشغل الحساء ثمانين بالمائة من الفنجان، وعندما يصل ربع ما يحمله العودان من شعيرية إلى الحساء سيكون الفنجان قد امتلأ إلى الحافة، وعندما يُنزِل الشعيرية إلى الفنجان إلى أن تصبح المسافة بين العودين والفنجان خمسة عشر سنتيمترًا يتوقف ولا يحرك يده، ومن الطبيعى ألا يحرك يده، لأنه لو أنزل مزيدًا من الشعيرية فى الفنجان سيطفو الحساء ويسقط من الفنجان، وهنا يتردد البروفيسور "الفشار" فى رفع الشعيرية إلى فمه ثم يستجمع قوته ويرفعها مرة واحدة، وفى الحال يشفطها مصدرًا صوتًا، وتتحرك تفاحة آدم مرة أو مرتين صعودًا ونزولاً، وبعد ذلك تختفى الشعيرية التى كان يمسكها بالعودين تمامًا. وعندما نظرت جيدًا إلى وجهه وجدت قطرة أو قطرتين من الدموع تسيل من عينيه إلى خديه، وللآن لا أعرف إن كان بسبب الشطة التى وضعها فى الحساء، أم حدث كسر فى بعض عظام فمه عندما كان يبتلع الشعيرية بهذه الطريقة!

وحينئذ قال الأستاذ "عطسة" مادحًا البروفيسور "الفشار": "عظيم، استطعت أن تبتلع كل هذه الكمية الكبيرة مرة واحدة".

ومدحته السيدة أيضًا مدحًا كبيرًا وقالت: "رائع".

ودون أن ينطق البروفيسور "الفشار" بكلمة، وضع العودين وضرب على صدره مرة أو مرتين، ثم قال: "الصواب أن تُؤكل الشعيرية فى ثلاث مرات ونصف ملء الفم، أو أربع مرات، أما أكثر من هذا فلن تكون لذيذة".

ثم مسح فمه بمنديل وأخذ نفسًا للراحة.

وفجأة جاء السيد "القمر البارد"، وكان مظهره غريبًا لا تفسير له؛ يرتدى قبعة شتوية رغم أن الجو حار جدًا، وعلى ساقيه غبار شديد.

فقال البروفيسور "الفشار" وهو يتناول الجزء الأخير من الشعيرية ويشعر بالحرج من أن يتناول غداءه وسط الجميع موجهًا كلامه للسيد "القمر البارد":

"سعيد لأنك جئت أيها الشاب الوسيم، ولكن أرجو ألا تشعر بالضيق لأننى لا أستطيع تحيتك كما يجب لأننى أتناول الغداء".

ولم يتناول الباقى من الشعيرية بالطريقة نفسها، ولكنه أخرج منديلاً فاستخدمه ثم أخذ شهيقًا، ثم تناول الباقى من الشعيرية بسرعة دون استعراض طريقة أكل ليست لها أهمية.

وحينئذ قال الأستاذ "عطسة" للسيد "القمر البارد": "هل أوشكت على الانتهاء من كتابة بحث الدكتوراه؟".

وإذا بالبروفيسور "الفشار" يقول: "الآنسة ثرية تنتظرك على أحرّ من الجمر، انتهِ من البحث بسرعة".

وإذا بالسيد "القمر البارد" يضحك بطريقة سيئة، ويقول بطريقة تبدو جدية ولكنها فى الواقع لا تعبر عن شىء جاد:

"إنها جريمة أن أتركها تنتظر هكذا، ولذلك أريد أن أنتهى من البحث بسرعة كى تستريح، ولكن ما باليد حيلة، مشكلة البحث مشكلة كبيرة تحتاج إلى وقت ومجهود شاق".

فـرد البروفيسـور "الفشـار" عليـه بأسـلوبه قائـلاً: "نعـم هـذا صحيـح، مشـكلة البحـث كبـيرة، ولذلـك لـن يحـدث مـا تريـده أم منخـار، أفضـل شيء تفعلـه أم منخـار أن تركـز فى استنشـاق هـواء كثـير مـن خـلال منخارهـا".

وكان أكثرهـم جديـة فى الحديـث الأسـتاذ "عطسـة" الـذى سـأل: "ذكـرنى بعنـوان بحـث الدكتـوراه الخـاص بـك، مـاذا كان العنـوان؟".

فقال السيد "القمر البارد":

"تأثـير الأشـعة فـوق البنفسـجية عـلى حركـة إلكترونـات مقلـة عـين الضفدعـة".

فقـال البروفيسـور "الفشـار": "رائـع، هـذا هـو القمـر البـارد الـذى أعرفـه، يجتهـد فى نحـت مقلـة عـين الضفدعـة! مـا رأيـك يـا أسـتاذ عطسـة فى أن نخـبر السـيد أبـو الدهـب بذلـك قبـل أن ينتهـى القمـر البـارد مـن بحثـه؟".

فتجاهـل الأسـتاذ "عطسـة" سـؤاله، ثـم قـال للسـيد "القمـر البـارد": "هـذا بحـث يحتـاج إلى مجهـود شـاق جـدًا".

فقـال "القمـر البـارد": "نعـم، موضـوع البحـث صعـب جـدًا؛ لأن تركيـب عدسـة مقلـة عـين الضفدعـة معقـد جـدًا، فيجـب أن أُجـرى تجـارب كثـيرة، وقبـل كل ذلـك يجـب أن أصنـع مقلـة عـين زجاجيـة، ثـم أسـتخدمها لإجـراء التجـارب".

فقـال الأسـتاذ "عطسـة": "إذا ذهبـت إلى متجـر زجـاج سـيصنع لـك واحـدة، لمـاذا لم تذهـب إلى متجـر زجـاج؟".

فرفع السيد "القمر البارد" رأسه مدهوشًا وقال: "في الأصل الدوائر والخطوط المستقيمة تتبع علم الهندسة، مقلة عين الضفدعة تحتوى على دوائر وخطوط مستقيمة، ولا يوجد في الطبيعة ما يشبهها تمامًا، وبالتالى لا يستطيع تاجر الزجاج أن يصنع مثلها".

فتدخل البروفيسور "الفشار" وقال: "إذا كانت غير موجودة ولا يمكن صناعتها فاترك هذا الموضوع واختر موضوعًا آخر لبحث الدكتوراه".

فقال "القمر البارد": "أولاً يجب أن أصنع مقلة زجاجية مثل مقلة عين الضفدعة، وبالفعل بدأت أصنعها".

فسأله الأستاذ "عطسة" دون سبب واضح: "وهل انتهيت من صناعتها؟".

قال: "انتهيت من صناعتها؟!".. ثم فكر، فرأى أن رده غير واضح؛ فاسترسل قائلاً: "صناعتها صعبة جدًا، عندما أنحت الجانب المواجه لى أشعر أنه أطول من الجانب الآخر بكثير، فأنحت الجانب الآخر فأشعر أنه أصبح أطول من الجانب الآخر، وبعد بذل مجهود شديد تصورت أننى نحتها كما يجب، ولكنى اكتشفت أن شكلها صار بيضاويًا. بعد ذلك نحت الأجزاء الطويلة ولكن وجدت المنتصف أصبح غير دائرى، فى البداية كانت مثل حجم التفاحة ثم بالنحت أصبحت صغيرة مثل حجم ثمرة الفراولة، وعندما نحت أكثر لتصير دائرية، صارت فى حجم حبة الفول، ولكن لم يصر شكلها دائريًا تمامًا، لقد بذلت مجهودًا كبيرًا منذ بداية العام كى أنحت كرة دائرية

واستخدمت لذلك ست قطع زجاج، ولكن لم أصل إلى أن تكون دائرية".

وتحدث طويلاً عن ذلك ولكن لم يكن يبدو من كلامه أهو صادق أم كاذب. فقال الأستاذ "عطسة": "أين كنت تنحتها؟".

فقال "القمر البارد": "في معمل تجارب الجامعة، أبدأ في الصباح وأرتاح قليلاً وقت الظهيرة، ثم أستمر إلى حلول الظلام، عمل مؤلم".

فقال الأستاذ "عطسة": "ولهذا كنت في الفترة الأخيرة دائمًا تقول إنك مشغول جدًا، وكنت تذهب إلى الجامعة حتى في أيام العطلات الأسبوعية من أجل عمل تلك الكرة؟".

"القمر البارد": "نعم لم أكن أفعل أي شيء من الصباح حتى المساء إلا نحت الكرة".

فقال البروفيسور "الفشار": "معنى ذلك أنك ستصبح دكتورًا في نحت كرة زجاجية، ولكن إذا سمعت السيدة منخار بأنك تجتهد في عمل بحث الدكتوراه فستشعر بالرضا، وبالمناسبة منذ عدة أيام كنت في مكتبة الجامعة، ثم وأنا على وشك الخروج من بوابتها قابلت بالصدفة السيد روباي، فقلت لنفسي: شيء عجيب أن يذهب شخص مثل هذا إلى المكتبة بعد تخرجه في الجامعة. فقلت له إنني منبهر بأنه يظل يقرأ حتى بعد التخرج في الجامعة، فنظر إليّ نظرة غريبة وقال: أنا لم أحضر إلى المكتبة كي أقرأ، لقد كنت أسير أمام بوابة المكتبة فشعرت برغبة في دخول دورة المياه، فدخلت المكتبة من أجل

دورة المياه، ثم ضحك بصوت عالٍ، فأنت وهو على النقيض تمامًا، وإنى أنوى أن أكتب عنكما فى كتابى المقبل".

ثم استرسل البروفيسور "الفشار" فى الحديث بإسهاب عن الكتاب الجديد الذى ينوى تأليفه.

فوجّه الأستاذ "عطسة" إلى "القمر البارد" سؤالاً بطريقة جدية: "شىء جيد أن تعمل كل يوم كى تنحت كرة زجاجية، ولكن متى ستنتهى من نحتها؟".

فقال "القمر البارد" غيرعابئ: "بناءً على الطريقة التى أعمل بها الآن، أتصور أنها تحتاج إلى عشر سنوات".

الأستاذ "عطسة": "عشر سنوات مدة طويلة، أفضل أن تنتهى منها فى وقت أقل".

"القمر البارد": "عشر سنوات مدة قصيرة، ربما تحتاج إلى نحو عشرين عامًا".

الأستاذ "عطسة": "هذه مصيبة، هذا يعنى أنك لن تحصل على درجة الدكتواره، أليس كذلك؟".

"القمر البارد": "طبعًا أريد أن أحصل عليها بسرعة على قدر المستطاع كى تشعروا بالاطمئنان علىّ، ولكن إذا لم أنته من عمل الكرة الزجاجية فلن أستطيع إجراء التجارب الهامّة لبحث الدكتوراه".

وتوقف "القمر البارد" عن الكلام قليلاً، ثم قال دُفعة واحدة:

"لا تقلقوا علىّ لهذه الدرجة؛ فالآنسة ثرية تعرف أننى مشغول فقط بنحت كرة زجاجية. فى الواقع لقد كنت فى قصرهم منذ ثلاثة أيام وقد شرحت لها الموقف".

فتدخلت زوجة الأستاذ "عطسة" التى كانت تسمع حديث ثلاثتهم بغير اهتمام كبير، وسألت "القمر البارد" فجأة بطريقة تدل على أن لديها شكوكًا: "ولكن ألم تكن عائلة أبو الدهب بكاملها فى مدينة أويصوا منذ الشهر الماضى؟".

فبدا على "القمر البارد" الانزعاج مما قالت، فأجاب ولكن بطريقة غامضة: "شىء غريب، أنا مدهوش من ذلك".

وهنا يأتى الدور المهم للبروفيسور، الذي يتدخل فى الحديث عندما ينتهى الكلام أو يصير أسلوب الحوار غير محترم، أو حين ينام شخص ما أو يكون هناك ضيق من شخص ما أو أى موقف آخر، فقال: "لقاء شخص ذهب منذ شهر إلى مدينة أويصوا فى طوكيو منذ ثلاثة أيام شىء غامض، هذا ما يُقال عنه تبادل الأرواح، تحدث هذه الظاهرة كثيرًا عندما يفكر شخصان فى بعضهما كثيرًا، ربما يعتقد السامع أنه حُلم، ولكنه إذا كان فعلاً حُلمًا فهو حلم أصدق من الواقع، وطبيعى أن يكون لدى سيدة مثل زوجة الأستاذ عطسة شكوك حول تبادل الأرواح، لأنها لم تعرف معنى حب العمر كله الذى لا يستطيع الإنسان الحياة دونه".

فقاطعت زوجة الأستاذ "عطسة" كلام البروفيسور "الفشار" بضيق قائلة: "وبناءً على أى دليل قلت هذا؟ هذه إهانة".

فهاجمه الأستاذ "عطسة" بطريقة مباشرة مساندًا زوجته قائلاً:

"وأنت لا يبدو عليك أن عانيت من آلام الحب، أليس كذلك؟".

فقال البروفيسور "الفشار" وهو ينظر إلى وجوه الحاضرين واحدًا تلو الآخر: "قصة حبى انتهت منذ زمن بعيد، ولذلك ليست باقية فى ذاكراتكم. ولأنها كانت قصة حب فاشلة ظللتُ أعزبَ حتى الآن".

فضحكت السيدة وقالت: "كلام مضحك".

فقال الأستاذ "عطسة" وهو ينظر إلى حديقة المنزل: "أنت تستخف بنا".

فقال "القمر البارد" وهو يبتسم بخبث: "أريد أن أسمع حديث الذكريات هذا كى أتعلم منه".

فقال البروفيسور "الفشار": "إن قصة حبى أيضًا غامضة، ولو كان مؤلف قصص الأشباح المشهور لافكاديو هيرن حيًا لأعجبته، ولكن للأسف لقد مات، ولذلك ليس لدىّ حماس قوى لسردها، ولكن بما أنك طلبت منى أن أحكيها فسأسردها، ولكن يجب أن تنصتوا حتى النهاية فى هدوء".

وبعد أن شدد على الإنصات بهدوء دخل فى موضوع الحكاية:

مكتبة ياسمين
t.me/yasmeenbook

"سأحاول أن أتذكر ما مضى منذ زمن بعيد، كم مضى من زمن على ذلك؟! صعب أن أتذكر، دعونا نقل إن ذلك حدث منذ نحو خمسة عشر عامًا".

فسخر الأستاذ "عطسة" منه قائلاً: "كلام غير معقول".

فقالت الزوجة بطريقة باردة: "ذاكرتك سيئة جدًا".

أما السيد "القمر البارد" فجلس صامتًا محافظًا على وعده بعدم الكلام، ولكن بدا عليه أنه سيبادر بأسئلته فور أن ينتهى البروفيسور "الفشار" من السرد.

فاستكمل البروفيسور "الفشار": "حدث هذا فى موسم الشتاء، حين كنت فى محافظة نيجاطا".

فقاطعه الأستاذ "عطسة" قائلاً: "ما هذه الأماكن الغريبة التى تتحدث عنها؟!".

وإذا بالسيدة تقول لزوجها فى حدة: "لا تتكلم وأنصت، الموضوع مشوِّق".

فتابع: "حل ظلام الليل ولم أستطع رؤية الطريق وشعرت بالجوع، ولم تكن بيدى حيلة إلا أن أطرق باب منزل فى منتصف ممر جبلى، فشرحت لهم ظروفى وطلبت منهم أن يسمحوا لى بالمبيت فى منزلهم، وإذا بفتاة تحمل شمعة وتقول:

ليست هناك مشكلة أن تمكث فى منزلنا، تفضل بالدخول.

فنظرت إلى وجهها فشعرت بأننى أنتفض، ومنذ لحظتها عرفت جمال الحب"

فقالت السيدة: "مستحيل أن تكون هناك فتاة جميلة هكذا وسط جبل".

فقال: "سواء كان جبلاً أو بحرًا، المهم أنها جميلة لدرجة أننى أريدك أن تشاهديها يا سيدتى، كانت قد جدلت شعرها إلى أعلى رأسها بطريقة ساحرة!".

فتأثرت السيدة جدًا بما قال فردت: "ألهذه الدرجة كانت جميلة؟!".

فاسترسل البروفيسور "الفشار":

"وعندما دخلت وجدت موقدًا فى وسط حجرة واسعة، وحول الموقد جلست الفتاة وجدها وجدتها وأنا، ثم قالوا لى: أكيد أنت جائع. فقلت لهم أن يعدوا لى أى طعام بسرعة، فإذا بالجد يقول: أنت ضيف ويجب إكرامك ولذلك سنطهو لك أرزًا بالثعابين. وكان هذا الكلام بداية قصة فشل حبى، ولذلك أرجو أن تنصتوا لى جيدًا".

فقال " القمر البارد ": "سننصت جيدًا ولكن لا توجد ثعابين فى محافظة نيجاطا فى فصل الشتاء، أليس كذلك؟".

فقال البروفيسور "الفشار": "ملاحظة ذكية، ولكن نحن نتحدث عن قصة حب رومانسية، ولذلك ليس مهمًا الدخول فى تفصيلات فلسفية مثل هذه، مثلاً الروائى والشاعر اليابانى إيزومى يقول فى إحدى قصصه: وكانت سرطانات البحر تخرج من بين الثلوج. ومع هذا لم يُعلِّق أحد على ذلك".

فقال "القمر البارد": "عندك حق".

ثم عاد إلى الإنصات دون كلام مرة أخرى.

قال البروفيسور "الفشار":

"فى تلك الفترة كنت أتناول كثيراً من الأطعمة الغريبة، مثل الجراد والضفادع الحمراء وحلزون البزاق، لدرجة الشعور بالملل من تناولها، ولكن تناول أرز بالثعابين كان شيئًا مشوِّقًا لى، ثم قال جد الفتاة: هيا نَطْهُ الطعام بسرعة، فوضع إناءً فوق الموقد ثم وضع داخله أرزًا، وعندما بدأ الأرز ينضج وجدت البخار يخرج من غطاء الإناء، واكتشفت أن فى غطاء الإناء عشرة ثقوب بعضها كبير وبعضها صغير.. عمل ثقوب فى غطاء الإناء فكرة رائعة، وخاصة أن الفكرة أتت من فلاحين مثل هؤلاء. وقام جد الفتاة فجأة وذهب إلى مكان ما ثم عاد وتحت إبطه سلة كبيرة يحتضنها، ثم وضعها بجانب الموقد بطريقة عادية، فنظرت داخل تلك السلة فشاهدت الثعابين، كانت طويلة وملتفة بعضها حول بعض بسبب برودة الجو".

فعقدت السيدة حاجبيها وقالت: "كف عن هذا الكلام، أشعر بضيق منه".

فقال البروفيسور "الفشار": "لماذا؟! هذا الكلام السبب فى فشل قصة حبى، ولذلك لا أستطيع التوقف عن سرده. ثم رفع جد الفتاة غطاء السلة بيده اليسرى وأمسك بالثعابين المتكتلة كتلة واحدة بيده اليمنى ووضعها بكتلتها هذه داخل الإناء، ثم وضع الغطاء فوق الإناء بسرعة، فشعرت أننى لا أستطيع التنفس من الدهشة".

فشعرت السيدة بالرعب الشديد وقالت: "كفى! هذا مثير للغثيان".

فقال البروفيسور "الفشار": "تحملى قليلاً، سوف تفشل قصة حبى بعد قليل.. وبعد مرور نحو دقيقة فوجئت بثعبان يطل برأسه من أحد ثقوب غطاء الإناء، ثم تبعته بقية الثعابين تخرج برءوسها من كل الثقوب، وصار غطاء الإناء مليئًا برءوس الثعابين".

فقالت الزوجة: "لماذا تخرج برءوسها من الثقوب؟".

فقال البروفيسور "الفشار": "لأن الحرارة داخل الإناء شديدة، فتحاول الهرب منها بالخروج من الثقوب، وحينئذ قال جد الفتاة: هذا يكفى هيا نجذبها. فقالت جدة الفتاة: نعم هيا. ثم قالت الفتاة: نعم سأفعل. فأمسكت برأس كل ثعبان وجذبت رأسه، فإذا بعظام الثعبان فقط تخرج ويتبقى داخل الإناء لحمه".

فقال السيد "القمر البارد" ضاحكًا: "ثعابين مخلية من العظام".

فرد البروفيسور "الفشار": "بالفعل كما تقول، ثعابين مخلية، عمل بارع ومهارة فائقة، ثم أزاحت غطاء الإناء وقلّبت لحم الثعابين والأرز بملعقة كبيرة، ثم قالت: هيا تفضلوا تناولوا الطعام".

فسأل الأستاذ "عطسة" ببرود: "وهل أكلت؟".

فبدا على وجه السيدة الضيق الشديد وقالت بغضب: "كفوا عن هذا الكلام، أشعر بالغثيان، ولن أستطيع تناول أى طعام اليوم".

فقال البروفيسور "الفشار": "أنت تقولين ذلك يا سيدتى لأنك لم تأكلى الأرز بالثعابين، أنصحكِ بأن تأكليها مرة، ولن تستطيعى نسيان مذاقها طوال العمر".

فقالت: " لا، لا يمكن، أنا آكل أرزًا بثعابين؟! مستحيل".

ثم استرسل البروفيسور "الفشار" قائلاً: "ثم أكلت إلى أن شعرت بالامتلاء، ولم أعد أشعر بالبرودة، وبدأت أنظر إلى الفتاة دون خجل، ولم أعد أشعر بأى شىء يضايقنى، شعرت بالراحة، ولكن فجأة قالوا لى: تصبح على خير.

وبما أنى كنت متعبًا من أثر السفر، فقد تقبلت نصيحتهم لى بأن أنام، فنمت ونسيت تمامًا كل ما حدث".

وهنا سألته السيدة فى عجلة متشوقة للمعرفة: "ثم ماذا حدث؟".

فقال البروفيسور "الفشار": " فى اليوم التالى استيقظت فى الصباح وفشلت قصة حبى".

قالت السيدة: "ما الذى أدى إلى ذلك؟".

قال: "لم يحدث شىء ولكن عندما استيقظت أشعلت سيجارة ونظرت من نافذة تطل على المنطقة الخلفية للمنزل، فشاهدت شخصًا ما أصلع الرأس يغسل وجهه".

فسأل الأستاذ "عطسة": "أكان جدها أو جدتها؟".

البروفيسور: "لم أستطع أن أحدد ذلك، ولكنى راقبت طويلاً وعندما نظر تجاهى دُهِشت بشدة، لقد كانت الفتاة التى قابلتها أمس، وكان حبى الأول".

فقال السيد: "ولكنك قلت لنا سابقًا إنها كانت قد جدلت شعرها إلى أعلى رأسها".

البروفيسور "الفشار": "كانت جدلت شعرها إلى أعلى فى الليلة السابقة، وكان منظرها رائعًا فى تصفيف شعرها على ذلك النحو، ولكن فى اليوم التالى كانت صلعاء".

فنظر الأستاذ "عطسة" ناحية سقف الحجرة وقال: "هذا كلام سخيف".

فرد البروفيسور "الفشار": "وأنا أيضًا دُهِشت بشدة، فشعرت بخوف وظللت أنظر فوجدت الشخص الذى كان يغسل وجهه قد انتهى، ثم أخذ باروكة كانت موضوعة بجانبه فوق حجر ووضعها فوق رأسه، ثم دخل المنزل، فقلت لنفسى: لقد فهمت الآن، إنها كانت الفتاة، وإن قصة حبى قد فشلت، وإننى لا حظّ لى فى الحب".

فقال الأستاذ "عطسة" موجهًا حديثه للسيد "القمر البارد": "فشل فى الحب! إذا كان فشل فى الحب فكيف يكون بهذه الحيوية والنشاط والصحة التامة!".

فقال "القمر البارد": "ولكن لو لم تكن صلعاء لكان أحضرها معه إلى طوكيو، ولكان أكثر صحة وحيوية من الآن، على العموم فإن الفتاة كانت صلعاء، وهذا سبّب له حزنًا إلى الأبد، ولكن

ما يحيرنى ويشغل عقلى أنها كانت صلعاء رغم أنها شابّة، ما السبب فى ذلك؟".

قال البروفيسور "الفشار": "أنا أيضًا كنت أفكر فى ذلك، أكيد أن السبب فى ذلك هو الإفراط فى تناول الأرز بالثعابين، لأنه يؤدى إلى اندفاع الدم بغزارة إلى المخ؛ وانخفاض ضغط الدم".

ثم قال: "لحسن حظى أننى لم أصبح أصلع ولكن بدلاً عن ذلك أصبت بقصر نظر منذ ذلك الوقت".

ثم أخرج منديلاً وأخذ ينظف نظارته ذات الإطار الذهبى بعناية فائقة.

وبعد صمت قصير قال الأستاذ "عطسة" كأنه تذكر شيئًا مهمًا أن يقوله:

"هناك شىء غامض فى قصة تلك الفتاة".

فقال البروفيسور "الفشار" وهو يرتدى النظارة مرة أخرى: "من أين حصلت الفتاة على الباروكة؟! هل اشترتها أو وجدتها فى مكان ما، لقد فكرت فى ذلك مليًا ولكنى لم أجد إجابة، وهذا هو الشىء الغامض فى الموضوع".

وحينئذ عقبت السيدة على حكاية البروفيسور "الفشار" قائلة: "وكأننى أستمع إلى راوٍ محترف يحكى لنا أساطير".

وحينئذ اعتقدتُ أن البروفيسور "الفشار" سيتوقف عن كلامه السخيف، ولكنه لا يغلق فمه طويلاً بطبيعته، وكان يبدو عليه أنه يريد أن يقول شيئًا.. قال:

"تجربتى الفاشلة فى الحب تجربة مريرة، فلو كنت تزوجتها دون أن أعلم أنها صلعاء للازمتنى الحسرة طوال حياتى. الزواج يحتاج إلى تفكير عميق جدًا، عند الزواج نكتشف فجأة أشياء غير متوقعة تسبب لنا جروحًا، ولذلك أيها سيد "القمر البارد" أفضل لك أن تركز فى نحت الكرة الزجاجية من الانشغال بالتفكير فى تلك الفتاة، فربما تفشل وتشعر بالإحباط والوحدة والضيق".

أبدى وجهة نظره المتشائمة، فظهرت على وجه السيد "القمر البارد" علامات الضيق وقال: "نعم، كنت أركز فى نحت الكرة الزجاجية فقط ولكن الفتاة وعائلتها لا يتركوننى أفعل ذلك، لقد ثبّطوا عزيمتى".

فقال البروفيسور "الفشار": "تلك العائلة تسبب الضيق ولكن الدنيا فيها أشياء مضحكة، فمثلاً السيد روباى الذى حضر إلى المكتبة كى يدخل دورة المياه، إنه يفعل أشياء غريبة جدًا".

فتنبه الأستاذ "عطسة" وقال: "روباى يفعل أشياء غريبة! مثل ماذا؟".

فقال البروفيسور "الفشار": "حدث منذ مدة طويلة أن أقام فى فندق طوزاى كن فى محافظة شيزوأوكا".

فقال البروفيسور "الفشار": "ليلة واحدة فقط أقامها فى فندق، ورغم ذلك عرض على الخادمة التى تعمل فى ذلك الفندق وفى نفس الليلة أن تتزوجه، أنا أيضًا أحمق ولكن لم أصل إلى درجة حماقته هذه، فلقد حضرت لخدمته فى تلك

الليلة خادمة اسمها أوناتسو، وهى مشهورة بجمالها، وعندما دخلت عليه حجرة استقبال الضيوف انبهر بجمالها وهو معذور فى ذلك".

فقال الأستاذ "عطسة": "إنه يشبهك تمامًا، هو معذور كما كنت أنت معذورًا مع فتاة الأرز بالثعابين، أليس كذلك؟".

فقال البروفيسور "الفشار": " يشبهنى قليلاً، فى الواقع ليس بينى وبينه اختلاف كبير، على العموم لقد عرض عليها الزواج، ثم قبل أن تجيبه طلب منها بطيخًا".

فبدت على الأستاذ "عطسة" الدهشة وسأل: "ماذا؟!".

أحنى السيد "القمر البارد" رقبته وكذلك زوجة الأستاذ "عطسة"؛ تعجبًا مما فعل، وأخذا يفكران فيما حدث، ولكن البروفيسور "الفشار" تجاهل رد فعلهما واستمر فى الحديث وقال: "فنادى السيد روباى على الخادمة وسألها إن كان لديهم فى محافظة "شيزوأوكا" بطيخ، فأجابته بأنه يوجد الكثير، وأحضرت له صينية عليها كومة كبيرة من البطيخ فأكلها إلى أن أتى عليها جميعًا، ثم شعر بألم فى معدته، وكان لا يزال لم يحصل على إجابة منها بشأن عرض الزواج، وحاول أن يتحمل الألم دون جدوى، وازداد الألم فنادى على أوناتسو وسألها إن كان لديهم طبيب فى محافظة شيزوأوكا أم لا، فأجابته بأنه يوجد عندهم الكثير، وأحضرت له طبيبًا يدعى تنتشى جنقو، اسمه من الأسماء التى قرأناها فى كتب الأدب الصينى القديم. وفى صباح اليوم التالى شعر بالراحة وزال المرض، فنادى على أوناتسو قبل أن يغادر الفندق بخمس عشرة دقيقة، كى يسألها عن ردها على

عرض الزواج، وقال لها: ما رأيك فى عرض الزواج الذى عرضته عليك أمس؟ فضحكت وقالت: تستطيع أن تجد فى محافظة شيزوأوكا بطيخًا، وكذلك تجد فيها طبيبًا، ولكن لن تجد فيها زوجة من معرفة ليلة واحدة قضيتها فيها. ثم ذهبت ولم يستطع رؤية وجهها مرة أخرى بعد ذلك، وفشل السيد روباى فى الحب مثلى، وأصبح لا يأتى إلى المكتبة إلا كى يستخدم دورة المياه، وعندما نفكر بعمق فى هذا نجد أن النساء شريرات".

فإذا بالأستاذ "عطسة" يقول: "فعلاً النساء شريرات، لقد قرأت سيناريو للشاعر الفرنسى ألفرد دى موسيه، وأحد شخصياته شاعر رومانى يقول:

الغبار أخف من الريشة، والرياح أخف من الغبار، والمرأة أخف من الرياح".

ثم أضاف بعزيمة وإصرار: "نظرته ثاقبة، فعلاً المرأة خفيفة، لا فائدة من منها".

فشعرت السيدة بالضيق مما قال فقالت: "أنت قلت إن المرأة خفيفة، ولكن شىء سيئ أن يكون الرجل ثقيلاً".

قال الأستاذ "عطسة": "ثقيل! ماذا تعنين؟".

قالت: "ثقيل تعنى ثقيلاً، مثلك أنت".

فقال: " لماذا تقولين إننى ثقيل؟".

قالت: "لأنك هكذا".

ومن هنا بدأ نقاش غريب بينهما.

واستمع البروفيسور "الفشار" بشغف إلى محادثتهما ثم فتح فمه وقال: "احمر وجهكما إلى درجة كبيرة وهاجم كل منكما الآخر، وهذا يوضح حقيقة العلاقة بينكما، أكيد أن أزواج زمان كانوا مملين".

خرج كلامه غامضًا، لا تدرى إن كان انتقادًا لهما أم مدحًا، ثم توقف عن الكلام عنهما، واستمر فى شرحه المستفيض بأسلوبه المعتاد:

"فى الزمن الماضى لم تكن تجرؤ زوجة على معارضة زوجها، ولكن شخصًا مثلى لن يشعر بالرضا إن كانت زوجته خرساء، أريدها أن تكون مثلكِ وتقول لى: أنت ثقيل. إن كنت سأتزوج فلأتزوج واحدة تتشاجر معى أحيانًا كى لا أشعر بالملل. أمى كانت دائمًا حين تتحدث إلى أبى، لا تقول سوى نعم وحاضر، وعاشت معه عشرين عامًا لم تخرج قط إلا إلى المعبد لزيارة قبور أجدادنا، لدرجة أنها حفظت أسماء أجدادنا جميعًا، وهذا شىء سخيف. وفى فترة طفولتى لم يكن ولد يستطيع أن يقابل بنتًا أو يتبادل معها خطابات أو يكتب فيها شعرًا، كما يفعل السيد القمر البارد الآن".

فحنى السيد "القمر البارد" رأسه وقال: "زمن طفولتكم كان صعبًا جدًا".

واسترسل البروفيسور "الفشار": "فعلاً كان وقتًا صعبًا، ولكن لا يعنى هذا أن وضع البنات وقتها كان أفضل من وضعهن الآن. يقول الناس كثيرًا إن وضع طالبات هذه الأيام سيئ، لكن وضع طالبات زمان كان أسوأ، أليس كذلك يا سيدتى؟".

فقالت السيدة: "حقًا هكذا!".

فقال البروفيسور "الفشار": "نعم حقيقة، أنا لا أمزح، شيء مؤسف، ولكنّ عندى دليلاً على صحة كلامى، يا أستاذ عطسة وأنت أيضًا أيها السيد القمر البارد، ربما تتذكران عندما كان عمرنا خمس أو ست سنوات، كانوا يضعون البنات الصغيرات على ميزان ويطوفون بهن فى الشوارع يبيعونهن مثلما يبيعون القرع، أليس كذلك؟".

قال الأستاذ "عطسة": "أنا لا أتذكر ذلك".

البروفيسور "الفشار": "أنا لا أعرف شيئًا عن المحافظة التى ولدت فيها، ولكن كان وضعهن هكذا فى محافظة شيزوأوكا، أنا متأكد من ذلك".

فقالت السيدة بصوت منخفض: "مستحيل!".

فسأل السيدُ "القمر البارد" بنبرة تشى بالشك فى صحة كلام البروفيسور "الفشار": "هل كان ذلك يحدث فعلاً؟".

البروفيسور "الفشار": "نعم حقيقة، لقد حدد جدى مرة ثمن طفلة، وكنت أنا وقتها فى سن السادسة، وكنت أنا وأبى نتمشّى من منطقة أبورا متشى إلى منطقة طورى تشو، فسمعنا صوتًا عاليًا يقول: بنات للبيع، بنات للبيع.

وعندما وصلنا إلى زاوية الحى الثانى، قابلنا البائع الذى يبيعهن أمام متجر ملابس يابانية اسمه إسيجن، وعرض مدخل المتجر ثمانية عشر مترًا وله مخزن كبير بخمسة أبواب، وهو أكبر متجر ملابس فى محافظة شيزوأوكا، وعندما تذهب

إلى محافظة شيزوأوكا المرة المقبلة مر عليه وشاهده، فواضح أنه ما زال الأكبر حتى الآن، مبنى عظيم، ومدير المتجر اسمه چنبيه، وملامح وجهه مثل ملامح شخص ماتت أمه منذ ثلاثة أيام، ويجلس فى مكان دفع الفواتير، وبجانبه شاب عادى فى سن الرابعة والعشرين، اسمه هاتسو، ووجهه شاحب مثل وجه الراهب أونشو ريشى الذى كان يصوم واحدًا وعشرين يومًا متتاليًا ولا يتناول إلا الحساء، وبجانبه يجلس السيد تشوضون منكفئًا على الآلة الحاسبة، ويبدو على وجهه الهم، كأنه فقد منزله فى حريق ليلة أمس، وبجانب السيد تشوضون ..."، فقاطعه الأستاذ "عطسة" قائلاً: "أنت تقص علينا قصة بائع البنات الصغيرات أم متجر الملابس؟".

فقال البروفيسور "الفشار":

"حقًا، لقد نسيت، كنت أتحدث عن بائع البنات الصغيرات، فى الواقع هناك حكاية عجيبة عن إسيجن، ولكنى سوف أؤجل سردها إلى مرة أخرى، وأتحدث اليوم عن بائع البنات الصغيرات فقط".

فقال الأستاذ "عطسة": "ويُستحسن تأجيل الحديث عن بائع البنات الصغيرات أيضًا إلى مرة أخرى".

فقال البروفيسور "الفشار": "لماذا؟! إن كلامى مرجع مهم لعمل مقارنة بين وضع المرأة فى القرن العشرين ووضعها فى بداية عصر ميچى (1868م)، ولذلك لن أترك الحديث عنه. عندما وصلت مع أبى إلى متجر إسيجن، شاهد بائعُ البنات أبى

فقال له: ألا تشترى ما تبقى عندى من البنات؟ سأبيعك أيهما بثمن زهيد.

وكان يحمل على كتفه عصا وفى كل طرف منها سلة كبيرة، فوضع العصا على الأرض ومسح عرقه، فشاهدنا فى كل سلة طفلة صغيرة، وكلتاهما فى سن الثانية، فقال أبى لذاك البائع:

"لو كان الثمن رخيصًا فسوف أشتريهما، ولكن ألا توجد غيرهما؟".

فقال البائع: "نعم، لقد بعت كل من كن عندى اليوم ولم تتبق إلا هاتان، اختر التى تعجبك".

ثم أمسكهما بكلتا يديه كما يمسك القرع ورفعهما إلى وجه أبى، فنقر والدى على رأسيهما وقال: يبدو أنهما جيدتان.

ثم بدأ الكلام عن السعر بعد ذلك، فقال أبى: "هل أنت متأكد أنهما جيدتان؟".

فقال البائع: "نعم، لا شك أن البنت التى فى السلة الأمامية جيدة لأنى أراها وأنا أسير بها، ولكن البنت التى فى السلة الخلفية لا أستطيع أن أحدد أنها جيدة، لأنه ليس لى عينان فى قفاى أشاهدها بهما فى أثناء السير، فربما يكون فيها شرخ، وإن كنت تريد أن تشتريها فسأخفض سعرها جدًا".

وما زالت تلك المحادثة بين البائع وأبى عالقة فى ذهنى بقوة حتى الآن رغم أننى كنت طفلاً صغيرًا وقتها، ولكنى تعلمت منها أنه يجب أن أكون دائم الحذر من النساء، ولكن الآن (1905) لا يوجد أحمق يسير فى الطرقات ويبيع البنات،

ولا نسمع شخصًا يقول إن الفتاة التى يحملها خلفه فيها عيب لأنه لا يستطيع النظر إليها باستمرار فى أثناء السير فى الطريق، ولذلك أنا أعتقد أن وضع المرأة ارتفع جدًا بفضل تأثير حضارة الدول الغربية، ألا تتفق معى فى الرأى أيها السيد القمر البارد؟".

وقبل أن يجيب "القمر البارد" سؤال البروفيسور "الفشار"، تنحنح بعظمة ثم تحدث بصوت منخفض قائلاً: "بنات هذه الأيام عند الذهاب إلى المدرسة أو العودة منها، وفى الحفلات الموسيقية والحفلات الخيرية، وحفلات تناول الطعام والشراب، يسرن يعرضن أنفسهن على الجميع ويقلن: اشترونا من فضلكم. لم تعد هناك حاجة لأن يُبعَنَ بمهانةٍ، مثلما كان يفعل بائع البنات الصغيرات الذى كان يقلد بائع الخضراوات؛ عندما يبيع خضارًا متبقيًا بسعر رخيص قبل أن يفسد، وهذا يدل على أنه عندما تزيد درجة استقلالية الإنسان فطبيعى أن يفعل ذلك، وعندما يشعر كبار السن بقلق شديد من تصرفات الشباب فإنهم يشكون ويقولون: هذا بسبب كذا وكذا، ولكن فى الواقع هذا بسبب تطور الحياة. أنا وأمثالى نرى أن التطور شىء جميل ولذلك نشعر بالسعادة منه، فإن المشترى الآن ليس فى حاجة إلى أن يتأكد من حُسن البضاعة بطريقة وضيعة، مثل النقر على الرأس والسؤال عما إن كانت البضاعة جيدة أم لا، وهذا شىء جيد، وسنتجنب متاعب فعل هذا فى العالم المعقد الذى نعيشه الآن، وستتجنب الفتاة أن تصبح فى سن الخمسين أو الستين دون أن تكون فى منزل الزوجية ويكون لها زوج".

السيد "القمر البارد" أحد شباب القرن العشرين، منفتح جدًا على فكر ذلك القرن، وكان يتحدث إلى البروفيسور "الفشار" وهو يدخن سيجارة وينفخ الدخان فى وجهه، ولكن البروفيسور "الفشار" ليس بالرجل الذى يغضب من تصرف كهذا من شاب.

قال البروفيسور "الفشار": "كما تقول فعلاً بنات مدارس هذه الأيام عندهن ثقة كبيرة فى أنفسهن، ويفتخرن بحالهن إلى أقصى درجة، يرين أنهن لسنَ أقل من الذكور فى شىء، وهذا أمر جيد جدًا، فعلى سبيل المثال بنات المدارس المجاورة لى بنات عظيمات، يرتدين الزى الرياضى الغربى ويتدربن على العُقلة، شىء باهر، وكلما شاهدتهن من الطابق الثانى لمنزلى، وهن يمارسن رياضة الجمباز، تذكرت سيدات اليونان القديمة".

فقال الأستاذ "عطسة" وهو يبتسم ببرود: "ثم أصبح الحديث عن اليونان".

فقال البروفيسور "الفشار": "لا مفر من ذلك، فإن أى شىء له علاقة بالجمال بدأ من اليونان، فإنها أصل جمال كل شىء، والعلاقة بين علماء علم الجمال واليونان علاقة لا تنفصل، خاصة عندما أشاهد فتاة سوداء البشرة تلعب الجمباز بتركيز تام، فأتذكر حكاية أجاميدى".

أخذ يتحدث والفخر بادٍ عليه بثقافته ومعرفته الواسعة.

فابتسم السيد "القمر البارد" كما يفعل دائمًا وقال: "ثم ظهر لنا أيضًا اسم صعب لا نعرف عنه شيئا".

فقال البروفيسور "الفشار":

"أجاميدى امرأة عظيمة، أنا معجب بها جدًا، فى ذلك الوقت كان ممنوعًا بحكم القانون فى أثينا أن تعمل المرأة قابلة (داية)، وكان هذا أمر غير منطقى، وشعرت أجاميدى بالضيق من ذلك".

فقال الأستاذ "عطسة": "الاسم الذى تتحدث عنه، اسم من؟".

فرد البروفيسور "الفشار": "امرأة.. اسم امرأة، كانت تريد أن تصبح قابلة وقالت لنفسها: شىء مشين أننا نحن النساء لا نستطيع أن نصبح قابلات، أليست هناك طريقة أصبح بها قابلة! يجب أن أفكر فى طريقة كى أصبح قابلة. ثم أخذت تفكر ثلاثة أيام بلياليها فى طريقة تصبح بها قابلة، وفى فجر ثالث يوم سمعت صوت طفل مولود حديثًا يبكى، فانشرح صدرها واهتدت إلى حيلة وقالت: لقد وجدتُها.

ثم حلقت شعرها الطويل بسرعة، ولبست رداء رجاليًا وذهبت لحضور محاضرات الطبيب هيروفيلوس، ثم اجتهدت فى تحصيل العلم منه إلى أن شعرت أنها أصبحت قادرة على إجراء عمليات الولادة بنجاح، فبدأت تعمل قابلة، والمدهش يا سيدتى أنها نجحت نجاحًا كبيرًا وذاع صيتها، وأصبحت تقوم بعمليات التوليد هنا وهناك، الجميع يطلبها للتوليد، ولذلك كونت ثروة كبيرة من عملها هذا، وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم. ومحاولات الفشل تؤدى فى النهاية إلى النجاح، وحين تأتى مصيبة تتبعها مصائب

أخرى. وكانت شهرتها هذه سببًا في انكشاف سرها، فعُلِم أنها خالفت القانون الذي وضعه الحاكم، فصدرت الأوامر بأن تنال عقابًا قاسيًا".

فقال الأستاذ "عطسة": "ما قلته عنها يشبه بالضبط ما نسمعه من قصص وأساطير من الرواة".

فقال البروفيسور "الفشار": "تشبيهي بالراوي يعني أنني متحدث بارع، وعلى كل حال فإن نساء أثينا وقّعن على وثيقة للسلطات بطلب العفو عنها، فلم تستطع السلطات تجاهل رغبتهن، فحكمت عليها بالبراءة، وأعلنت: من الآن فصاعدًا من حق المرأة أن تصبح قابلة. فشعر الجميع بالرضا والسعادة بحل تلك المشكلة".

فقالت الزوجة: "أنت مثقف جدًا. شيء يثير الإعجاب".

فقال البروفيسور "الفشار": "نعم أنا ملم بأغلب الأمور، والأمر الوحيد الذي لا أعرفه جيدًا، بل أعلم القليل عنه فقط، هو أنني أحمق".

فانفرجت أسارير وجهها وضحكت وقالت: "كلامك مضحك".

وحينئذ رن جرس بوابة المنزل كما اعتدنا منذ تم وضعه على البوابة. حينئذ قالت الزوجة: "يبدو أنه هناك ضيفًا آخر جاء".

ثم انسحبت من حجرة الضيوف واتجهت إلى حجرة المعيشة، وفي الوقت الذي تركت فيه الزوجة حجرة الضيوف دخلها شخص معروف للجميع، لقد كان السيد "رياح الشرق".

وبحضور السيد "رياح الشرق" لا نستطيع أن نقول إن جميع العشاق قد تجمعوا، ولكن على الأقل نستطيع أن نقول إن عددًا كافيًا منهم قد تجمع كى لا أشعر بالملل، فإن قلت إنه عدد غير كافٍ فقد تبطرت، ولو كنتُ عشتُ فى منزل آخر فلربما متُّ دون أن أعرف أن من بين البشر أساتذة عشاقًا مثل هؤلاء، ولكن للأسف أصبحت منتميًا إلى منزل عطسة، ومضطرًا إلى أن أكون تابعًا له فى كل الأوقات، ومع ذلك أشاهد وأنا مستلقٍ على الأرض عمالقة مثل الأستاذ عطسة والبروفيسور "الفشار" و"القمر البارد" والسيد "رياح الشرق" الذين لا مثيل لهم فى طوكيو الواسعة.. إن كل واحد منهم يساوى ألفًا من أمثاله، وإنها لفرصة لا تُعوَّض أن أكون معهم، وبفضل ذلك نسيت حرارة الجو التى يسببها فرو الصوف الملاصق لجسمى، وأستطيع أن أقضى نصف يوم فى سعادة غامرة، ولذلك فأنا أشكرهم بشدة، وبما أن هؤلاء العظماء اجتمعوا فلن يمر الوقت ككل وقت، أكيد سيكون هناك شىء ما عظيم سيحدث، فانتظرت حدوث ذلك الشىء وأنا أراقبهم جالسًا بجانب باب الحجرة.

أحنى السيد "رياح الشرق" رأسه احترامًا وقال: "لقد اشتقت إليكم كثيرًا، لم نتقابل منذ مدة طويلة".

فنظرتُ إلى وجهه فوجدته جميلاً كما شاهدته آخر مرة، وإذا حكمت عليه من وجهه فقط أستطيع أن أقول إنه يبدو مثل ممثل كومبارس، يرتدى معطفًا قطنيًا مُنشّى مثل الملابس الرسمية، كأنه تلميذ لمدرب السيف المشهور ساكاكى بارا،

وبالتالى فإن ما يبدو عاديًا فى جسم السيد "رياح الشرق" كأى إنسان آخر هو ما بين كتفه إلى وسطه.

وإذا بالبروفيسور "الفشار" يقول كأنه فى منزله: "شكرًا على حضورك رغم الجو الحار، تفضل هنا".

فقال السيد "رياح الشرق": "لم أقابلك منذ مدة طويلة، اشتقت إليك يا بروفيسور".

فقال البروفيسور "الفشار": "فعلاً، آخر مرة تقابلنا كان فى الصالون الأدبى، طبعًا أنت كنت تذهب كثيرًا إلى الصالون الأدبى فى الفترة الماضية، ألم تلعب دور المراكبى بعد ذلك؟ لقد كنت رائعًا فى ذلك الدور، لقد صفقتُ لك كثيرًا، ولكنك لم تتنبه إلى أننى صفقت لك وقتها كثيرًا".

فقال السيد "رياح الشرق": "نعم لاحظت ذلك، بفضل تصفيقك تشجعت واستطعت تمثيل الدور والتجديف إلى نهاية الدور".

فقال الأستاذ "عطسة": "متى سيكون موعد الصالون الأدبى المقبل؟".

رد عليه السيد "رياح الشرق": "سوف نأخذ شهرى يوليو وأغسطس راحة ثم نتقابل فى شهر سبتمبر، وسوف يكون لقاءً كبيرًا، هل عندك فكرة جيدة تكون موضوعًا للقاء المقبل؟".

فقال الأستاذ "عطسة" ببرود: "دعنى أفكر".

فإذا بالسيد "القمر البارد" يقول: "ما رأيك أيها السيد رياح الشرق أن تستخدم أحد مؤلفاتى؟".

فقال السيد "رياح الشرق": "أكيد أن مؤلفاتك جميلة ولكن عن أى مؤلَّف تتحدث؟".

فقال بثقة شديدة: "سيناريو مسرحية".

فشعر الثلاثة بصدمة ونظروا إلى وجهه بدهشة، فقال السيد "رياح الشرق" متماشيًا معه فى الكلام: "هذا رائع، سيناريو مسرحية كوميدية أم تراجيدية؟".

فقال "القمر البارد": "ليست كوميدية وأيضًا ليست تراجيدية، فى هذه الأيام بعض الناس مهتم بمشاهدة المسرحيات القديمة والبعض الآخر بالمسرحيات الحديثة، ولذلك أنا أبدعت شيئًا جديدًا وأسميته المسرحية الشعرية".

فقال السيد "رياح الشرق": "مسرحية شعرية؟! وضِّح لى أكثر".

فقال السيد "القمر البارد": "مسرحية جذابة من شعر يابانى، ولكنى لن أقرض قصيدة مكونة من ثلاثة أبيات، البيت الأول خمس كلمات والبيت الثانى سبع كلمات والبيت الثالث خمس كلمات، ولكنى سوف أقرض قصيدة من بيت واحد".

وعندما سمع الأستاذ "عطسة" والبروفيسور "الفشار" كلامه هذا، شعرا بأنهما لا يستطيعان الرد عليه من فرط غرابته.

فقال السيد "رياح الشرق": "وما الجذاب فى هذا؟".

فرد السيد "القمر البارد": "الجاذبية تأتى أصلاً من الشعر، فلا يكون طويلاً أكثر من اللازم، ولا يكون شعرًا مستهجَنًا، ستكون مسرحية من مشهد واحد فقط".

قال السيد "رياح الشرق": "جميل".

ثم استمر "القمر البارد" فقال: "دعنى أتحدث أولاً عن التجهيزات، كلما كانت التجهيزات بسيطة كان أفضل، نضع فى وسط المسرح شجرة صفصاف كبيرة، ومن جذع تلك الشجرة يخرج فرع يتجه ناحية اليمين، ونضع غرابًا فوق ذلك الفرع".

وهنا قال الأستاذ "عطسة" فى قلق كأنه يتحدث إلى نفسه: "وهل سيقف الغراب أم يطير؟".

فقال السيد "القمر البارد": "ماذا؟! لن يطير، سوف نربط ساقه فى فرع الشجرة، ونضع تحت فرع الشجرة حوض استحمام، وفتاة جميلة تجلس عارية متجهة إلى جانب المسرح فى الحوض وهى تستحم وتنظف جسمها".

فقاطعه البروفيسور "الفشار": "ولكن هذا انحطاط، أولاً من التى ستوافق أنْ تفعل ذلك؟".

السيد "القمر البارد": "سهل جدًا الحصول عليها، سوف نستأجر فتاة من مدرسة الفنون الجميلة".

فقال الأستاذ "عطسة" وهو كالعادة قلق: "أكيد أن الشرطة ستعارض ذلك بشدة".

فقال "القمر البارد": "بما أنه ليس عرضًا تجاريًا يهدف إلى الربح، فليست هناك مشكلة، لو اعترضت الشرطة على ذلك ما كان يوجد فى مدارس الفنون الجميلة اسكيتش رسم عراة".

فقال الأستاذ "عطسة": "ولكن ذلك فى مدرسة الفنون كنوع من تعليم الرسم، أما رؤية ذلك على المسرح فموضوع آخر".

فقال "القمر البارد" بغضب شديد: "بما أنكم تعتقدون ذلك فإن اليابان لن تتقدم، سواء فى الرسم أو فى التمثيل المسرحى، إنها فنون بعضها مثل بعض".

فقال السيد "رياح الشرق": "دعونا من هذا الجدل، وقل لنا: ماذا سنفعل بعد ذلك؟".

وبدا عليه أنه موافق على الفكرة ويريد الاستماع أكثر إلى مضمونها. فاستكمل "القمر البارد" حديثه:

"ثم يأتى الشاعر بطل المسرحية من الممر الذى وسط صالة الجمهور، يسير إلى خشبة المسرح وهو ممسك بعصا ويرتدى قبعة صيفية بيضاء ومعطفًا صيفيًا حريريًا شفافًا وحذاء خفيفًا، ومظهره يبدو مثل رجال القوات البرية ولكنه شاعر، ويجب أن يسير ببطء وهو يفكر فقط فى قرض الشعر، ثم يصعد على خشبة المسرح، ثم يتنبه إلى وجود شجرة السرو وتحتها فتاة بيضاء تستحم فى حوض، فيفكر فى قرض الشعر، ثم ينظر إلى أعلى الشجرة فيجد غرابًا على فرعها الطويل، فينظر للأسفل إلى الفتاة وهى تستحم، فيشعر بالإعجاب من هذا المنظر وينتظر خمس عشرة ثانية، ثم يقول بطريقة إلقاء شعر وبصوت عال:

غراب

يقع فى غرام فتاة

فى حوض الاستحمام

ثم يدق جرس انتهاء المشهد وتنزل الستارة.

ما رأيكم فى هذا العرض الجذاب؟ ألم يعجبكم؟ وبدلاً من أن تلعب أنت دور المراكبى تلعب دور الشاعر بطل المسرحية، أليس هذا أفضل لك كثيرًا".

فبدا على وجه السيد "رياح الشرق" أنه وجد الموضوع تافهًا، فقال بجدية: "محتوى الموضوع أقل مما يجب، نحتاج إلى حادثة تبين المشاعر أكثر".

وحتى الآن كان البروفيسور "الفشار" صامتًا، ولكنه لا يستطيع الصمت طويلاً فقال: "إذا كان هذا فقط يُطلق عليه مسرحية شعرية فهذا شيء سخيف، الناقد والشاعر والأديب أويضا بن يقول إن الشعر والكوميديا فنون سيئة وغير مفيدة، إن كلامه ممتاز، حاول أن تعرض هذه المسرحية وسوف ترى صحة كلامه، سوف يضحك عليك أويضا بن، أولاً أنا لا أفهم هل هذه مسرحية أم تهريج، كما أنها عمل سيئ، أنا آسف أن أقول لك إنه أفضل لك أن تظل فى المعمل وتستمر فى نحت الكرة الزجاجية. مهما كتبت من شعر، ولو مائة قصيدة أو مائتين، فإنها قصائد سيئة ولا معنى لها".

بدا على وجه "القمر البارد" الغضب، ثم دافع عن مسرحيته بصرف النظر عما إذا كانت كما يقولون أم لا فقال: "هل مسرحيتى سيئة لهذه الدرجة؟! أنا أعتقد أنها جيدة جدًا، أن يقنعنا الشاعر بطل المسرحية بأن الغراب يقع فى غرام فتاة فكرة جيدة جدًا".

فقال البروفيسور "الفشار": "هذه نظرية جديدة، هيا نسمعها".

فقال "القمر البارد": "إذا فكرنا فى الموضوع من منطلق العلوم التى حصلت فيها على بكالوريوس، فإن غرابًا يقع فى غرام فتاة أمر غير منطقى".

فقال البروفيسور "الفشار": "فعلاً".

"القمر البارد": "ولكن هذا الحدث غير المنطقى، لا يبدو أنه غير منطقى".

وهنا تدخل الأستاذ "عطسة" وقال بنبرة فيها شك: "هل تعتقد ذلك؟".

ولكن "القمر البارد" لم يعبأ بسؤال الأستاذ "عطسة" واستمر فى الكلام فقال: "لماذا لا يبدو ذلك غير منطقى؟! سوف تفهمون ذلك عندما أشرح لكم السبب من الناحية النفسية. فى الواقع إن موضوع الوقوع فى الغرام أو عدم الوقوع فيه، ليس له علاقة بالغراب، ولكن يرجع إلى مشاعر الشاعر، فالذى وقع فى الغرام بالطبع ليس الغراب، ولكنه الشاعر، بالتأكيد عندما شاهد الشاعر فتاة جميلة تستحم، وقع فى غرامها فورًا، وعندما نظر إلى أعلى فرع الشجرة شاهد الغراب لا يتحرك وينظر بإمعان إلى أسفل حيث الفتاة، تصور أن الغراب وقع فى غرام الفتاة مثله، بالتأكيد تصور ذلك، وهذا يكون موقفًا أدبيًا جديدًا وقويًا فى هذه المسرحية، مشاعره التى شعر بها هو فقط، امتدت لتشمل الغراب. واستخدم الشاعر ذلك ليعبر عما يشعر به، ألا تتفق معى يا بروفيسور؟".

البروفيسور "الفشار": "نعم فهمت، وجهة نظر لها وجاهتها، إذا قلت ذلك للناقد أويضا بن، أكيد سيُدهَش، شرحك فقط جيد، ولكن إذا عرضت هذه المسرحية، ففى الواقع لن تعجب المشاهدين، أليس كذلك أيها السيد رياح الشرق؟".

فأجاب السيد "رياح الشرق" بوجه جاد: "أعتقد أنها مسرحية سيئة جدًا".

وبدا على الأستاذ "عطسة" أنه يريد تحويل دفة الحديث إلى وجهة أخرى فقال: "ألم تكتب شيئًا جديدًا أيها السيد رياح الشرق؟".

فقال السيد "رياح الشرق": "لم أكتب شيئًا ذا قيمة كبيرة، ولكنى كتبت شعرًا، وقد أحضرت النوتة التى كتبت فيها الشعر معى الآن، وأفكر فى نشرها كمجوعة شعرية، وأرجو من حضرتك أن تقيمها".

ثم أخرج منديلاً كبيرًا بنفسجيًا وأخرج من داخله نوتة من مجموعة نحو ستين ورقة، ووضعها أمام الأستاذ "عطسة"، فوقعت عينا الأستاذ "عطسة" بطريقة عادية على الصفحة الأولى، وإذا به قد كتب الآتى فى أول سطرين:

"إلى الآنسة الرقيقة طوميقو

من ليس لها مثيل فى هذه الدنيا".

فصمت الأستاذ "عطسة" وظل ينظر بتركيز شديد فى الصفحة الأولى لمدة، فقال البروفيسور "الفشار": "ما عنوان هذا الشعر الجديد؟".

ثم نظر من الجانب إلى ما كتب السيد "رياح الشرق" قائلاً: "لقد أهديته إليها! أنت عظيم أيها السيد رياح الشرق لأنك قررت أن تهديه إلى الآنسة طوميقو".

فسأله الأستاذ "عطسة" مدهوشًا: "هل طوميقو هذه شخصية حقيقية تعيش فى الواقع؟".

رد السيد "رياح الشرق" بجدية: "نعم، هى إحدى من دعوتهم لحضور الصالون الأدبى السابق مع البروفيسور الفشار، وللعلم منزلها بالقرب من هنا، وفى الحقيقة لقد مررت على منزلها كى تشاهد هذا الشعر، ولكن للأسف هى فى مدينة أويصوا منذ الشهر الماضى".

فقال البروفيسور "الفشار": "نحن فى القرن العشرين يا سيد عطسة، فلا تُدهَش هكذا، هيا اقرأ الشعر بسرعة، ولكن طريقة كتابة الإهداء غير جيدة، ماذا تعنى بكلمة رقيقة؟".

السيد "رياح الشرق": "أقصد بها العطوفة أو الجذابة".

البروفيسور "الفشار": "طبعًا هذا أحد معانى هذه الكلمة، ولكنّ لها معانى كثيرة ما قد يوقع فى اللبس فتُفهَم خطأً، ولو كنت أنا من سيكتب الإهداء لما كتبت تلك الكلمة".

السيد "رياح الشرق": "إذًا كيف تكتب ذلك بطريقة شعرية؟".

البروفيسور "الفشار": "كنت سأكتب:

إهداء إلى منخار الآنسة الرقيقة طوميقو

الذى لا مثيل له فى هذه الدنيا

أضفتُ كلمة واحدة ولكن على أساس وجودها أو عدمه يختلف الإحساس بالإهداء اختلافًا كبيرًا".

فقال السيد "رياح الشرق": "فهمت".

قال ذلك وهو يحاول أن يقنع نفسه بأن البروفيسور "الفشار" على حق، وإن كان يبدو عليه أنه غير مقتنع.

قلب الأستاذ "عطسة" الصفحة في صمت وبدأ يقرأ الفصل الأول:

أشعر بالملل خلفي رائحة عبير يتصاعد

وخيالك يختلط بدخان يسير أفقيًا

ودنيا مرة المذاق آه آه آه

آه لو قُبلَة حلوة المذاق دافئة من شفتيك

فقال الأستاذ "عطسة": "أشعر بصعوبة في فهم هذا الشعر".

فأعطى النوتة إلى البروفيسور "الفشار"، فقال "الفشار" بدوره: "أسلوب هذا الشعر قديم جدًا". ثم أعطاها إلى "القمر البارد" الذي قال: "فعلاً". ثم أعاده إلى السيد "رياح الشرق"، فقال البروفيسور "الفشار":

"للأسف طبيعي ألا تفهم، لأن الشعر تطور تطورًا كبيرًا مقارنة بالشعر منذ عشر سنوات لدرجة لا يتخيلها العقل، لا تستطيع أن تفهم الشعر الحالي وأنت تقرأه نائمًا على جانبك أو واقفًا تنتظر الترام، لدرجة أنك إذا سألت الشاعر نفسه عن شعره فإنه في الغالب لن يستطيع إجابتك إجابة عميقة، إنه

يكتب ما يخطر على باله فقط ويعتبر نفسه غير مسئول عن أى شىء آخر يتعلق بشعره، فيعتبر أن شرح شعره والتعليق عليه وكتابة هوامش وملاحظات على شعره، ليس من مهمته، بل هو مهمة الباحثين والمتخصصين، ومنذ عدة أيام كتب صديق لى اسمه صوسيكى قصة قصيرة بعنوان (ليلة واحدة)، ولأنها غامضة وغير مفهومة الهدف فقد قابلته وسألته عما لا أفهمه فيها، ولكنه قال لى إنه أيضًا لا يفهمه، كأنه يتحدث عن شىء لا علاقة له به، وربما تكون هذه سمة كل الشعراء".

فقال الأستاذ "عطسة": "ربما يكون الشعراء كما قلت الآن، ولكن صديقك صوسيكى هذا يبدو غريب الأطوار جدًا".

فوجه البروفيسور "الفشار" ضربة قاضية إلى "صوسيكى" إذ قال: "إنه غبى".

ولكن السيد "رياح الشرق" لم يكتفِ بهذا القدر من الحديث فقال: "صوسيكى هذا موضوع آخر، إنه ليس صديقًا لنا، المهم ما رأيكم فى شعرى؟ أريدكم أن تقرأوه بإحساس من أعماق قلوبكم، خاصة أننى عصرت عقلى إلى أن وصلت لعمل مقابلة بديعية بين (دنيا مرة المذاق) و(قبلة حلوة المذاق)".

فقال البروفيسور "الفشار": "فعلاً، يبدو أنك بذلت مجهودًا كبيرًا للوصول إلى ذلك".

ثم أضاف البروفيسور "الفشار" فى سعادة خالطًا المزاح بالجد ما جعل السيد "رياح الشرق" يشعر بمزيد من الغموض: "إن تعبير دنيا مرة المذاق تعبير جديد، حيث إن المرارة دائمًا تأتى من خلط كثير من أنواع مكسبات الطعم بكمية كبيرة".

وحينئذ قام الأستاذ "عطسة" فجأة كأنما تذكر شيئًا، فذهب تجاه حجرة المكتب ثم عاد ممسكًا بنصف ورقة، وقال بجدية كأنه سيخبرهم أمرًا مهمًا: "لقد استمعنا لشعر رياح الشرق، والآن سأقرأ عليكم قصيدة قصيرة وأرجو تقييمكم لها".

فقال السيد "رياح الشرق": "إذا كانت فى رثاء صديقك السيد تنن كوچى، فقد أسمعتنى إياها عدة مرات".

فقال الأستاذ "عطسة": "اصمت يا رياح الشرق، الشعر الذى سأقرأه ليس شعرًا جيدًا، إنه شعر مناسبات".

فقال السيد "رياح الشرق": "أنا فى اشتياق لسماعه، تفضل".

الأستاذ "عطسة": "واستمع له أنت أيضًا أيها السيد القمر البارد".

"القمر البارد": "دون أن تقول، طبعًا سأستمع له، ولكن أتمنى ألا يكون طويلاً".

الأستاذ "عطسة": "إنها قصيدة قصيرة، تتكون من عدة أبيات".

ثم بدأ فى قراءة المكتوب فى الورقة التى فى يده:

"صاح اليابانى المصاب بسعال كأنه مصاب بمرض رئوى: الروح اليابانية...".

فقال السيد "القمر البارد": "عظيم، بداية قوية". فتابع:

"الصحفيون يصيحون: الروح اليابانية..

اللصوص يصيحون: الروح اليابانية..

وبقفزة واحدة..

عبرت الروح اليابانية المحيط إلى الغرب..

أقاموا خطابات فى إنجلترا عن الروح اليابانية..

أقاموا مسرحيات فى ألمانيا عن الروح اليابانية".

فمال البروفيسور "الفشار" إلى الخلف ورفع رأسه إلى أعلى وقال بغرور: "هذا الشعر أفضل من شعرك عن صديقك تنن كوچي".

ثم استرسل الأستاذ "عطسة" فقال:

"القائد العسكرى طوجو عنده الروح اليابانية..

بائع الأسماك جِن عنده الروح اليابانية..

المخادع والنصاب والسفاح عندهم الروح اليابانية...".

فقال البروفيسور "الفشار": "كتبت فى هذا الجزء أن السيد القمر البارد أيضًا عنده الروح اليابانية".

واستمر الأستاذ "عطسة" فى قراءة الشعر فقال:

"وعندما نسأل من يصيح: الروح اليابانية، ما الروح اليابانية؟

يقول: الروح اليابانية تعنى الروح اليابانية..

ثم يتركنا ويذهب..

وبعد عدة أمتار نسمع تجشؤَه لا أكثر".

فقال البروفيسور "الفشار": "هذا البيت رائع، أنت عندك موهبة أدبية رائعة، اقرأ علينا التالى".

فقال الأستاذ "عطسة":

"إن الروح اليابانية هى المثلث..

إن الروح اليابانية هى المربع..

الروح اليابانية هى روح كما يوضح اسمها..

ولأنها روح فهى دائمًا مصابة بالدوار...".

فقال السيد "رياح الشرق": "شعر جذاب جدًا، ولكنك تفرط فى استخدام مصطلح (الروح اليابانية) أكثر من المفترض".

وطبعًا هنا تدخل البروفيسور "الفشار" قائلاً: "أتفق معك فى الرأى".

واسترسل الأستاذ "عطسة" فقرأ:

"لا يوجد أحد لا يقول: الروح اليابانية..

ولكن لم يرها أحد..

لا يوجد أحد لم يسمع بها..

ولكن لم يقابلها أحد..

فهل الروح اليابانية..

روح إلهية لا توصف؟".

هنا توقف الأستاذ "عطسة" عن القراءة إيذانًا بأنه أنهى المقطوعة الشعرية، ولكن لأنها كانت أقصر بكثير من المتوقع،

لم يفهموا ما أراد قوله بهذه الأبيات، وتخيلوا أنها لم تنتهِ، فانتظر ثلاثتهم أن يقرأ عليهم البقية، وطال انتظارهم لكنه لم يقل لا "إحم" ولا "دستور"، لم ينطق بكلمة واحدة، فقال السيد "القمر البارد": "أهذا كل شيء؟".

فأجاب الأستاذ "عطسة": "نعم".

فشعر الجميع أن إجابته بـ"نعم" إجابة أقصر من اللازم؛ كانوا يتوقعون مقطوعة أطول من ذلك أو إجابة طويلة توضح الأمر.

والغريب في الموضوع أن البروفيسور "الفشار" لم يعلق تعليقًا سلبيًا على تلك القصيدة كما يفعل دائمًا، بل نظر إلى الأستاذ "عطسة" وقال: "ما رأيك في أن تجمع قصائدك القصيرة في ديوان شعر وتهديه إلى من تريد؟".

فقال الأستاذ "عطسة" دون جدية: "سأهديه إليك".

فقال البروفيسور "الفشار": "لا شكرًا".

ثم أمسك بالمقص الذى أبهر به زوجة الأستاذ "عطسة" وأخذ في قص أظفاره بسرعة.

وحينئذ وجّه "القمرُ البارد" سؤالاً إلى "رياحَ الشرق": "هل تعرف الآنسة ثريا؟".

فقال السيد "رياح الشرق": "نعم، لقد دعوتها إلى صالون أدبي في هذا الربيع، ومنذ ذلك الحين تقاربت مشاعرنا، وأصبحنا على علاقة عميقة، وعندما تظهر أمام عيني، أشعر بانجذاب ناحيتها، فأقرض الشعر وأغني، وأشعر بحالة من السعادة، وإن

وجود كثير من شعر الحب فى ديوان الشعر هذا يرجع إلى إحساسى تجاهها لكونها أنثى وأنا رجل، ولأنها كانت السبب فى شعورى بهذه المشاعر الجميلة وقرضى هذا الشعر، فقررت أن أكتب ديوان الشعر هذا وأهديه إليها، فمنذ قديم الزمن، وحتى الآن لم نجد شخصًا يكتب شعرًا جميلاً إذا لم تكن له فتاة ملهمة".

فقال السيد "القمر البارد" وهو يخفى ابتسامته: "شىء عجيب!".

الآن صار واضحًا لى أن هذا اللقاء الذى يتحدثون خلاله عن أشياء تافهة لن يستمر طويلاً، فقد ضعفت حرارة المناقشات تدريجيًا، كما أنه ليس واجبًا حتميًا علىّ أن أستمع لكلامهم التافه هذا حتى ينقضى اليوم، فتركتهم وخرجت أبحث عن فرس النبى. وكانت أشعة الشمس تأتى من غرب السماء فتسقط على الأوراق المرقطة لشجرة المظلة الصينية، وتقف على جذعها حشرات الزيز تصدر أصواتًا توحى بسقوط بعض الأمطار هذا المساء.

منذ فترة بدأت أمارس الرياضة، طبعًا سوف يسخر الكثير منى ويقولون: أول مرة نسمع عن قط يمارس رياضة، ولكن ألم يكن الإنسان حتى فترة قريبة يرى أنه خُلِق كى يأكل وينام فقط؟! أتذكر أنه كان يسمّى نفسه مفكرًا، فيجلس على وسادة ناعمة ويضع يده فى جيبه ويدخن نرجيلة ويرفع رأسه إلى أعلى ينفخ الدخان لا يفعل شيئًا، ويرى أن هذه هى عيشة الأكابر.

ولقد بدأنا نحن البشر نطلب من بعضنا القيام بأشياء كثيرة وسخيفة، مثل ممارسة الرياضة وشرب اللبن والاستحمام بماء بارد والغطس فى البحر، والذهاب فى الصيف إلى منتجعات داخل الجبال حيث يمرحون ولا يعملون، ومنذ ذلك الحين انتقلت إلى اليابان من دول الغرب الأمراض الحديثة مثل الطاعون والأمراض الصدرية وأمراض ضعف الأعصاب.

وبما أننى وُلِدت العام الماضى، ومضى على مولدى عام واحد فقط، لا أعلم شيئًا عن الفترة التى بدأ فيها البشر يصابون بأمراض مثل تلك، ولكن مؤكد أن هذا حدث للإنسان دون وعى منه أو رغبة كذلك، ولكن نستطيع أن نقول إن حياة عام لقط تعادل عشرة أعوام عند الإنسان، فعمر القط أقصر من عمر الإنسان عدة مرات، ورغم أن حياة القط قصيرة فإنه من ناحية التفكير يتطور بسرعة كبيرة، ولذلك خطأ كبير أن نعتقد أن القط يسير مثل الإنسان فى مراحل تطور تفكيره، فكما تلاحظون أولاً: رغم أن عمرى عام واحد وعدة أشهر، فإننى أفكر جيدًا. ثانيًا: الابنة الثالثة للأستاذ "عطسة" عمرها ثلاث سنوات، ولكن من ناحية عمرها العقلى فهى غبية لدرجة غير معقولة، فهى لا تعرف غير البكاء والتبول فى أثناء الليل والتعلق بثدى أمها، وبمقارنتها بى أنا من تجرع قسوة الحياة وشرب من أحزانها، أقول إنها بلهاء.

ولا يجب أن يُدهَش أحد منكم عندما أقول إننى أعرف جيدًا تاريخ الرياضة والاستحمام فى البحار والمنتجعات الطبيعية للعلاج الصحى، فإن تشكك أحد فى كلامى، فمؤكد أنه بهيمة يستحق رجلين أخريين. ومنذ زمن بعيد كان الإنسان بهيمة،

ولذلك فهو يتحدث كثيراً فى هذه الأيام عن فوائد الرياضة والاستحمام فى البحار، معتقدًا أنه اكتشف اكتشافًا عظيمًا، ولكنى أعلم تلك الأشياء جيدًا منذ كنت طفلاً فى أحشاء أمى.

أولاً: إذا سألنا لماذا السباحة فى البحر سهلة، فأجيب بأنك إذا ذهبت فى أى وقت -سواء ليلاً أو نهارًا- تشاهد البحر فستعلم لماذا، وأنا لا أعلم كم عدد الأسماك الموجودة فى هذا البحر الكبير، ولكن لم أسمع قَط عن سمكة مرضت وذهبت إلى الطبيب للعلاج، كل الأسماك تسبح فى البحر وهى فى كامل صحتها، فإذا مرضت السمكة لا يتحرك جسمها، وإذا ماتت تصعد إلى سطح البحر، ولذلك يطلقون على موت الأسماك باللغة اليابانية "الصعود"، أما موت الطيور فيطلقون عليه "السقوط"، وأما موت الإنسان فيطلقون عليه "العودة".

لو سألت أى شخص يركب البحر ويعبر المحيط الهندى: هل شاهدت سمكة تموت؟ فأكيد سيجيبك بـ"لا"، وطبيعى أن يجيب هكذا، ومهما كان الشخص يسافر بحرًا ذهابًا وإيابًا، فلن نسمع عن شخص يقول: "هناك سمكة صعدت إلى سطح البحر ولفظت أنفاسها الأخيرة الآن"، شىء مؤسف أن تتوقف أنفاسها، وما يجب أن نقوله هو: المد أتى بها، ولكن لم يشاهد أحد المد وهو يرفعها من أعماق البحر إلى أعلى حيث السطح، وإذا بحثنا ليلاً ونهارًا فى المحيط الواسع الذى ليست له نهاية منذ قديم الأزل وحتى الآن، فلن نجد سمكة واحدة ميتة طافية على سطح الماء، وبناء على هذا نستطيع القول إن الأسماك قوية الصحة.

والسؤال: لماذا تكون الأسماك قوية صحيًا إلى هذا الحد؟ والإجابة بسيطة، ويمكن للإنسان أن يعرفها فى الحال، وهى أن الأسماك توجد فى ماء البحر المالح وتبتلع ماءه باستمرار، وبما أن وجود الأسماك فى ماء البحر المالح شىء مهم لتقوية صحتها، فيجب أن يتنبه الإنسان لأهمية ماء البحر المالح له، وفى عام 1750م أعلن الطبيب الإنجليزى "رتشارد راسيل" لكل الناس، أن من يقفز فى بحر برايتون بإنجلترا يُشفَ من 404 أمراض! إعلان يثير الضحك، لقد كان إعلانه هذا كان متأخرًا جدًا. أما بخصوص انتهاء حياة القطط، فهناك فترة معينة عندما تحين تذهب جميع القطط إلى منطقة كاماكورا، ولكن هذه اللحظة لم تحِنْ بعد، لكل شىء موعد، وكما أن اليابانيين الذين عاشوا قبل "عصر إصلاح ميچى (1868- 1912)" ماتوا دون أن يستفيدوا من ماء البحر المالح، فإن قطط هذه الأيام لن يستطيعوا نزول البحر عرايا، وكما يقول المثل "فى العَجَلة الندامة"، فمثلاً القطط التى ذهبت اليوم لدخول مياه قناة "تسوكيچى" لن تستطيع العودة إلى منازلها بأمان، وطبقًا لقانون التطور، فإننا نعارض نحن القطط الاستخفاف بنا وعدم تقديرنا، بمعنى أننا لن نذهب للاستحمام فى البحر المالح إلا إذا قالوا عنا فى حالة الموت "صعدوا" كما يقولون عن الأسماك، وليس "ماتوا" كما يحدث الآن.

ولقد قررت أن أفكر بجدية فى ممارسة الرياضة، والتخلى عن فكرة نزول البحر المالح، فنحن فى القرن العشرين، ومن لا يمارس رياضة فى هذا القرن سيعتبره الناس فقيرًا وتسوء سمعته بين الناس، فإن عدم ممارسة الرياضة فى نظرهم ليس رغبة من

الشخص بل عجز منه، وما ضيق الوقت والانشغال إلا حجة كاذبة للتهرب من ممارستها، بينما قديمًا كانوا يسخرون ممن يمارس الرياضة ويعتبرونه إنسانًا وضيعًا كالعبد أو الخادم، أما الآن فمن لا يمارس رياضة يعتبرونه وضيعًا! آراء البشر وأحكامهم تتغير بحسب الوقت ووفق الحالة، ومن وجهة نظرى هذا أمر غريب يشعرنى بالدهشة والتعجب من حين لآخر، فالإنسان يحكم على الشيء بحكم، ثم يحكم عليه هو نفسه بحكم مخالف تمامًا.

ولكنه يغير حكمه على الأشياء من النقيض إلى النقيض بلا حرَج كأنه لا يأتى أمرًا غريبًا، وبما أن لكل شيء وجهين، فإن له حافتين، واعتاد الإنسان أن يغير الحافة البيضاء إلى سوداء، والسوداء إلى بيضاء، بلا أدنى حرج كأنه لا يفعل شيئًا، مثل من يذهب إلى لسان "أمانوهاشيديه" ويضع رأسه بين ساقيه وينظر إلى السماء، وعليه فعندما ننظر إلى الأشياء من منظور عكسى نصل إلى نتائج مختلفة، وبما أن النظر إلى أعمال شكسبير بالطريقة المعتادة منذ قديم الزمان شيء ممل، فإذا لم يظهر شخص من حين لآخر ينظر إلى أعمال شكسبير بطريقة عكسية، ويقول: "ما هذه الأعمال السيئة؟!" فلن يتقدم عالم الفنون.

ولذلك أصبح من كانوا يسخرون من ممارسة الرياضة، هم أيضًا يمارسون الرياضة، ولم يعد شيئًا غريبًا أن تشاهد الفتيات يحملن مضارب التنس ويسرن ذهابًا وإيابًا فى الشوارع، وبالتالى لا يحق لأحد أن يسخر منى حين يسمع أننى أنوى ممارسة الرياضة.

حسنًا.. ربما هناك من يشكك فى كلامى ويقول: "إذًا أى رياضة تنوى أن تمارس؟"، وأنا سأشرح لكم، فكما تعلمون، وللأسف، لا أستطيع الإمساك بالأشياء سواء كانت آلات أو معدات أو أى شىء آخر، ولذلك سيكون من الصعب علىّ أن أمسك بالكرة أو المضرب، بجانب أننى لا يمكننى أن أمتلك مالاً، وبالتالى لا أستطيع أن أشترى أى معدات أو أدوات رياضية، وبناء على هذين السببين فإننى اخترت رياضة تندرج تحت ما يجب أن نسميه "رياضات لا تحتاج إلى معدات"، ولكن ربما ظننتَ أننى أقصد أن أمشى ببطء أو أخطف قطعة التونة وأعدو بسرعة هاربًا، ورياضة السير على أربع أرجل بطريقة حسابية والأخذ فى الاعتبار الجاذبية الأرضية عند السير على الأرض موضوع سهل وليس جذابًا لى. وإن ما يُسمى رياضة مثل ما يفعله الأستاذ "عطسة" من القراءة ببطء، كلمة تتلوها كلمة، ما هى إلا تدنيس لقيمة الرياضة، وطبعًا الرياضة لا تعنى فقط ممارسة شىء فيه تنافس، مثل التنافس مع القطط الأخرى للحصول على أسماك البينيت أو البحث عن أسماك السلمون، ولكن التنافس شىء مهم، فإذا لم يكن هناك تنافس فلن تكون هناك جاذبية لممارسة تلك الرياضة، وبالتالى سيكون هناك شعور بالملل وعدم الرغبة فى فعلها.

وإذا لم أختر ممارسة الرياضة التى تحتوى على منافسة، فسوف أختار رياضة تتطلب مهارات فائقة، وعمومًا لقد فكرت فى ممارسة رياضات كثيرة.

فكرت فى ممارسة رياضات مثل الصعود من النافذة الموجودة فى أعلى المطبخ إلى سطح المنزل. والوقوف بأرجلى

الأربع فوق حجر القرميد المنحوت على شكل زهرة الخوخ اليابانى على قمة السطح الهرمى للمنزل. والسير على عمود نشر الغسيل من بدايته إلى نهايته، ولكن ذلك لن ينجح، لأن العمود من الخيزران وسطحه ألمس؛ فلن تستطيع أظفارى التعلق به، وبالتالى سأتزحلق.

والقفز كثيراً فجأة خلف بنات الأستاذ "عطسة" رياضة مشوِّقة جدًا، ولكن إذا مارستها كثيراً أسبب لنفسى أذًى عظيمًا، ولذلك يجب ألا أمارسها أكثر من ثلاث مرات شهريًا. ووضع رأسى داخل حقيبة ورقية سيجعلنى أشعر بضيق فى التنفس، وليس لى رغبة فى فعل شىء سخيف كهذا، وفضلا عن ذلك إذا لم يساعدنى إنسان فى وضع رأسى داخل الحقيبة الورقية فلن أستطيع فعلها.

وفكرت فى خدش أغلفة كتب الأستاذ "عطسة" بأظفارى، ولكن إذا اكتشف فعلتى فسيعاقبى بشدة، كما أن استخدام الأظفار فقط لن يكون رياضة لكل جسدى.

ولكن هذه الأنواع من الرياضات يمكن أن نطلق عليها "رياضات تقليدية قديمة".

ولكن هناك رياضات حديثة، وبعض منها رياضات مشوِّقة مثل الآتى:

أولاً: رياضة الإمساك بفرس النبى. وهى ليست رياضة خطرة مثل رياضة الإمساك بالفئران التى هى رياضة خطرة، وتحتاج إلى مجهود كبير، وتبدأ رياضة الإمساك بفرس النبى

من منتصف الصيف إلى بداية الخريف، وبجانب أنها رياضة فهى وسيلة تسلية أنيقة.

وتُمارس هذه الرياضة بالذهاب إلى الحديقة والبحث عن فرس النبى، فإذا كان الجو جيدًا تستطيع العثور على واحدة أو اثنتين بسهولة، وعندما تشاهدها تجرى بسرعة تجاهها، فترفع رأسها وتستعد للدفاع عن نفسها، وهذا شىء مسلٍّ.

دست بقدمى الأمامية اليمنى على عنقه، فانحنى إلى أسفل لأنه كان ناعمًا جدًا، وبدت على وجهه الدهشة، ما جعلنى أشعر بالإثارة، ثم استدرت خلفه بقفزة واحدة، ثم جذبت جناحيه بهدوء، ولأنهما مهمان له فى حياته اليومية، كان قد أغلقهما بعناية فائقة، فإذا جذبتهما بعنف فسوف يصيبهما الضرر، ويظهر من تحتهما ريش أرجوانى خفيف، جناحان يوضعان فوق بعضهما ما يجعل تحمل حرارة الصيف يحتاج إلى مجهود فظيع، وأحيانًا يتجه رأسه ذو العنق الطويل ناحيتى، وأحيانًا يضع كل منا وجهه أمام الآخر دون فعل شىء، ويبدو أنه ينتظر مبادرتى لفعل أى شىء، فلو ظللنا هكذا فلن تكون رياضة عندى، فإن طال الوضع على ما نحن فيه الآن فقد قيدت حركته تمامًا، وبالتالى إذا كان فرسَ نبى عاقلاً، فمن الطبيعى أن يحاول الهروب، ولكن إذا حاول مهاجمتى فهذا يعنى أنه عنيد وغبى، فإذا حاول عمل أى حركة تهدف إلى مهاجمتى فسأنتهز فرصة مهاجمته لى، وسأضربه ضربة قوية تُطيح به مترًا، ولكن لو هاجمنى من الخلف وصعد فوق ظهرى، فسأضطر إلى الجرى به حول أشجار الحديقة عدة مرات مثلما تطير الطيور حول الأشجار.

تراجع فرس النبى قليلاً، وهذا يعنى أنه علم قدر قوتى فلم تعد عنده الشجاعة لمواجهتى، يذهب يمينًا ويسارًا يبحث عن مكان يهرب إليه، ولكنى كنت ألاحقه يمينًا ويسارًا أينما ذهب، وفى النهاية بدا عليه الإرهاق فبسط أجنحته محاولاً عمل شىء ما، وفى الأصل تعمل أجنحته بالتنسيق مع الرقبة، ولذلك فهى طويلة جدًا ورفيعة، ولقد سمعت أنها للزينة فقط وليست مفيدة فى شىء، مثل معرفتنا باللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية للتباهى لا للمصلحة، ولذلك فإن بسط تلك الأجنحة الطويلة تجاهى لا فائدة منه، فرد تلك الأجنحة الطويلة قد يسمَّى نشاطًا، ولكن فى الواقع ما هو إلا سحبها على الأرض فى أثناء السير لا أكثر.

مؤسف أن يتطور الأمر إلى هذا الحد المحزِن، ولكن لا مفر من ذلك ما دامت رياضة، أنا آسف أن يحدث ذلك ولكنى تقدمت إلى الأمام فى الحال، ومن عادة فرس النبى أنه لا يستطيع الدوران للخلف فجأة، ولذلك ليس أمامه إلا التقدم إلى الأمام، ولذلك ضربته على أنفه، ففرد جناحيه ثم سقط على الأرض، فضغطت عليه من أعلى برجلىّ الأماميتين، ثم ارتحت قليلاً، ثم بعد ذلك تركته، ثم ضغطت عليه مرة أخرى، لقد استخدمت معه طريقة هجوم القائد العسكرى الصينى "كونج منج"، وهى طريقة "الكر سبع مرات والفر سبع مرات"، وبعد أن أصبح لا يستطيع حراكًا تمامًا، وضعته فى فمى آكله، لكن سرعان ما بصقته، فسقط على الأرض لا يتحرك فضربته بيدى، فحاول أن يطير بكل ما يملك من قوة، فضغطت عليه بشدة، ولكنى شعرت بالملل من الاستمرار فى هذه المباراة فقررت أن

آكله مضغًا بأسنانى، وليعلمْ من لم تسنح له فرصة أكل فرس النبى أن مذاقه ليس باللذيذ، كما أنه يحتوى على قيمة غذائية قليلة جدًا.

وبجانب رياضة صيد فرس النبى، هناك رياضة صيد حشرة الزيز، وهذا لا يعنى أن جميع حشرات الزيز متشابهة، فكما يوجد بين البشر "إنسان لصقة" و"إنسان غتيت"، و"إنسان جعجاع"، يوجد "زيز دهنى"، وزيز يصيح "مين مين"، وزيز يصيح "أوشى تسكو تسكو"، ولكن "الزيز الدهنى" يصعب الإمساك به، وزيز "مين مين" يشعرنى بالضيق لكونه "غتيتًا"، والوحيد الذى أشعر بمتعة فى اصطياده زيز "أوشى تسو تسو"، إنه "جعجاع" يصيح دائمًا بصوت عال "أوشى تسكو تسكو"، ولكنه لا يظهر إلا فى نهاية الصيف، عندما تدخل رياح الخريف من كم الرداء إلى تحت الإبط وتضرب البشرة، فيعطس الإنسان ويصاب بالبرد، حينئذ يظهر زيز "أوشى تسكو تسكو" ويجعر بأعلى صوت دون توقف "أوشى تسكو تسكو" وهو رافع ذيله لأعلى، وصياحه بصوت عال ما هو إلا نداء من الطبيعة للقطط كى تمسكه، ونحن نمسك هذا الزيز فى بداية فصل الخريف، وسوف أُطلق على هذه الرياضة "رياضة الإمساك بالزيز".

وأريد أن أوجه عناية حضراتكم إلى أن الحشرة الحقيرة التى يُطلَق عليها "زيز" لا تزحف على الأرض، وكل حشرة تجدونها على الأرض بالتأكيد ستجدون النمل فوقها، وما سأمسك به ليس الزيز الذى سقط على الأرض ويعتليه النمل؛ سأمسك بالزيز الذى يقف فوق فروع الأشجار ويصيح "أوشى تسكو تسكو".

وبهذه المناسبة أحب أن أسأل أهل التخصص: هل تصيح حشرة الزيز "أوشى تسكو تسكو" أم "تسكو تسكو أوشى"؟ فإن لذلك علاقة ليست بسيطة بالبحوث الخاصة بحشرة الزيز، والبحث هو نقطة تفوق الإنسان على بقية الكائنات، وهو أيضًا ما يجعل الإنسان يشعر بأنه أعظم من بقية الكائنات، ولكن إذا لم يستطع الإنسان الإجابة عن سؤالى، فليفكر فيه جيدًا وليُجِب حين يعلم. فى الواقع إذا كانت الزيز تصيح "أوشى تسكو تسكو" أو " تسكو تسكو أوشى"، فهذا ليس له علاقة برياضة صيد الزيز، وكل الحكاية أننى عندما أسمع صوتها يأتى من ناحية شجرة أعلم أنها فوق تلك الشجرة، فأشعر بالسعادة وأصعد تلك الشجرة إلى مكان الصوت وأمسك بها.

وهذه الرياضة تبدو سهلة جدًا ولكنها فى الحقيقة صعبة جدًا، فأنا أملك أربع أرجل، وبالتالى أصلح للسير على الأرض مثل بقية الحيوانات، ومن منظور حسابى سواء كانت رجلين أو أربع أرجل أستطيع أن أقول إننى لن أسمح للإنسان بأن يتفوق علىّ، ولكن بخصوص تسلق الأشجار فيوجد كائن أمهر منى بكثير، باستثناء القرد الذى عمله هو تسلق الأشجار، فهناك حفيده الذى لا يمكن الاستخفاف به، ألا وهو ذلك الإنسان، وفى الأصل فإن تسلق الأشجار فعل عكس الجاذبية الأرضية، ولذلك إذا لم أستطع فعله، فليس هناك ما يجعلنى أشعر بالخجل، ولكن عدم القدرة على تسلق الأشجار تعنى عدم القدرة على ممارسة رياضة صيد الزيز، ومن حُسن حظى أننى أملك أظفارًا ولذلك أستطيع تسلق الأشجار بطريقة أو بأخرى، ولكن ليس بسهولة كما يتخيل البعض، وخاصة أن حشرة الزيز

تستطيع الطيران، وذلك على عكس فرس النبى، فإذا طارت الزيز فلن أستطيع الإمساك بها، وسأشعر بسوء الحظ وأندم أننى بذلت مجهودًا فى تسلق الشجرة دون فائدة.

وأخيرًا، فأحيانًا تتبول حشرة الزيز على من يحاول الإمساك بها، وهذا شىء خطير؛ لأنها تستهدف عينىّ وتدفع تجاههما ببول شديد، وليس هناك مفر من الهروب حتى لا أتبلل بشدة من بولها، ولكنى مدهوش جدًا؛ لماذا تتبول قبل أن تطير؟! ما التأثير النفسى الذى يجعل الجهاز البولى يفعل ذلك؟! كما أنها لا يجب تتصرف تصرفًا وقحًا كهذا، أو ربما يكون هذا نوعًا من الاستراتيجية التى تهدف إلى تعطيل العدو وبذلك تكسب الوقت الكافى للهروب، مثلما يفعل الحبّار قبل أن يهرب إذ يبخّ حبره، أو الأستاذ "عطسة" الذى يتكلم بإنجليزية غير مفهومة عندما يكون غاضبًا، وهذه مشكلة أخرى بعيدة عن الزيز، ولكن مشكلة تبول الزيز مشكلة كبيرة تصلح أن تكون موضوع بحث دكتوراه، ولكنه موضوع جانبى ولذلك سأكتفى بهذا القدر من الكلام عنه وأعود إلى التحدث فى الموضوع الأصلى.

أكثر ما يتجمع الزيز -ربما يعتقد بعضكم أن كلمة يتجمع قديمة والأفضل أن أستخدم كلمة يتكتّل، ولكنى سأستخدم يتجمع- فوق شجرة المظلة الصينية، والتى يُطلق عليها باللغة الصينية (wútóng)، وللعلم هذه الشجرة كثيفة الأوراق شديدة الخضرة، بجانب أن أوراقها الخضراء كبيرة فى حجم مروحة اليد، ولذلك لا تستطيع أن ترى الفروع، فكثافة الخضرة وكِبَر حجم الأوراق يشكلان عائقًا لممارسة رياضة الإمساك بالزيز، وهناك أغنية شهيرة يقول مطلعها "أسمع جعجعة ولا أرى طَحنًا"،

شعرت أنها غُنيَت خصوصًا لهذا الموقف الذى أنا فيه الآن، فليس أمامى مفر إلا أن أعتمد على الصوت فى بحثى عن الزيز. تسلقت الشجرة وعند ارتفاع نحو مترين انقسمت الشجرة إلى فرعين، فأخذت راحة قصيرة فى مفترق الفرعين، وبحثت خلف أوراق الشجر عن زيز، ولكن للأسف وأنا فى طريقى إلى هنا سمعت حركة الزيز وهى تطير بسرعة قبل أن أصل إليها، وشعرت بالخوف أن يكون جميع الزيز قد طار، أما بخصوص التقليد فإن الزيز يختلف عن الإنسان لأنه يُقلِّد بغباء، فإذا طارت واحدة يطير بعدها جميع ما حولها من زيز، فعندما كنت قد وصلت إلى مفترق الفرعين كان قد طار كل الزيز ولم أسمع صوتًا لواحدة باقية، فعندما وصلت هنا أخذت أنظر هنا وهناك وأبحث حولى ولكنى لم أجد ولو واحدة، وبما أن تسلق الشجرة أمر شاق، فلا أريد أن أحضر مرة أخرى وأتسلقها من جديد، ولذلك فضلت أن أستريح فى مفترق الفرعين وأنتظر إلى أن تحضر حشرات الزيز مرة أخرى، ولكنى نمت دون أن أدرى، وحلمت وأكلت أرزًا مع الملائكة، وفجأة فتحت عينىّ على صوت ارتطام من سقوط، لأجد نفسى ملقى على طريق حجرى تحت الشجرة.

غالبًا أصطاد حشرة زيز واحدة فى كل مرة أتسلق الشجرة، ولكن ما لا أحبه كثيرًا أننى يجب أن أضع الزيز فى فمى بعد إمساكها إلى أن أنزل من فوق الشجرة، وعندما أصل إلى أسفل الشجرة تكون قد ماتت تمامًا، فمهما دفعتها أو جذبتها لا تتحرك، وألذ شىء فى رياضة صيد الزيز هى الصبر ثم الاندفاع للإمساك بها، فتحرك ذيلها بقوة فيطول ويقصر، وحينئذ الهجوم

عليها وتقييد حركتها بقدمى الأماميتين، وفى هذه اللحظة تصيح باكية وتضرب بجناحيها فى كل اتجاه، وهذا منظر يمر بسرعة ولكنه جميل، إنه أجمل منظر أشاهده فى عالم الزيز، منظر يصعب التعبير عنه بالكلمة، وكلما قيدت حشرة زيز عن الحركة شاهدت ذلك المشهد الدرامى الرائع، وعندما أكتفى من الاستمتاع بهذا المشهد، أعتذر للزيز ثم أضعه فى فمى، وبعض الزيز يظل يؤدى هذا المشهد الرائع إلى أن يدخل فمى.

والرياضة التالية لصيد الزيز، هى رياضة التزحلق فوق أشجار الصنوبر، وهذه الرياضة لا تحتاج إلى الكتابة بإسهاب عنها، ولذلك سوف أختصر القول فيها.

ربما يعتقد البعض أنها تعنى التزحلق فوق شجرة الصنوبر، ولكنها ليست كذلك. إنها نوع من أنواع تسلق أشجار الصنوبر، فرياضة صيد الزيز تهدف إلى صيد الزيز، ولكن رياضة التزحلق على أشجار الصنوبر تهدف إلى تسلق أشجار الصنوبر، وهذا هو الاختلاف بينهما.

وتقول الأساطير إن الإمبراطور "هوچو" قد ذهب فى زيارة إلى معبد "صاميوچى" فى فصل الثلوج، فاستخدم رهبان المعبد كثيرًا جدًا من فروع أشجار الصنوبر لتدفئة المكان له، ومنذ ذلك اليوم توقفت أفرع أشجار الصنوبر عن النمو، وأصبحت جذوع تلك الأشجار ملساء، ولذلك ليست هناك شجرة جذعها أملس تصلح للتزحلق مثل شجرة الصنوبر، وليس هناك أفضل منها ملمسًا لا للأيدى ولا للأرجل.

يمكن التسلق إلى أعلى والنزول إلى أسفل كَرَّة واحدة دون توقف، وهناك طريقتان للنزول؛ طريقة النزول العكسى، أى أن يكون الرأس متجهًا إلى أسفل. وطريقة النزول بوضع الصعود، أى أن يكون الذيل بالأسفل والرأس بالأعلى كما نفعل فى الصعود، ونترك أيدينا فننزل بطريقة تلقائية إلى أسفل الشجرة.

وأريد أن أسأل الإنسان: أيهما أصعب عليك؟

بنظرة الإنسان الضيقة المحدودة، أكيد ستقول: ما دام سينزل، فالنزول بوضع الرأس المتجه لأسفل أسهل، ولكن هذا خطأ. أنتم تقولون ذلك بناءً على معلوماتكم السابقة عن القائد العسكرى "ميناموتو يوشتونيه" عندما كان يحارب أعداءه، وسار بجنده راكبين الخيول على ممر وعر من أعلى جرف إلى أسفله، رغم أن الناس قالوا له إن الغزلان فقط هى التى تستطيع النزول من هذا الممر، وإن الخيل لا تستطيع ذلك، ولكنه نزل بالخيول من هذا الممر ورءوسها متجهة إلى أسفل، وفاجأ أعداءه من مؤخرة جيشهم وهزمهم، ولكن عند القط فالنزول والرأس متجه إلى أسفل أمر صعب جدًا.

هل تعلمون إلى أى اتجاه تنمو أظفار القطط؟ سأحدثكم عن ذلك وإن كان هذا لا يعنى أننى أقلل من قدر مستواكم الثقافى والمعرفى. جميع أظفار القطط تنثنى إلى الداخل، تستطيع أن تعلق الأشياء أو تسحبها كما يفعل منقار الصقر، ولكن لا تستطيع أن تدفع الأشياء.

افترضوا أننى تسلقت شجرة صنوبر بهمة ونشاط وبسرعة، وبما أننى فى الأصل مخلوق يمشى على الأرض، فمن الطبيعى ألا

أستطيع البقاء على قمة الشجرة وقتًا طويلاً، ولو بقيت كثيرًا لسقطت، ولو باعدت أظفارى عن الشجرة لسقطت بسرعة كبيرة جدًا، ولذلك يجب أن أفكر فى طريقة ما لأتجنب هذا السقوط الطبيعى السريع وجعل سقوطى أبطأ بكثير، وتلك الطريقة التى تحقق ذلك هى ما يقال عنها "النزول".

بين "السقوط" و"النزول" فرق كبير، ولكن ليس للدرجة التى كنت أعتقدها، فالسقوط شىء يحدث بسرعة، أما النزول فهو شىء يحدث ببطء. "السقوط" و"النزول" بينهما اختلاف فى بعض الحروف، ولكنى لا أريد أن أسقط من فوق شجرة الصنوبر، بل أقلل درجة "السقوط" وذلك بأن "أنزل"، بمعنى أن أفعل شيئًا من أجل مقاومة سرعة السقوط، وكما قلت لحضراتكم سابقًا فإن أظفار القطط تنحنى إلى الداخل، فإذا وجهنا رءوسنا إلى أعلى نستطيع أن نستخدم قوة أظفارنا فى مقاومة "السقوط" ما يؤدى إلى أن يصير "نزولاً"، وهذا شىء يتفق مع المنطق والعقل.

ولكن لو حاولنا فعل العكس مثلما فعل ذلك القائد العسكرى، حتى لو استخدمنا أظفارنا فلن تفيدنا فى شىء، ولسوف تنزلق أجسامنا الثقيلة ولا يمنعها شىء من التزحلق، وبهذه الطريقة فإن ما خططنا أن يكون "نزولاً" سيتحول إلى أن يكون "سقوطًا"، وعليه فإن ما فعله ذلك القائد العسكرى صعب تطبيقه على أشجار الصنوبر. ومِن بين القطط مَن يُحسِن فن النزول بالرأس من أعلى أشجار الصنوبر وهو أنا فقط، وليس أحدًا آخر، ولذلك أطلقت على هذه الرياضة "التزحلق على أشجار الصنوبر".

وآخرًا سأتكلم عن "الدوران على السور".

يوجد سور يحيط المنزل من الجهات الأربع، وهو سور مصنوع من الخيزران وله أربعة أضلاع، والضلع المواجه للشرفة طوله نحو خمسة عشر مترًا، وطول كل من الضلعين اللذين على يسار ويمين الشرفة لا يزيد على سبعة أمتار، وما أقصده من كلامى هذا أن الدوران فوق السور يعنى السير أعلى السور من أوله إلى آخره دون السقوط عنه، وأطلق على هذا "رياضة الدوران فوق السور". أحيانًا كثيرة أفشل فى إتمام الدوران فوق السور، ولكن حين أنجح فى ذلك يكون هذا عزائى عن مرات الفشل السابقة. وتوجد فى السور جذور أشجار كبيرة وهذا شىء مفيد، حيث أستطيع أخذ قسط من الراحة فوقها.

ولقد كنت اليوم فى صحة جيدة، ولذلك استطعت القيام بثلاث محاولات للدوران فوق السور، وكلما قمت بمحاولة تحسن مستواى، وكلما نجحت فى القيام بمحاولة أشعر بأن تلك الرياضة فعلاً رياضة ممتعة، وأخيرًا استطعت تكرار الدوران فوق السور كله ثلاث مرات، ولكن فى المرة الرابعة وبينما أنا فوق منتصف الجهة الأخيرة من السور، فوجئت بثلاثة غربان تطير من فوق سطح المنزل المجاور، فاصطفوا على السور على بعد نحو مترين أمامى، غربان لا تعرف الحياء، يعترضون ممارستى لرياضتى، فشعرت بالضيق، وقلت لنفسى: ما ملتهم؟! ومن أين جاءوا؟! ومن الذى أعطاهم الحق فى أن يقفوا على سور منزل شخص لا يعرفونه؟! فصحتُ فيهم:

"يا هؤلاء! أنتم! أفسحوا الطريق، أريد المرور".

نظر إلىّ الغراب الأقرب وابتسم بخبث. أما التالى فنظر إلى حديقة المنزل. والثالث مسح منقاره فى خيزران السور، يبدو أنه أكل شيئًا ما قبل أن يأتى.

ولقد ظللت واقفًا فى مكانى فوق السور لمدة ثلاث دقائق كمهلة كى يفسحوا لى الطريق، عادة نطلق على الغراب اسم "الأسود"، وفعلاً هو "أسود"، ورغم أننى انتظرت طويلاً لم يلقوا علىّ السلام ولا أفسحوا لى الطريق، فقلت لنفسى: ليس هناك مفر من أن أبدأ السير، فبدأت فعلاً أسير، فإذا بالغراب القريب منى يبسط جناحيه ويرتفع قليلاً، فتصورت أنه خاف من قوتى فقرر أن يهرب، لكنه غير اتجاه وقوفه من جهة اليسار إلى اليمين، بحيث صار وجهه لوجهى! قذر، لو كنا على الأرض لأطحت به بعيدًا، ولكن للأسف لا المكان ولا الوقت مناسب كى أتشاجر معه، فشعرت بالضيق من أن أقف فى مكانى منتظرًا أن يفسحوا لى الطريق، فأقدامى لن تستطيع الاستمرار فى حملى لمدة طويلة واقفًا هكذا، إن لهؤلاء أجنحة واعتادوا على الوقوف فى مثل هذه الأماكن، وبالتالى إذا كان هذا المكان يعجبهم فسيظلون واقفين فيه إلى ما لا نهاية، هذه هى الناحية الرابعة والأخيرة لى من السور، وحتى إذا لم تكن هناك كل هذه الأسباب فأنا أشعر بالتعب الشديد، ومما لا يحتاج إلى قول، أننى أمارس رياضة، بجانب أنها فن لا يقل عن فن السير على الحبل، فحتى إذا لم يكن أمامى عائق فمن الممكن أن أسقط على الأرض، فما بالك وأمامى ثلاثة مخلوقات سوداء تمنعنى من السير فى طريقى! إذا استمر الوضع هكذا فلا حيلة لى إلا أن أترك الرياضة وأنزل عن السور.. واضح أنه

أفضل لى أن أفعل ذلك، فعدد الأعداء كبير، ولستُ معتادًا السير فوق هذا المكان، بجانب أن مناقير الغربان تبدو حادة مثل أسنان الشياطين، وواضح عليهم أنهم غربان أشرار، واضح أن الانسحاب الطريقة الأكثر أمانًا، لو جازفت فربما أسقط على الأرض فتتلطخ سمعتى.

وبينما كنت أبحث كيف أتعامل مع هذه المشكلة، فإذا بالغراب الأقرب إلىّ يقول: "جبان".

وقال التالى مثله: "جبان".

ثم قال الثالث مرتين بطريقة هادئة: "جبان، جبان".

ومهما كنت طيبًا، لا يمكن السكوت على هذا، فهؤلاء الغربان داخل حديقة منزلى، ومع ذلك يهينوننى، وهذا أمر يلوث اسمى، صحيح أننى ليس لى اسم بعد، ولكن ليست هذه هى القضية، هذا فعل مشين لشخصى، وعلى ذلك لا يمكن الانسحاب، وكما يقول المثل "تجمع الضعفاء"، فإنهم ثلاثة غربان فقط، وهذا يعنى أنهم ليسوا أقوياء كما أتصور، إنهم ضعفاء، ولذلك قلت لنفسى أن أسير على قدر ما أستطيع، وبدأت السير رويدًا رويدًا، ولقد كان الغربان فى ذلك الوقت منهمكين فى الحديث عن شىء ما فلم يلتفتوا إلىّ.

بدأ دمى يغلى، لو كان عرض السور يزيد على خمسة عشر سنتيمترًا، للقنتهم درسًا قاسيًا، لكن للأسف عرض السور ضئيل جدًا لا يسمح لى إلا بالسير ببطء وحرص. أخيرًا تحركت من مكانى وسرت لنحو خمسة عشر سنتيمترًا، فتنفست الصعداء، ولكن فجأة بسطت الغربان أجنحتها وارتفعت إلى أعلى لنحو

نصف متر، فهبت رياح فجأة بسبب رفرفة أجنحتها وطيرانها، فاختل توازنى ووطئت الهواء، فسقطت فورًا على الأرض، وبعد أن فشلت هكذا، نظرت إليهم من أسفل السور، فوجدت ثلاثتهم يقفون على السور ومنقار كل منهم بمحاذاة الآخر ينظرون إلىّ من أعلى باحتقار. غربان فى منتهى البرود. فنظرت إليهم شزرًا ولكن لا حياة لمن تنادى، فتمددت بجسمى وزمجرت غضبًا، ولكن هذا لم يكن له أى تأثير عليهم، وإذا كان العامة مثل هؤلاء لا يتأثرون بعلامات الغضب التى أظهرتها، فطبعًا لن يستطيعوا فهم شِعرٍ رمزى يعبر عن مشاعرى هذه، ولو فكرت بعمق فسأجد أنه طبيعى ألا يفهموا تعبيراتى عن الغضب، لأننى كنت أتعامل معهم حتى الآن على أنهم قطط، وهذا خطأ، لو كانوا قططًا لفهموا ذلك، ولكنهم للأسف غربان. نعم، بما أنهم غربان، يجب ألا أتوقع أن يفهمونى بالضرورة، ليست باليد حيلة. الموضوع مثلما يحاول رجال الأعمال الضغط على الأستاذ "عطسة" كى يفهم وينفذ لهم ما يريدونه، ولكن الأستاذ "عطسة" لن يفهم، أو كما حدث للراهب "سيجيو"، حين حصل على هدية عبارة عن قط مصنوع من الفضة من القائد العسكرى يورى طومو، ولكنه لم يعِ قيمتها، فبعد أن خرج من حضرة ذلك القائد العسكرى أعطاها لطفل ورحل، أو كالغربان التى تسقط مخلفاتها على الفيل المصنوع من النحاس والذى أقامه الحاكم "سيجو تاكامورى".

وبما أننى سريع البديهة فقد فهمت أن الأمر قد قُضى، ولذلك انسحبت فى هدوء إلى الشرفة، وقد كان وقت تناول وجبة العشاء. صحيح أن ممارسة الرياضة شىء جيد، ولكن الإفراط

فى ممارستها شىء سيئ، فقد شعرت أن جسمى كله ليس فى حال جيدة، أشعر بالإرهاق، ليس هذا فحسب، بل ما زلنا فى بداية الخريف، وما زالت حرارة شمس وقت العصر التى تعرضت لها فى أثناء ممارسة الرياضة تاركة أثرها فى فروتى، ما جعلنى أشعر بضيق شديد، فتمنيت خروج العرق من المسام وانسيابه بسرعة، ولكنه كان ملتصقًا بجذور الشعر بقوة كما لو أنه زيت، وأشعر بأشياء تتحرك على ظهرى ببطء شديد، ولكنى أستطيع التمييز بين الحركة البطيئة للعرق والحركة البطيئة للبق، ولو استطاع فمى الوصول إلى مكان البق لمضغته، ولو كان فى مكان تستطيع قدماى الوصول إليه لانتزعته، ولكنه موجود فوق منتصف سلسلة ظهرى، ما يعجزنى عن فعل شىء، وفى هذه الحالة طبيعى للإنسان أن يحك ذلك المكان، أو أن يستخدم لحاء شجرة الصنوبر ليحك به إلى أن يشعر بالاكتفاء، وإن لم يختر إحدى هاتين الطريقتين ما استطاع النوم فى راحة.

الإنسان غبى، عندما يستدعينا يصدر أصواتًا يعتقد أننا نحبها، ولكن فى الواقع هو الذى يحبها وليس نحن، عمومًا نحن نستجيب لها ونذهب ناحية سيقانه نلتصق بها، فيعتقد هو أو هى خطأ أننا نحبه أو نحبها، فيفعلون لنا ما نريد، بل أكثر من ذلك يمسحون على رءوسنا بمحبة.

ولكن فى هذه الأيام ظهر فى فروتى بق، ولأنه من الحشرات الطفيلية، فإننى إذا اقتربت من الإنسان، فإنه يحملنى من رقبتى ويلقينى بعيدًا عنه، حتى إذا كان عددهم قليلاً لدرجة أننى لم أنتبه إلى ذلك، أو لم أقض عليهم جميعًا، فإن معاملة الإنسان لى تتغير تمامًا من الحب إلى الكراهية، وهذا ينطبق

عليه المثل القائل "مشاعر الإنسان تتغير على أقل سبب"، لمجرد وجود ألف أو ألفين من البق، ينقلب الإنسان إلى هذه الدرجة، وأول شروط الحب عند عالم البشر الآتى:

"أحبب من ترجو منه الفائدة".

وبما أن معاملة الإنسان تغيرت، فإننى لن أستطيع استغلاله فى أن يحك لى جسمى، رغم أننى أشعر برغبة شديدة فى حكه، وبالتالى ليس أمامى إلا استخدام الطريقة الثانية وهى طريقة الحك بلحاء شجرة الصنوبر.

فقررت أن أحك جسمى وذلك بالنزول من على الشرفة، وبدأت فى فعل ذلك ولكنى اكتشفت أنها فكرة غبية تسبب أضرارًا كبيرة، ولا أستطيع أن أصفها إلا بذلك، فى أشجار الصنوبر راتنج، وهى مادة شديدة الالتصاق، فلو افترضنا أنها التصقت بسطح فروتى، فلن تزول أبدًا حتى لو سقطت صواعق من السماء أو تم تدمير الأسطول الروسى الموجود فى بحر البلطيق تمامًا. ليس هذا فقط، بل إنها لو التصقت بخمس خصل من فروتى فستمتد لتلتصق بعشر، وإذا التصقت بعشر، فستمتد لتلتصق بثلاثين. أنا قط مختلف عن بقية القطط، أنا قط يحب البروتينات، وأكره جدًا السيئ واللحوح و"اللصقة" الذى لا يتركك بأى وسيلة، وإذا كانت هذه صفات أجمل قطة فى العالم فلن أتقبلها، ولا حاجة للقول إننى أرفض فكرة استخدام راتنج شجرة الصنوبر. لا أريد أن أكون مثل "الأسود"؛ قط صاحب عربة الدفع باليد، الذى يخرج من كلتا عينيه غَمَصٌ حين تهب رياح الشمال، لن أسمح أبدًا بأن تتلوث فروتى المنقطة

بالأحمر النارى. سأفكر قليلاً فيما يجب فعله. أسرع حل هو أن أذهب إلى ذلك اللحاء وأحك ظهرى فيه، ولكن أكيد سيلتصق الراتنج بفروتى، ولكن القيام بعمل أحمق جدًا مثل هذا، ليس فقط له علاقة بسمعتى ولكن له علاقة أيضًا بفروتى، فمهما كنت أشعر بضيق من زحف البق على ظهرى، فليس أمامى إلا التحمل والصبر.

ولكنى أشعر بالقلق الشديد بسبب عدم القدرة على استخدام أىٍّ من هاتين الطريقتين، فإن لم أصل إلى طريقة لحل هذه المشكلة، فإن تلك الحشرات "اللاصقة" ستؤدى إلى أن أصاب بالأمراض. وأثنيت قدمىّ الخلفيتين وقلت لنفسى: ألا توجد فكرة جيدة لحل هذه المشكلة؟ وفجأة تذكرت شيئًا، أحيانًا يخرج الأستاذ "عطسة" دون هدف واضح وهو ممسك بصابونة ومِنشفة، ثم يعود بعد نحو نصف ساعة وقد أصبح وجهه العبوس ناضرًا يشع ضياءً وبهاء، وإذا كان المكان الذى يذهب إليه الأستاذ "عطسة" ذو الوجه القذر، يحول حاله إلى ذلك، فبالتأكيد سيحول حالى إلى أفضل بكثير منه، وأتخلص مما أنا فيه، وبما أننى وسيم جداً، فليست هناك أهمية لأن أصبح وسيمًا أكثر من الآن، بل المهم النظافة؛ لأنى، على سبيل الفرض الضئيل، إذا مت بسبب المرض وأنا فى عمر عام وعدة أشهر، فسيكون هذا صدمة محزنة للبشرية.

ولقد بحثت وعلمت أن المكان الذى يذهب إليه الأستاذ "عطسة" يُسَمى "الحمام العام" وهو مكان لقضاء وقت الفراغ، وعلى كل حال، فإنه مكان قد بناه الإنسان، ولذلك مؤكد أنه مكان جميل، وسوف أذهب إليه كتجربة، ولمحاولة حل

مشكلتى، فإذا لم أحصل على نتيجة جيدة منه فلن أذهب إليه بعد ذلك.

لكن الإنسان بنى "الحمام العام" من أجل أن يستخدمه هو، فهل سيتقبل دخول جنس مختلف عنه مثلى؟! أشك فى ذلك. سوف أدخل الحمام العام بعد أن يدخل الأستاذ "عطسة"، وأكيد لن يرفض دخولى، وإذا حدث أمر سيئ فستصبح سمعتى سيئة، وعمومًا لا ضرر فى أن أذهب وأشاهد الحمام أولاً، فإذا وجدته مكانًا جيدًا فسأحمل منشفة وأذهب للدخول، وبناء على ما توصلت إليه من تفكير كما هو واضح أعلاه، فقد خرجت متجهًا إلى الحمام العام وأنا أسير ببطء.

اتجهت إلى اليسار فدخلت طريقًا جانبيًا ضيقًا، فشاهدت بعيدًا أشياء مرتفعة جدًا مثل الخيزران يخرج من فوهتها دخان، وكانت هذه هى مداخن "الحمام العام"، فتسللت ودخلت من الباب الخلفى فورًا. ربما يقول البعض إن الدخول خفية من الباب الخلفى يعنى أنك جبان أو عديم الخبرة، ولكن من يقولون ذلك لا يستطيعون الدخول إلا من الباب الأمامى، وهؤلاء يشعرون بالغيرة منى لأننى أستطيع الدخول من الباب الخلفى. ومنذ قديم الزمان، كان الذكى هو من يدخل من الباب الخلفى خلسة، وهذا مكتوب فى كتاب "أسلوب تربية الجنتلمان" الجزء الثانى الفصل الأول صفحة خمسة، وفى الصفحة التالية مكتوب:

"وصية الجنتلمان تقول إن الباب الخلفى باب لمعرفة النفس والأخلاق".

وبما أننى قط من القرن العشرين، فإننى قد تعلمت ذلك، وعلى هذا يجب ألا ينظر إلىّ أحد باحتقار.

وعندما دخلت من الباب الخلفى متسللاً، وجدت طرقة على يسارها كومة كبيرة من أشجار الصنوبر مقطعة إلى أجزاء، كل جزء نحو 30 سنتيمترًا على شكل جبل، وبجانبها كومة فحم كبيرة على شكل هضبة، وقد يسأل سائل: لماذا أعواد الصنوبر على شكل جبل والفحم على شكل هضبة؟ فأقول له: هذا ليست له دلالة، للتفرقة بين هذا وذاك لا أكثر. البشر أكلوا الأرز وأكلوا الطيور وأكلوا الأسماك وأكلوا الحيوانات وأكلوا أشياء سيئة كثيرة، ودخنوا السجائر، لقد انحدروا انحدارًا كبيرًا، إنى لأشفق عليهم.

وفى نهاية الطرقة كان هناك باب مفتوح على مسافة نحو مترين، نظرت داخله فوجدت المكان خاليًا وساكنًا، ثم سمعت أصوات بشر تأتى من بعيد، فعرفت أن تلك الأصوات تأتى من داخل الحمام، فسرت فى وادٍ بين تل أعواد الصنوبر وتل الفحم، ثم بعد أن مررت منه اتجهت يسارًا وسرت، فوجدت على يمينى نافذة زجاجية مرصوصًا أمامها كثير من الأوانى الدائرية بعضها فوق بعض على شكل هرمى. أكيد أنها وُضِعت فوق بعضها دون علمها وأنها تتحمل هذا الوضع دون رضاها.

وفى الناحية الغربية للأوانى، كانت هناك طاولة، بدا لى أنها ترحب بى وتقول: تفضل. كان ارتفاعها من سطح الأرض نحو متر، وهذا مناسب لى للوصول إلى أعلاها، فقفزت فوقها فصار الحمام تحت مستوى وجهى.

ولو قلنا إن الممتع فى الحياة أن تأكل شيئًا لم تأكله من قبل، أو أن تشاهد شيئًا لم تشاهده من قبل، فأنا أقول لكم: أن تَحضروا إلى هذا الحمام ثلاث مرات أسبوعيًا وتقضوا فيه نحو نصف ساعة -كما يفعل الأستاذ "عطسة"- لهو شىء ممتع، وإذا كنتم مثلى لم تشاهدوا حمامًا عامًا من قبل فأنصحكم بأن تشاهدوه بسرعة، يجب أن تشاهدوه مهما كلفكم الأمر، إن مشاهدته أهم من أن تلقى نظرة الوداع على أحد والديك وهو يحتضر. ربما يقول البعض إن الدنيا واسعة ولكنى أقول: ليس هناك منظر نادر أكثر من هذا، وسوف تسألون: ما المنظر النادر الذى تتحدث عنه؟ فأقول إنه منظر نادر جدًا لدرجة أننى أعجز عن وصفه، إن البشر الذين أشاهدهم من خلال زجاج النافذة داخل الحمام، كثيرون ومشغولون بالتحدث بعضهم إلى بعض، ولكنهم جميعًا عرايا، مثل القبائل البدائية الذين كانوا يعيشون فى تايوان، إن كلاً منهم آدم القرن العشرين.

أما لو تحدثنا عن تاريخ الملابس، فسنعرف أنه بناءً على نوعية الملابس التى يرتديها الإنسان يتم تقييمه، ومن يريد معرفة تاريخ الملابس تفصيلاً فليرجع إلى الكاتب الأسكتلندى توماس كارليل.

وفى فترة القرن الثامن عشر وضع ريتشارد ناش قواعد صارمة لاستخدام العيون الساخنة الموجودة فى مدينة "باث" فى إنجلترا، حيث قرر أنه على الرجال والنساء تغطية أجسامهم كاملة من الصدر إلى القدمين وهم داخل الحمام.

ويُقال إنه منذ ستين عامًا، وفى مدينة أخرى فى إنجلترا، تم إنشاء مدرسة فنون، ولأنها مدرسة فنون كانت تشترى لوحاتٍ وتماثيل عارية مقلدة واسكيتشات رسم، ووضعتها إدارة المدرسة هنا وهناك فى المدرسة، ولم تكن هناك مشكلة تجاه ذلك، ولكن عندما قررت إدارة المدرسة عمل حفل افتتاح للمدرسة حدثت مشكلة كبيرة، خصوصًا لإدارة المدرسة، حيث إن إدارة المدرسة كان يجب أن تدعو فتيات المدينة لحضور حفل الافتتاح، ولكن فتيات المجتمع الراقى فى ذلك الوقت كن يعتقدن أن الرجال حيوانات ترتدى ملابس، ولا يعتقدن أن بشرتهم مثل بشرة القرود، كن يعتقدن أن الإنسان دون ملابس مثل الفيل دون خرطوم، مثل المدرسة دون تلاميذ، مثل الجيش دون جنود شجعان، أى أن الإنسان يفتقد الشىء الأساسى الذى يجب أن يكون عليه إذا لم يكن يرتدى الملابس، إذا لم يكن يرتدى الملابس فهو ليس إنسانًا، بل حيوان، حتى عمل صور أو تماثيل شبيهة بالإنسان يكون شيئًا جارحًا لكرامة فتيات المجتمع الراقى، ولذلك أعلنت فتيات المجتمع الراقى رفضهن حضور الحفل، ولقد اعتقدت إدارة المدرسة أنهن لن يستطعن إبداء رفضهن، ولكن لأن الرجال فى الغرب والشرق يعتبرن السيدات أدوات زينة، لا يستطعن القيام بالعمل البدنى الشاق أو الاشتراك فى حرب كجنود ولكن يجب حضورهن فى احتفال افتتاح المدرسة كأدوات زينة، ذهبوا إلى متجر قماش واشتروا قماشًا أسود يكفى لعمل ملابس لخمسة وثلاثين شخصًا، ووضعوها على التماثيل وصور البشر الموجودة هنا وهناك فى المدرسة، ولزيادة الاطمئنان وضعوا القماش الأسود فوق التماثيل والصور من أعلى إلى

أسفل كى تحجب رؤية حتى الوجوه، حجبوها عن الرؤية، وبذلك استطاعوا أخيرًا إقامة حفل الافتتاح دون مشكلة. وهذه الحكاية تشير إلى أى مدى تكون الملابس شيئًا مهمًا للإنسان.

وفى هذه الأيام ظهر أساتذة رسم يشجعون بشدة على رسم العراة، ولكن هذا خطأ، من وجهة نظرى -أنا القط الذى لم يكن عاريًا أبدًا منذ ولادته حتى الآن- أن هذا خطأ جسيم، والتعرى كان عادة أهل اليونان وروما، وقد تم استخدام التعرى فى فن عصر النهضة، وكانت له شعبية كبيرة، وذلك لأن أهل اليونان وروما كانوا معتادين على رؤية العرايا، ولم يفكروا فى أن ذلك سيكون له تأثير على الأخلاقيات. يمكن أن يسير الشخص فى اليابان وهو عار، ولكن شمال أوروبا مكان بارد، فإذا سار شخص عاريًا فى ألمانيا أو إنجلترا يموت من البرد، ولذلك يجب أن يرتدى ملابس كى لا يموت، وإذا ارتدى جميع البشر ملابس أصبحوا حيوانات مرتدية ملابس، وبعد أن يصبح الشخص حيوانًا مرتديًا ملابس، لو خلع فجأة تلك الملابس لن يُعَدّ إنسانًا، بل حيوانًا بريًا، ولذلك فإن الأوروبيين وخاصة من هم من شمال أوروبا يعدون الصور العارية والتماثيل العارية لبشر هى صور وتماثيل لحيوانات برية، حيوانات أقل رتبة من القطط، لأن القطط ترتدى فراءً.

جميل.. ليس عندى مشكلة أن ترى الإنسان العارى جميلاً، ولكن يجب أن تراه جميلاً كبهيمة، وسأجد من يقول لى: وهل سبق لك أن شاهدت الزى الرسمى للمرأة الغربية؟

وسأجيبه قائلاً: أنا قط، ولذلك لم يسبق لى أن شاهدته.

ولكنى سمعت أن ذلك الزى يظهر صدورهن وأكتافهن وأذرعهن، ومع ذلك يطلقون عليه الزى الرسمى، شىء غير مقبول، فحتى القرن الرابع عشر لم يكنّ يرتدين مثل تلك الملابس المضحكة خارج المنزل، كن يرتدين ملابس عادية مثل ما ترتديه النساء العاديات، ولكن لماذا صرن يرتدين ملابس مثل هذه تشبه ملابس لاعبات سيرك الدرجة الثالثة! سؤال إجابته تحتاج إلى حديث آخر معقد، ولذلك سأتجنب الإجابة عنه. وعمومًا مَن يعلم يعلم، ومَن لا يعلم فليس مهمًا أن يجهد نفسه كى يعلم.

ولن أتحدث عن النواحى التاريخية لهذا الموضوع، بل سوف أتحدث عن الشىء المهم وهو عاداتهن الغريبة، فعندما يأتى الليل يظهرن رويدًا رويدًا على حقيقتهن كبشر، ولكن عندما تشرق الشمس تعتدل أكتافهن وتتغطى صدورهن تمامًا، فلا يظهر منها أى جزء. ليس هذا فحسب، بل إنهن يعتقدن أنه عارٌ شديد أن يظهر من أجسادهن ولو حتى ظفر من أظفار أقدامهن، وعلى هذا فإذا فكرنا فى زيهن الرسمى، فسنجد أنهن يستخدمنه بطريقة حمقاء، إن ارتداء زى رسمى عارٍ هكذا ما هو إلا نتيجة اتفاق بين مجموعة حمقى، وإذا لم يكن هذا كلامًا مقنعًا، فليُظهرن أكتافهن وصدورهن وأذرعهن فى أثناء النهار.

الكلام نفسه يُقال لمن يؤمنون بالتعرى، فلو كانوا يعتقدون أن التعرى شىء جيد، وجب أن يعروا بناتهم ويعروا أنفسهم، وليسيروا عرايا فى الحديقة العامة أوينو، ألا يستطيعون؟ بالطبع يستطيعون، ولكن لأن الأوروبيين لا يفعلون ذلك لن يفعلوا.

أَلْسُنَ فى هذه الأيام يرتدين هنا ذلك الزى الرسمى غير المنطقى على الإطلاق ويذهبن به إلى الفندق الإمبراطورى؟ ولو سألتهن عن السبب فى فعل ذلك فلن يجدن إجابة، أكيد أنهن يفعلن ذلك لمجرد أن الأوروبيات يفعلن ذلك، لمجرد أن أوروبا متقدمة، فإنهن يضغطن على أنفسهن ويقلدنهن حتى لو كان ما تفعله الأوروبيات ضربًا من الحماقة، إنه إذعان وخضوع للقَوىّ، ألا يشعرن بأن ما يفعلنه لا يليق؟! وإذا دافع أحد عنهن قائلاً: ما باليد حيلة، فسأقول له: إذًا لا يجب أن نقول إن اليابانيين عظماء، والكلام ليس فقط عن الزى ولكن عن العلم أيضًا، ولكن الكلام عن العلم هنا سيكون خروجًا عن الموضوع، ولذلك لن أتحدث عنه.

وهكذا يتضح أن الملابس شىء مهم للإنسان، والعلاقة بين الإنسان والملابس علاقة حتمية لدرجة أننا نستطيع أن نقول إنه "لا إنسان دون ملابس، ولا ملابس دون إنسان"، بل لدرجة أننى أريد أن أقول إن بقاء الإنسان ليس قائمًا على وجود اللحم أو العظام أو الدم، بل قائم أساسًا على وجود الملابس، لذلك فإن رؤية إنسان عارٍ لا تعطى شعورًا بأنه إنسان، فإذا شاهدت إنسانًا عاريًا فسوف تشعر وكأنك قابلت صدفة عفريتًا، فلو تحولنا جميعًا لعفاريت واختفت العفاريت الأصلية فلن يكون هناك مشكلة، ولكن لو تحول الكثير من البشر إلى عرايا كالعفاريت، فسوف تكون مشكلة كبيرة للبشرية.

من قديم الزمن خُلِق الإنسان على أساس المساواة، ثم جاء إلى الدنيا، ولذلك عندما يُولد البشر يولدون جميعًا عرايا تمامًا، فلو كان العُرى هو المساواة الطبيعية بين بنى الإنسان منذ

ولادتهم، ولو كان الإنسان يشعر بالأمان فى ظل المساواة، لكان من المفروض أن يظل الإنسان حيًا وهو عار تمامًا كما وُلِد.

ولكن ربما قال أحد من ولدوا عراة: إذا ظللنا عراة هكذا، فسيكون الجميع متشابهين، ولن يكون هناك هدف ندرس ونبحث من أجله، وبالتالى لن نشاهد نتائج من اجتهدوا، فأنا أريد أن أكون ما أنا عليه لا أن أكون مثل غيرى، أريد من جميع من يشاهدوننى أن يعرفوا أنه أنا وليس شخصًا آخر، أريد أن أضع شيئًا مميزًا على جسدى كى يعرفنى على الفور من يشاهدنى، وظل يفكر فى شىء يميزه عن غيره لمدة عشر سنوات، وأخيرًا اهتدى إلى اختراع لباس يوارى العورة، فارتداه على الفور متفاخرًا بأنه صنع شيئًا عظيمًا، وهذا اللباس الذى يدارى العورة هو أصل لباس سائقى العربة التى تُجر باليد المستخدمة الآن.

وإن استغراق الإنسان عشر سنوات كاملة كى يخترع لباسًا يوارى العورة لشىء غريب جدًا، ولكننا نستطيع القول إننا إذا نظرنا إلى الملابس المستخدمة حاليًا ورجعنا إلى الوراء ننظر إلى ما كان يرتديه الإنسان سابقًا، لعرفنا أن العصر القديم الذى كان يحيا فيه الإنسان كان عصر ظلام، وأن اختراع لباس يوارى العورة، اختراع كبير لم يكن له مثيل فى ذلك العصر، ويُقال إن ديكارت استغرق عشرات السنوات كى يصل إلى الحقيقة التى قالها وهى "أنا أفكر إذًا أنا موجود"، مع أن تلك الحقيقة يعرفها الآن الطفل ذو الثلاث سنوات، فكل اختراع أو اكتشاف يحتاج إلى بذل مجهود شاق، ولذلك فإن اختراع اللباس الذى

يـوارى العـورة اسـتغرق عـشر سـنوات تفكـيرًا، ولكنـه خسـارة فى سـائق العربـة.

حسـنًا، وعندمـا تـم اخـتراع اللبـاس الـذى يـوارى العـورة، فـإن أكـثر مـن اسـتفاد مـن ذلـك سـائق العربـة التـى تُجـر باليـد، حيـث إنـه أصبـح يسـير فى الطـرق الرئيسـة بلباسـه وهـو متفاخـر ومتبـاهٍ بنفسـه، وهـذا جعلنـى أشـعر بالضيـق منـه، ولكـن شـخصًا عاريًـا آخـر مثـل العفريـت لم يرتـضِ الهزيمـة، فاخـترع بعـد سـتة أعـوام السـترة القصـيرة التـى تغطـى الجسـم حتـى الركبـة، وهـى قطعـة ملابـس عديمـة الفائـدة، ولكـن بـدا اللبـاس الـذى يـوارى العـورة فقـط للنـاس أقـل قيمـة مـن تلـك السـترة القصـيرة، وعليـه دخلنـا فى العـصر الذهبـى للسـترة القصـيرة، حيـث انتـشرت بـين أصحـاب متاجـر الخـضراوات والأدويـة والملبوسـات، كلهـم ارتـدوا هـذا الاخـتراع الكبـير.

ثـم بعـد عـصر اللبـاس الـذى يـوارى العـورة وعـصر السـترة القصـيرة التـى تغطـى الجسـم إلى الركبـة، جـاء عـصر اللبـاس الـذى يغطـى النصـف الأسـفل مـن الجسـم وهـو التنـورة أو الـسروال، وربمـا يقـول البعـض إن فكـرة ارتـداء سـترة فـوق تنـورة غريبـة، إنهـا فكـرة عفاريـت، ولكـن ذلـك كان زى المحاربـين القدامـى والآن أصبـح الـزى الرسـمى لجميـع رجـال الدولـة.

وكى يظهـر كل شـخص أنـه مختلـف عـن الآخـر، حدثت منافسـة عـلى صنـع اخـتراع جديـد، حتـى أن أحدهـم اخـترع سـترة عـلى مؤخرتهـا صـورة تشـبه مؤخـرة طائـر السـنونو، وعندمـا سـألنا عـن سـبب صنـع السـترة بهـذا الشـكل، لم يكـن هنـاك سـبب منطقـى

لذلك، كأن الفكرة خطرت لصانع السترة بالصدفة دون تفكير عميق، مجرد الرغبة فى التفوق على الآخرين بعمل شىء مختلف عنهم، وهذا أدى إلى ظهور أشكال كثيرة ومختلفة للسترات، وكل شخص يرتدى سترة مختلفة عن الآخر كى يقول له: أنا لست مثلك، أنا مختلف عنك، أنا أنا ولستُ أنت.

ومن هذا المنطلق نستطيع التوصل إلى اكتشاف كبير، وهو كما يقول المثل: "الطبع غلاب"، أى أن الإنسان يكره المساواة، ولذلك فهو يغطى لحمه وعظامه تمامًا بالملابس، وهذا يوضح لنا الآن طبيعته، فلقد ظل الإنسان محتفظًا بجزء من طبيعته البشرية التى تكره المساواة، وإن العودة إلى عصر المساواة (العُرى) لهو تفكير قِلة مجنونة، وحتى من وجهة نظر الناس المتحضرة فإن مَن عاد إلى التعرى أصبح غريب الأطوار وكأنه عفريت، حتى لو افترضنا أننا وضعنا مئات الملايين من البشر فى مكان وأجبرناهم جميعًا على التعرى وقلنا لهم: **هكذا أصبحتم متساوين، كلكم عرايا مثل العفاريت، فلا داعى للشعور بالخجل**، فحتى وإن شعروا بالأمان فلن يرتضوا لأنفسهم العيش عرايا هكذا، فحتى لو العالم كله عرايا، ففى اليوم التالى لتعريهم سوف تبدأ المنافسة بينهم، فإذا لم يستطيعوا التنافس وهم يرتدون ملابس، فسوف يتنافسون وهم عرايا، فبصرف النظر عن التعرى فإن الإنسان يحب التمييز (العنصرية)، وإذا نظرنا إلى الإنسان من منظور التمييز فإننا نستطيع القول إن الإنسان لا يستطيع العودة إلى التعرى أبدًا.

ولكن مجموعة البشر التى أنظر إليها الآن من أعلى، قد خلعوا ما يجب أن يرتدونه من لباس يدارى العورة وسترة

قصيرة وتنورة وسروال ووضعوها فوق رفوف، وظهروا أمام كل الناس عراة كما ولدوا دون شعور بالحرج ويتبادلون الأحاديث وهم يضحكون، وكأنهم لا يفعلون شيئًا غريبًا، ولذلك عندما قلت منذ قليل إنه منظر نادر جدًا، كنت أقصد بذلك هذا المنظر الذى أراه الآن، وإنه ليشرفنى أن أصف لمتمدينين مثل حضراتكم ما يحدث أمامى الآن.

ما هذا! هرج ومرج هنا وهناك، لا أعرف من أين أبدأ، وبما أن هؤلاء العراة يتصرفون بطريقة ليس لها قواعد، أجد صعوبة بالغة فى وصف ما يفعلونه وصفًا منطقيًا منظمًا. دعونى أبدأ من حوض الاستحمام. لا أعرف ماذا يُطلق عليه ولكنى لا أجد كلمة أخرى لوصفه غير كلمة حوض، ولا أعرف إذا كانت مناسبة لوصفه أم لا، عمومًا فإن عرضه يزيد قليلاً عن متر ونصف، وطوله حوالى ثلاثة أمتار، ولكنه مقسم إلى قسمين، قسم يحتوى على مياه ساخنة بيضاء، ويُقال عنها مياه علاجية، حيث إن لونها عكر بسبب ما تم وضعه فيها من فحم مطحون، مياه غريبة، تبدو عكرة وثقيلة لامتزاجها بزيت، ولقد علمت أنه طبيعى أن يكون منظرها مقززًا، ويُقال إن هذه المياه لا يتم تبديلها إلا مرة كل أسبوع.

والقسم الآخر مياه ساخنة عادية، ولكنى لو طلب منى أحد أن أُقسِم أنها مياه صافية، فلن أفعل، ولو حكمنا عليها من لونها فسأقول إنها تبدو بوضوح مختلطة بماء أمطار من خزان مياه موضوع هناك.

أما بالنسبة للعفاريت (العرايا)، فسوف تجهدنى محاولة وصفهم. ناحية خزان المياه يقف شابان بمواجهة بعضهما، وكلاهما يصب ماء على بطنه، ويبدو عليهما الاستمتاع بذلك، كلاهما له بقعة سوداء اللون كبيرة لدرجة لا يمكن وصفها، وأحدهما قوى البنيان جدًا. قال أحدهما وهو ينظف صدره بليفة: "أشعر بألم هنا يا سيد كين، هل تعرف ماذا يكون؟".

فقال السيد "كين" ناصحًا إياه بحماس: "إنها المعدة، إن أمراضها تؤدى إلى الموت، يجب أن تكون شديد الحذر تجاهها حتى لا تكون فى خطر".

فأشار الأول إلى الجهة اليسرى من صدره وقال: "ولكنى أتكلم عن هنا".

فقال السيد "كين": "إنها المعدة، الناحية اليمنى المعدة والناحية اليسرى الرئة".

فقال السائل: "شىء غريب، كنت أعتقد المعدة هنا".

ثم طرق على منطقة الوسط وحينئذ قال السيد "كين": "أكيد مرض فى المعدة".

وهناك شاب فى الخامسة والعشرين ذو لحية خفيفة قفز فى حوض الاستحمام، فطفا على سطح المياه الصابون والقاذورات التى كانت ملتصقة بجسمه، فتلألأ سطح الماء كمشهد ذرات حديد فى ماء صافى.

وأمسك مسن أصلع بشخص ذى شعر قصير بجانبه يتحدث إليه، ولا يطفو فوق سطح الماء إلا رأساهما فقط. قال الأول:

"شيء محزن أن أصبح مسنًا هكذا، أضعُف وأصبح غير قادر على الحركة مثل الشباب، ولكنى أشعر بالضيق كلما دخلت حوض الاستحمام ولم أجد المياه ساخنة كما هى الآن".

فقال الثانى: "يبدو عليك أنك قوى يا أستاذ "عطسة"، ما عندك من قوة تكفى لما تحتاج".

فرد الأول: "لست قويًا ولكنى لست مريضًا، إذا لم يفعل الإنسان أشياء سيئة تضر بصحته يستطيع أن يعيش إلى أن يصبح عمرة مئة وعشرين عامًا".

فقال الثانى: "غير معقول! يستطيع الإنسان العيش إلى هذه السن المتقدمة؟".

فرد الأول: "نعم يعيش، بكل تأكيد، فى عام 1750 كان هناك قائد عسكرى اسمه ماجارى بتشى فى منطقة أوشى جوميه، عاش حتى مئة وعشرين عامًا، وكان لديه خادم عاش إلى سن المئة والثلاثين".

فقال الثانى: " لقد عمّر هذا الشخص طويلاً جدًا".

فقال الأول: " لقد عاش أكثر من اللازم لدرجة أنه نسى كم عمره، لقد قال: كنت أعرف عمرى حتى بلغت المائة، بعد ذلك لم أعد أعرف كم عمرى. وأنا أعلم أنه عاش حتى سن المئة والثلاثين، لكن لا أدرى ماذا حدث له بعد ذلك، غالبًا مات فى سن المئة والثلاثين، وربما ما زال حيًا حتى الآن".

ثم خرج من حوض الاستحمام بعد أن قال هذا، أما الشاب ذو اللحية فقد كان ينثر حوله مسحوقًا يبدو عليه أنه مسحوق حجر الميكا، وهو يبتسم وحيدًا.

أما الشخص الذى قفز فى حوض الاستحمام فليس كبقية الأشخاص، شخص مختلف عنهم، كان له وشم على ظهره، ويظهر فى الوشم صورة للبطل إيوامى چوطارو، وهو يحمل سيفًا كبيرًا كى يقتل حية عملاقة، ولكن للأسف صورة الحية غير موجودة فى الوشم، فشعرت بخيبة الأمل لأننى لم أشاهده وهو يقتلها، وعندما قفز ذلك الرجل فى حوض الاستحمام قال: "للأسف المياه دافئة، وليست ساخنة".

وإذا بشخص آخر بدا على وجهه الضيق يتدخل فى الحديث ويقول: "فعلاً دافئة، كان المفروض أن تكون ساخنة".

ولكن كان يبدو عليه أنه سيتحمل ذلك مضطرًا، وعندما تلاقى وجهه بوجه صاحب الوشم قال له: "أهلاً!! الأستاذ عطسة".

فرد عليه صاحب الوشم قائلاً: "أهلاً".

ثم سأله: "ما أخبار السيد طامى؟"

فقال الآخر: " إنه يحب أن يعامل الناس بشدة".

قال صاحب الوشم: " ولكن العمل بهذه الطريقة طالما أدى إلى نتائج سيئة".

قال الآخر: "فعلاً. إن داخله سيئ، لا أحد يحبه ولا أعرف سبب ذلك بدقة، أنا لا أعرف كيف يفكر، إن الناس لا تثق فيه، من يملك عملاً لا يجب أن يعمل بهذه الطريقة".

صاحب الوشم: " فعلاً، هذا حقيقي، إنه إنسان متكبر، عقليته سيئة، ولذلك لا يثق فيه أحد".

قال الآخر: "فعلاً، إنه يتصرف وكأنه ذو خبرة ولكنه عديم الخبرة، ولذلك فإن ما يفعله يؤدى إلى خسارته".

وأضاف: "جميع الزملاء القدامى فى منطقة شيروكانيتشو قد ماتوا، ولم يتبق حيًا إلا السيد موطو صاحب حمام الاستحمام وصاحب مصنع الطوب، وأنت أيها الأستاذ "عطسة"، وأنتم الذين ولدتم هنا، لكنى لا أعلم أين ولد السيد طامى".

قال صاحب الوشم: "نعم هذا صحيح، ولكنه أصبح ذا شأن كبير".

فقال الطرف الآخر مهاجمًا السيد "طامى" بقوة: "نعم، إنه مكروه من الجميع ولذلك لا يتعامل معه أحد".

سوف أكتفى بهذا القدر من الكلام عن قسم المياه العادية من حوض الاستحمام، وأنتقل إلى قسم المياه البيضاء، وهذا القسم مزدحم بالأشخاص لدرجة أنه من الأفضل ألا نقول "أشخاص داخل مياه"، بل نقول "مياه بين أشخاص"، فهم يستحمون ببطء شديد، فلقد شاهدت البعض يدخل منذ مدة، ولكنى لم أشاهد أحدًا يخرج، وإذا كانوا يطيلون الاستحمام هكذا فإن المياه الساخنة حين لا تتغير لمدة أسبوع كامل

فمن الطبيعى أن تصبح قذرة. وعندما نظرت إلى جميع من فى الحوض، شاهدت الأستاذ "عطسة" قابعًا فى الركن الأيسر بسبب الازدحام، وكان لون بشرته شديد الاحمرار، فشعرت بالحزن عليه، فلا أحد يفسح له طريقًا كى يخرج، ولا هو يبدو عليه أنه يريد الخروج، إنه ساكن تمامًا ولون بشرته شديد الاحمرار، أكيد أنه متعَب، ربما حاول أن يستفيد على قدر المستطاع من دفع تذكرة دخول الحمام البالغة مليمين ونصف، فمكث فى المياه الدافئة حتى احمر جسمه، ولقد شعرت بالقلق عليه وأنا أنظر إليه من النافذة، لأنه إذا لم يخرج بسرعة من المياه فسوف يُصاب بمرض من بخار الماء الساخن.

وإذا بالرجل المجاور لمن يجلس بجانب الأستاذ "عطسة" يقول فى دهشة، محاولاً كسب تعاطف بقية من يجلسون معه فى الصف نفسه: "المياه ساخنة أكثر من اللازم، هناك مياه ساخنة جدًا تأتى من خلفى ظهرى ببطء".

وإذا بشخص يقول بتفاخر: "ماذا؟! إن درجة حرارة المياه مناسبة جدًا. فى هذا القسم المخصص لمياه العلاج، إذا لم تكن المياه بهذه الدرجة فلن تفيد فى الشفاء، درجة حرارة المياه فى حمام الاستحمام فى بلدتى ضعف درجة هذه المياه".

وإذا برجل قد طوى منشفة ووضعها فوق رأسه كى يخفى ما بها من تعرجات يقول:

"المهم فيمَ ستفيد هذه المياه الساخنة؟".

وإذا برجل ذى وجه نحيف له لون وشكل كالخيارة يقول: "إنها تفيد فى علاج أمراض كثيرة، تستطيع أن تقول إنها مفيدة لكل شىء، إحساس جميل".

وإذا كانت فعلاً مفيدة لكل شىء كما يقول، فكان المفترض أن تكون صحته أفضل من هذا.

وإذا برجل سمين يقول كأنه يعرف الكثير: "أفضل أيام دخول حمام الاستحمام ثالث يوم أو رابع يوم بعد وضع الأدوية فى الماء، اليوم يوم جيد للدخول".

أكيد أنه سمين بسبب ما على جسمه من طبقات من القاذورات.

ومن مكان ما جاء صوت رفيع يقول: "هل سيكون ماء الاستحمام مفيدًا للجسم إذا شربناه؟".

وجاءت الإجابة من شخص ما: "إذا صار باردًا، وشربت كوبًا ثم نمت لن يسبب لك رغبة فى إخراج البول، عمومًا جرب وأنت تعرف".

وأكتفى بهذا القدر من الحديث عن حوض الاستحمام، وأنتقل للحديث عن المنطقة المحيطة بحوض الاستحمام، فأنا أشاهدها من أعلى.. كثير من العراة كأن كلاً منهم آدم، يصطف بعضهم بجانب البعضُ وكل واحد منهم يأخذ وضعًا يختلف عن الآخرين ويغسل جزءًا من جسمه يختلف عن الآخرين، وأكثرهم إدهاشًا لى عارٍ مستلقٍ على ظهره، ينظر إلى أعلى

حيث النافذة، وعارٍ مستلقٍ على بطنه ينظر داخل مجرى المياه، وكلاهما يبدو أن لديه من وقت الفراغ الكثير.

وهناك أصلع يجلس مواجهًا للحائط، وخلفه فتى أصلع يدعك له ظهره، ويبدو أن الأصلع أستاذ وأن الفتى تلميذه، وأن التلميذ يقوم بدور الخادم الذى ينظف ظهور زبائن الحمام بليفة، وفى الواقع يوجد خادم ينظف ظهور الزبائن ويبدو عليه أنه مصاب بالبرد، لأنه يلبس معطفًا رغم أن الجو حار جدًا، ويحمل إناء صغيراً مملوءًا بماء ويسكبه فوق كتف الزبون، وينظف قدمه اليمنى بليفة بين إصبع الإبهام وإصبع السبابة.

وبالقرب منى رجل يحمل ثلاثة أوانى مياه، ويقول لمن بجانبه أن يستخدم صابونًا للنظافة، ويتحدث إليه حديثًا طويلاً غير مفهوم ولا فائدة منه، قال: "لقد دخلت إلينا الأسلحة النارية من الدول الأوروبية، ولكننا قبل ذلك كنا نحارب بالسيوف، ولكن الأوروبيين جبناء ولذلك صنعوا الأسلحة النارية لخوفهم من المواجهة بالسيف. لا أعتقد أنها جاءت إلينا من الصين، أكيد من الدول الأوروبية، فلم تكن موجودة فى عصر القائد العسكرى المعروف باسم وطونای (1715م)، والذى اسمه الحقيقى الإمبراطور سيواجن، ويُقال إنه عندما عبر القائد العسكرى ميناموطو (القرن 12م) البحر من شمال اليابان إلى الصين كان يصطحبه عالم من شمال اليابان، ولقد هاجم ابنُ القائد العسكرى ميناموطو الصين، ولكن كان النصر فى المعركة صعبًا؛ فطلب من رسوله الذهاب إلى قائد عسكرى آخر كى يمده بثلاثة آلاف جندى، ولكن ذلك القائد

احتجز الرسول ولم يتركه ليعود، لا أتذكر اسم الرسول الآن.. على العموم، لقد حجزه عنده لمدة عامين، وحدث أن شاهد ذلك الرسول فتاة فى مكان حجزه، فأعجب بها وتزوجها، وأنجب منها وطوناى، وعندما عاد ذلك الرسول إلى موطنه بعد ذلك وجد أن الخونة قد باعوا وطنهم للصين وبالتالى تغير الحاكم".

ولكنى لم أستطع الاستماع لأكثر من ذلك، لأنى لم أفهم مضمون الكلام ولا الهدف منه، ولذلك حولت نظرى إلى الآخرين. فرأيت خلفهما رجلاً فى الخامسة والعشرين تقريبًا، ذا وجه جميل، يمسح بين فخذيه بحرص بماء أبيض، ويبدو أنه مصاب بورم وأن ذلك الورم يؤلمه.

وبجانبه يوجد شباب فى السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من العمر، يثرثرون بكلام كثير ويتحدثون بطريقة فظة، ويبدو عليهم أنهم طلاب يعيشون بالقرب من هذا الحمام العام.

وشاهدت بجانبهم شخصًا من الخلف منظر ظهره غريب؛ تظهر بوضوح سلسلة عموده الفقرى من المؤخرة حتى العنق كأنها عصا خيزران بعُقَدِها، وموضوع على يسار العمود الفقرى أربع وريقات شيح مشتعلة على أربعة أماكن، ومثلها على يمينه، وتلك الأماكن حمراء اللون وبعضها يحتوى على صديد.

ولكنى لو ظللت أصف كل ما أشاهده بدقة فلن أستطيع إلا وصف جزء فقط مما أريد وصفه، ولقد بدأت أشعر بالضيق لأننى أصف أشياء مقززة، ولكنى فى اللحظة التى شعرت فيها بذلك، ظهر من ناحية الباب رجل أصلع الرأس

فى سن السبعين يرتدى معطفًا أصفر قطنيًا، ثم انحنى احترامًا للعراة، وقال:

"شكرًا على حضوركم لحمامى كل يوم، المياه ليست ساخنة اليوم للدرجة التى تتوقعونها، ولذلك أرجو أن تقضوا وقتًا أطول فى الماء كى تشعروا بالدفء".

ثم نظر إلى خادم الحمام وقال له بقوة: "أيها الخادم، احرص على أن تكون المياه ساخنة للدرجة التى ترضى السادة الزبائن".

فرد الخادم: "حاضر يا أستاذ عطسة".

فقال صاحب الوشم مادحًا صاحب الحمام: "إنه يعتنى بنا ويتحدث إلينا بطريقة محترمة، إذا لم يفعل ذلك فلن يأتى إليه زبائن".

ولقد شعرت بالدهشة عندما شاهدت ذلك الرجل المسن الغريب صاحب الحمام، ولذلك قررت أن أراقبه بدقة كى أعرفه أكثر، وإذا به يقول لطفل فى سن الرابعة قد خرج حالاً من حوض الاستحمام: " تعالَ هنا".

ثم مد له يديه، ولكن الطفل شاهد وجه صاحب الحمام شبيه القُرْصَة المطبقة فخاف وبكى، فشعر صاحب الحمام بالارتباك وقال: "ماذا؟! أتبكى؟! شىء محزن، هل أنت خائف منى؟ هذا شىء محزن جدًا".

فوجد أنه لا حيلة له فى إرضاء الطفل، فحول نظره إلى والد الطفل وقال: "للأسف يا سيد جن مياه الحمام اليوم

ليست ساخنة جدًا. وبالمناسبة، اللص الذى دخل المتجر أمس كان غبيًا جدًا لدرجة لا يتخيلها أحد؛ حطم باب المتجر ودخل ولكنه لم يسرق شيئًا، فهل شاهد شرطى الدورية أو شاهد حارس المتجر؟".

ثم ضحك سخرية على تفاهة اللص، ثم اتجه إلى زبون آخر وقال له: "للأسف المياه ليست ساخنة للدرجة التى تريدها، ولكن أنت شاب تستطيع تحمل الاستحمام فى مياه باردة".

ويبدو أن صاحب الحمام هو المسن الوحيد الذى كان يشعر أن المياه باردة.

انشغلت لبعض الوقت بصاحب الحمام ونسيت ملاحظة العراة، بل ونسيت أن الأستاذ "عطسة" محشور فى مكان ضيق يعانى فى صمت، وفجأة سمعت صوتًا عاليًا يأتى من ناحية مجرى الماء والمكان المحيط بحوض الاستحمام، فنظرت وكان صوت الأستاذ "عطسة" دون أى شك، ولم يكن اليوم هو اليوم الأول لى الذى أسمع فيه صوته المرتفع بطريقة غير عادية والأجش على نحو يؤذى الأذن، ولكن أدهشنى أن يصيح هكذا فى الحمام، حيث إن هذا المكان غير مناسب لذلك، واعتقدت فى تلك اللحظة أن السبب فى تصرفه هذا هو جلوسه مدة أطول من اللازم فى ماء ساخن، ما أدى إلى ارتفاع ضغط دمه، أما إن كان قد فعل ذلك بسبب إصابته بالجنون، فلا أستطيع انتقاده، ولكنه بالتأكيد غاضب ويعى ما يفعل، وسوف تفهمون سبب غضبه بطريقة غير لائقة عندما أقص عليكم الحكاية.

الحكايـة بـدأت بموضـوع سـخيف، وهـو أنـه تشـاجر مـع تلميـذ كأنـه يتشـاجر مـع رجـل كبـير. موضـوع تافـه، لا يجـب أن يُغضِبـه إلى هـذا الحـد، خاصـة أنـه لم يفكـر فى النتيجـة، وإن موقفـه هـذا مثـل موقـف الفيلسـوف تاكاياما (1750م) وهـو فيلسـوف الإمبراطـور الـذى هاجمتـه عصابـة قطـاع طـرق عندمـا كان يسـير فى طريـق جبـلى، فغضـب وصـاح ينصحهـم بطريقـة عنيفـة بفعـل الصـواب، وإن كان هـؤلاء تلاميـذ والنصـح يفيدهـم، وليسـوا قطـاع طـرق كى ينصحهـم بهـذه الطريقـة العنيفـة.

نظـر التلميـذ إلى الخلـف حيـث الأسـتاذ "عطسـة" وقـال: " لقـد جئـت هنـا قبلـك".

قـال ذلـك بهـدوء، وهـذه إجابـة عاديـة، ولكنهـا لم توضـح أنـه لـن يـترك المـكان كـما كان يريـد الأسـتاذ "عطسـة"، ولكنـه قـال ذلـك بأسـلوب مـؤدب ولغـة مؤدبـة، ولذلـك لا تجـب إهانتـه كـما أهـان فيلسـوفُ الإمبراطـور قطـاعَ الطـرق، ولكـن هـذه هـى طريقـة الأسـتاذ "عطسـة"، ويبـدو أن الأسـتاذ "عطسـة" لم يصـح غضبًـا فى التلميـذ لجلوسـه ملاصقًـا لـه وسـقوط المـاء فى وعائـه، بـل لأن التلميـذ كان يتحـدث مـع تلميـذ آخـر، ويتفاخـر بنفسـه بطريقـة مبالـغ فيهـا لحـد غـير معقـول، ولقـد سـمع الأسـتاذ "عطسـة" حديثـه مـن أولـه إلى آخـره، فغضـب بشـدة مـما قالـه ذلـك التلميـذ، ولذلـك رغـم أن التلميـذ كان يتحـدث إليـه بطريقـة هادئـة فـإن الأسـتاذ "عطسـة" صمـت ونظـر إلى المـكان المحيـط بحـوض الاسـتحمام، ثـم فجـأة نهـر التلميـذ بصـوت عـال فقـال: "مـاذا تقـول أيهـا الأحمـق؟! هـل هنـاك إنسـان مـؤدب يُسـقط مـاءً قـذرًا فى وعـاء شـخص آخـر؟!".

ولقد أعجبت بهذا التلميذ الصغير إعجابًا شديدًا أشعرنى بسعادة غامرة، ولكن تصرف ونبرة الأستاذ "عطسة" لم يصلا إلى مستوى كونه معلمًا، فى الواقع الأستاذ "عطسة" ذو عقلية متصلبة جدًا؛ ويثور بسرعة كقطع الفحم الصغيرة سريعة الاشتعال، وهذه عيوب شخصيته، وقديمًا كان هناك قائد عسكرى فى إسبانيا اسمه هانيبال (220 ق.م)، عندما كان يعبر جبال الألب بجيشه، وجد صخرة كبيرة تسد ممرًا جبليًا وتعوّق تقدم الجيش، فأمر أن يوضع فوقها خل ويشعلوا النهار فى الصخرة إلى أن صارت لينة، ثم قطعوها بالمناشير إلى قطع صغيرة مثل فصوص الأسماك. شخص مثل الأستاذ "عطسة" حتى لو وضعناه فى ماء فيه دواء، وغلَينا الماء إلى أن ينضج كالبيض، فلن تتغير عقليته ولو حتى قليلاً، الحل الوحيد أن نضع عليه خلاً ونشعل النار فيه، وإذا لم نفعل هذا فمهما جاء مئات من التلاميذ مثل ذلك التلميذ، فلن يؤدى ذلك إلى شفاء الأستاذ "عطسة" من تصلب العقل.

إن هؤلاء الأشخاص الذين يطفون فوق سطح حمام الاستحمام، وكذلك الموجودين حول الحمام، مجموعة من العرايا كالقرود، وقد خلعوا الملابس المهمة لحياة الإنسان، ولذلك لا يجب الحكم عليهم من خلال القوانين العامة التى تحكم البشر العاديين. إنهم يفعلون ما يحلو لهم، فشىء عادى أن يجعل أحدهم المعدة مكان الرئة، أو القائد العسكرى وطوناى اسم شهرةٍ للإمبراطور سيواجن، أو أن طامى غير جدير بالثقة، ولكن عندما يخرج أحدهم من قاعة حوض الاستحمام إلى غرفة ارتداء الملابس لا يصير كالقرد، بل يعود إلى بشرى

يعيش فى هذه الدنيا، لأنه يرتدى الملابس اللازمةَ للتحضر، وعليه فيجب أن يتصرف تصرفات تليق بالإنسان.

والآن يقف الأستاذ "عطسة" أمام الباب الذى يفصل بين صالة حوض الاستحمام وصالة ارتداء الملابس، والذى بدخوله سيعود إلى عالم المجاملات والتصنع والمرونة فى التعامل، وبالتأكيد سوف يظل متصلب الرأى كما هو، فهو مريض، وبالتأكيد سيظل حبيسًا فى سجنه الذى صنعه لنفسه، ولن يتم شفاؤه من مرضه بسهوله، وأنا أتصور أنه ليست هناك طريقة لشفائه من مرضه إلا طريقة واحدة فقط، وهى أن يطلب من مدير المدرسة أن يقيله من عمله، هذه هى الطريقة الوحيدة لشفائه، وبما أنه متصلب الرأى فلو أُقِيل من عمله، فبالتأكيد سيتسكع على نواصى الشوارع، حتى يموت على أحد الأرصفة، بمعنى أن الإقالة من العمل ستكون سببًا غير مباشر للموت. والأستاذ "عطسة" يشعر بالسعادة لأنه مريض ولكنه يكره الموت جدًا، يريد أن يظل مريضًا، لأن المرض يمثل له نوعًا من أنواع البذخ، على ألا يصل الأمر إلى درجة الموت، فلو قال له أحد إن مرضك خطير وإنه سيقتلك، أكيد سيرتعد خوفًا، وعندما يرتعد سيخرج المرض تمامًا من جسده، وإذا فعلنا ذلك ولم يذهب مرضه، فلا شىء نفعله من أجله. وبصرف النظر عما إن كان غبيًا أو مريضًا فإنه لا يتغير. ولقد قال أحد الشعراء "لا تنسَ معروف من أحسن إليك، ولو كان دعاك إلى وجبة طعام واحدة". أنا قِط نعم، ولكنى أعلم أن هناك أشياء جيدة فى الأستاذ "عطسة" أيضًا، ولذلك فإن قلبى ملىء بالحزن والأسى حِياله.

وفجأة جذب انتباهى شىء يحدث حول حوض الاستحمام، بعد أن كنت قد أهملت النظر هناك وركزت اهتمامى على الأستاذ "عطسة"، ولكنى سمعت صوت صياح يأتى من ناحية حوض المياه البيضاء، فتصورت أن هناك مشاجرة أخرى، ولكنى وجدت عرايا -منهم من له شعر فى سمانة ساقه، ومنهم من ليس له شعر فى فخذه- يقفون معًا، فمنذ الصيف إلى أول يوم فى الخريف، دائمًا فى وقت الغروب يمتلىء المكان المحيط بحوض الاستحمام ببخار ماء كثيف من الأرض إلى السقف، وشاهدت -ولكن دون وضوح- تجمع الكثير من العراة هناك، وسمعت أصواتًا تقتحم أذنىّ وتمتد فى عقلى، وكانوا يصيحون: "ساخنة جدًا"، وتعالت الأصوات وترددت أصداؤها داخل الحمام، فأحدثت جلبة كأصوات الزحام والارتباك، ولكنها لم تكن مفيدة أى شىء آخر، ولقد انجذبت بالطبع إلى هذا المنظر فظللت أنظر بتمعن وأنا مهموم بما يحدث.

وارتفعت الأصوات الدالة على الارتباك والفوضى إلى أقصى درجة، فلا يوجد أعلى من ذلك، وبينما كان يتدافع الجميع، وقف رجل طويل وضخم البنية، وعندما نظرت جيدًا إليه وجدته أطول من الآخرين بنحو عشرة سنتيمترات، ولا أعرف إن كانت له لحية فى وجهه، أم وجه فى لحيته، ثم نظر إلى الناحية الأخرى بوجهه الأحمر وصاح بصوت مجلجل كصوت جرس فى ظهيرة يوم حار قائلاً: "المياه ساخنة جدًا جدًا، أضيفوا إليها مياهًا باردة".

خرج هذا الصوت من هذا الوجه المرتفع عن بقية الوجوه المرتبكة لجميع الحضور، لدرجة أنك تشعر لحظة صياحه كأنه الوحيد الموجود فى الحمام.

وبينما كنت أقول لنفسى إنه عملاق، العملاق الذى تحدث عنه الفيلسوف الألمانى نيتشه، إنه الملك الأعظم للسحر، إنه زعيم العراة، إذا بصوت يأتى من خلف حوض الاستحمام يقول: "أفسحوا الطريق".

فدُهِشت ونظرت ناحية مصدر الصوت ولكنى لم أستطع تمييز الأشياء جيدًا، لأن المكان كان مظلمًا، ولكنى شاهدت الخادم الذى يرتدى سترة دون أكمام يضع نقلة من الفحم الذى كان يطقطق داخل الموقد، ثم أغلق الغطاء، فسمعت صوت فرقعة الفحم، وظهر وجه الخادم لى بوضوح، وكذلك ظهر الضوء على الحائط الحجرى الذى يوجد خلف الخادم كأن الحائط يشتعل، فشعرت بالخوف وقفزت بسرعة من النافذة عائدًا إلى المنزل.

فى طريقى إلى المنزل كنت أفكر فى الآتى: لقد خلعوا السترة واللباس الذى يوارى العورة والسراويل كى يحصلوا على المساواة، ولكن ظهر من بينهم عارٍ عملاق، فأصبح عملاقَهم، وفرض عليهم ما يريد بالضغط، وهذا يعنى أن خلع الملابس والتعرى لن يؤدى إلى تحقيق المساواة.

عندما رجعت إلى المنزل وجدت الأمور هادئة، الأستاذ "عطسة" يتناول طعام العشاء ووجهه يتلألأ بعد الاستحمام، وحين شاهدنى أدخل عليه من الشرفة قال: "قط مستهتر، ماذا كان يفعل خارج المنزل إلى هذا الوقت المتأخر؟!".

نظرت إلى أطباق الطعام فوجدت أطباقًا جانبية عدة دون الطبق الرئيس، فتعجبت من كثرة عددها رغم أن الأستاذ "عطسة" مفلس، وكانت فى أحد هذه الأطباق سمكة مشوية، لا أعرف اسم هذه السمكة ولكن بالتأكيد هى من الأسماك التى شاهدتها أمس فى منطقة "أوضايبا" القريبة من هنا. طبعًا كما قلت سابقًا إن الأسماك النيئة صالحة للأكل، ولكن حين تكون ناضجة عن طريق الشواء أو الطهو، لا أصبر على عدم تناولها، حتى لو تسبب أكلها فى أمراض كثيرة فسآكلها، إلا إذا كانت ستؤدى لموتى. وعلى هذا جلست بجانب طبق السمكة، منتظرًا فرصة لتناولها، أتصنع أننى غير عابئ بها، وفى الحقيقة كنت متشوقًا إلى تناولها، وكلما نظرت إليها اشتهيتها أكثر وأكثر، وأقول لمن لا يشتهى تناول الأسماك أن يتركها، لأنه لن يستطيع الاستمتاع بمذاقها اللذيذ. أما الأستاذ "عطسة" فقد غرس أعواد الطعام فى السمكة، وأخذ قليلاً تناوله ثم وضع الأعواد على الطبق، وبدا على وجهه أنه لم يشعر بلذيذ مذاق السمكة، وكانت زوجته تجلس فى مواجهته تراقب فى صمت حركة صعود ونزول أعواد الطعام من وإلى فمه، وانفتاح وانغلاق فكيه العلوى والسفلى، كأنها تقوم بدراسة بحثية عن ذلك.

وفجأة قال الأستاذ "عطسة" لزوجته: "أنت، اضربى هذا القط على رأسه".

الزوجة: "لماذا أفعل هذا؟".

قال: "ليس مهمًا لماذا، ولكن المهم أن تفعلى ما أقول".

فضربتنى بكف يدها ضربة رقيقة على رأسى، لم أشعر بألم، وقالت له: "أهكذا؟!".

فقال: "إنه لا يصيح، اضربيه مرة أخرى".

فقالت وهى تضربنى بخفة مرة أخرى: "مهما ضربته لن يصيح".

كنت أجلس صامتًا إذ لا يوجد سبب كى أصيح، وقط مثلى يفكر بعمق، ولذلك لا أستطيع أن أتفهم ما هدفه من ذلك، وإذا استطعت فهم هدفه فسأستطيع أن أُحقق له ما يريده بطريقة أو بأخرى، ولكن أن يأمر زوجته بأن تضربنى دون توضيح سبب لذلك، فهذا تصرف يُغضب زوجته ويُغضبنى أيضًا، وبما أنه لم يصل إلى مراده فقد قال لها بغضب مرة أخرى: "أنت، اضربيه بقوة كى يصيح".

فبدا على الزوجة الضيق وسألته وهى تضربنى بشدة:

"وما الذى سيحدث إذا صاح؟".

إذا تفهمتُ ما يريد فسأقتنع، حتى لو كان الصياح هو الشىء الذى سيرضى الأستاذ "عطسة" فسوف أصيح، ولكن الأستاذ "عطسة" غبى كعادته ولذلك فأنا أشعر بالضيق منه، إذا كان الهدف أن أصيح، فلم يكن هناك داعٍ لضربى عدة مرات، كنت سأفعل ذلك دون ضرب، ليس هناك داع لظلمى مرة ثم ثانية ثم ثالثة، إذا كان الهدف من الضرب هو الضرب نفسه فلا يجب أن يستخدم الضرب لتحقيق هدف آخر، هى الطرف الذى يضرب، وأنا الطرف الذى يُضرَب، فإذا كان يتصور

منذ البداية أن الضرب سيؤدى إلى أن أصيح فهو مخطئ، إنه تصرف غير لائق وعدم احترام للآخرين، إن هذا التصرف إهانة للقطط، طبيعى أن يصدر هذا التصرف عن شخص مثل السيد "أبو الدهب"؛ الرجل ملتوى الشخصية الذى يكره الأستاذ "عطسة"، ولكن ليس طبيعيًا أن يصدر من الأستاذ "عطسة" الذى يفتخر بأن يتعرى كما ولدته أمه، إن تصرف الأستاذ "عطسة" تصرف وضيع، إن أمر الأستاذ "عطسة" بضربى لا يدل إلا على أنه شخص لئيم؛ لا يفكر إلا فى نفسه والوصول إلى ما يريد بأى وسيلة حتى لو كانت ملتوية، إنه كالحشرة التى خرجت من مستنقع جهل.

ربما تصور أن:

طبيعى أن تشعر بالشبع إذا أكلت،

وطبيعى أن تنزف دمًا إذا جُرِحت،

وطبيعى أن تموت إذا قُتلت،

وعليه؛ طبيعى أن تصيح إذا ضُرِبت،

ولكن للأسف هذا تفكير لا يتفق تمامًا مع المنطق.

لأنه بناءً على ذلك، يجب أن تُصاب بإسهال إذا أكلت خضراوات،

وأن تذهب إلى العمل إذا حصلت على الراتب،

وأن تصبح عظيمًا إذا قرأت كتبًا،

ولكن لا ينطبق ذلك على الجميع، وإذا تصرفنا من هذا المنطلق فسوف نسبب متاعب للغير، فضربي لا يؤدى بالضرورة إلى أن أصيح، أنا لست كالجرس كلما ضُرب أحدث صوتًا، وإلا ما كان هناك معنًى لأن أُولَد قِطًا.

هكذا نقدت الأستاذ "عطسة" فى نفسى، ولكننى بعد ذلك صحت إرضاءً له.

فقال الأستاذ "عطسة": "سمعتِ! لقد صاح قائلاً نِييو، هل تعرفين إذا كانت نِييو هذه يطلقون عليها فى اللغة حالاً أو علامة تعجب أو ماذا؟"

فشعرت زوجته بدهشة من السؤال فلم تجب.

فى الواقع أعتقد أن عدم صياحى سببه أننى كنت فى الحمام وشعرت بدوار من الحرارة. وفى الأصل الأستاذ "عطسة" مشهور عنه فى هذا الحى أنه غريب الأطوار، لدرجة أن أحد الأشخاص قال عنه منذ عدة الأيام: "أكيد أنه مريض عصبيًا".

ولكن الأستاذ "عطسة" يعتقد أنه عظيم ويقول: "أنا لست مريضًا عصبيًا، بل الناس هم المرضى".

الجيران يطلقون عليه "الكلب"، وهو -من منطلق المساواة- يسميهم "خنازير"، ولا أعرف إلى متى يستمر ذلك! إنه مسكين، ولأن شخصيته هكذا فعلاً سأل زوجته هذا السؤال الغريب، وربما يؤدى ذلك إلى مشكلة له قبل طعام الإفطار، وطبيعى أن يعتقد من يسمعه أنه قريب من أن يكون مريضًا عصبيًا،

وبالتالى طبيعى أن تشعر زوجته بغضب داخلى، ولا أحد يلومها على ذلك، وطبعًا أنا ليست عندى إجابة أيضًا.

وفجأة قال بعد برهة بصوت عال: "أنتِ".

فدُهِشت الزوجة وقالت: "نعم".

فقال: "هل كلمة نعم حال أم علامة تعجب؟ أيهما؟".

فقالت: "أيهما! هذا كلام سخيف، ليس مهمًا أن تكون هذه أو تلك".

فقال: "ليس كذلك، إنها الآن مشكلة كبيرة فى اللغة اليابانية".

فقالت: "ماذا؟! نواء القطة مشكلة كبيرة فى اللغة اليابانية؟! شىء عجيب، ولكن نواء القطة ليست له علاقة باللغة اليابانية، أليس كذلك؟!".

قال: "لهذا فهى مشكلة صعبة، وتدخل فى مجال البحث المقارَن".

وبما أن الزوجة ذكية، أرادت أن توضح أنها ليست لها علاقة بهذا الموضوع، فقالت: "أهكذا؟!".

ثم قالت: "وهل عرفت أنت أيهما تكون؟".

فقال وهو يأكل السمكة بطريقة لا تمت بصلة لآداب تناول الطعام: "سؤال صعب كهذا لا تُمكِن الإجابة عنه فى عُجَالة".

ثم تحول إلى طبق لحم الخنزير والبطاطس الموجود بجانب طبق السمكة قائلاً: "هل هذا خنزير؟".

قالت: "نعم".

فقال باحتقار: "أهكذا؟!".

فتناوله، ثم حمل قدحًا صغيرًا وقال: "سأحتسى كأسًا أخرى من الخمر اليابانى".

فقالت: "أنت تحتسى الكثير هذه الليلة، لقد احمرّ وجهك جدًا".

قال: "بصرف النظر عن هذا سأحتسى. أنتِ، هل تعرفين أطول كلمة فى العالم؟".

قالت: "المستشار الأول للإمبراطور وزير الشئون السياسة والدينية راهب معبد هوشوا".

قال: "لا، هذا اسم شهرة لشخصية تاريخية معروفة، أقصد كلمة فى اللغة، هل تعرفين أطول كلمة؟".

قالت: "هل تقصد كلمة أجنبية؟".

قال: "نعم".

قالت: "لا أعلم، كفى احتساء للخمر، وتناول العشاء".

قال: "لا، سوف أحتسى، هل ترغبين في أن أخبرك بأطول كلمة؟".

قالت: "نعم، بشرط أن تتناول الطعام بعد ذلك".

قال: "كلمة Archaiomelesidonophrunicherata"

قالت: "أنت تمزح".

قال: "لا أمزح، إنها لغة يونانية".

قالت: "وما معنى ما قلته الآن باللغة اليابانية".

قال: "لا أعرف معناها، ولكن أعرف حروفها، لو كتبتها ستأخذ سطرًا كاملاً".

شيء عجيب أن يتحدث الأستاذ "عطسة" بهذه الصراحة رغم أنه لم يسكر، فبقية الناس يقولون الحقيقة فقط عندما يسكرون، ولكنه الليلة احتسى أكثر من كل ليلة، فهو قد قرر أن يحتسى قدحين صغيرين كل ليلة، ولكنه في هذه الليلة احتسى أربعة أقداح، احتسى قدحين فاحمرّ وجهه جدًا، وعندما احتسى أربعة احمرّ وجهه كالنار المشتعلة وبدا عليه الإرهاق، ومع ذلك لم يتوقف عن الشرب.

ثم قال: "سأشرب قدحًا آخر".

فبدا على وجه زوجته الضيق الشديد وقالت: "كفى إلى هذا الحد، أنت تبدو متعبًا".

قال: "ماذا؟! متعب! حتى لو كنت أشعر بالتعب سأتعود من الآن على الشرب كثيرًا، السيد كيجتسو قالى لى أن أحتسى الكثير".

فقالت: "ومن هو كيجتسو؟".

وكان يبدو عليها أنها لا تعرف هذا الشخص.

فقال: "كيجتسو واحد من أهم النقاد الأدبيين هذه الأيام، وبما أنه قال لى أن أشرب فسوف أفعل".

قالت: "هذا كلام إنسان أحمق، ليس من حق هذا الكيجتسو أو الزفت جتسو أن يأمرك أن تحتسى، ما دام هذا يؤدى إلى أن تشعر بالتعب".

فقال: "لم يقل لى أن أحتسى فقط، بل قال أن أقيم علاقات مع النساء وأن أستمتع بملذات الحياة وأن أقوم برحلات".

فقالت: "أشياء أسوأ من الاحتساء! هل فعلاً ذلك الشخص ناقد أدبى مشهور؟! أنا مدهوشة من كلامه، رجل متزوج وله أبناء يشجعك على فعل هذه الأشياء؟!".

فقال: "الملذات جميلة، وإذا لم يشجعنى هو عليها لفعلتها أنا عندما يكون لدى مال".

قالت: "السعادة ليست فى فعل هذه الأشياء، صعب جدًا أن تبدأ حياة المجون هذه فى هذه السن المتأخرة".

قال: "إذا كنت تعتقدين ذلك فلن أفعله، ولكن بدلاً من ذلك أرجو أن تهتمى بى أكثر، وأن تعدى لى عشاء شهيًا".

قالت: "هذا كل ما أستطيع عمله، ولا طاقة لى بالمزيد".

قال: "أهكذا؟! إذًا عندما أحصل على مال سأبدأ فى البحث عن الملذات، عمومًا لن أحتسى المزيد الليلة".

ثم أعطاها طبقًا كى تضع فيه أرزًا بالشاى الأخضر، تناول منه ملء ثلاثة أطباق، أما أنا فيا لسعادتى، لقد فزت هذه الليلة بوليمة.. ثلاث قطع لحم خنزير، ورأس السمكة المشوية المرشوش عليها المِلح.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

نبذة عن المؤلف

الأديب الياباني (نتصوميه صوسيكى/natsume souseki)، واسمه الحقيقى (كِن نو سُكِيه/kin no suke)، ولد في طوكيو عام 1869م

أهم رواياته:

- "الفتى طائش/botchan" عام 1905 - "الوسادة العشبية / kusamakura" عام 1906

- "سانشيرو/sanjirou" عام 1908 - "بعد ذلك/sorekara" عام 1910 -"البوابة/mon" عام 1911 - "قلب الأستاذ/koko-ro" عام 1914 - "المسافر/koujin" عام 1914 - "النور والظلام/ meian" عام 1916

كما أنه ترجم عن الإنجليزية رواية "هوجوكى /houjouki" التي تحكي عن حياة راهب.

نبذة عن المترجم

أ.د. ماهر أحمد محمد الشربيني، أستاذ بجامعة القاهرة كلية الآداب قسم اللغة اليابانية، تخصص في نحو اللغة اليابانية الحديثة، بجانب تخصصه في علم تعليم اللغة والثقافة والأدب الياباني، وعلم السلام.

التاريخ الأكاديمي:

تخرج في جامعة القاهرة كلية الآداب قسم اللغة اليابانية وأدابها عام 1981، ثم أصبح طالب

باحث في جامعة تسوكوبا تخصص لغة يابانية عام 1985، ثم حصل على درجة الماجستير ثم الدكتوراة في جامعة هيروشيما كلية الآداب قسم علم لغة تخصص لغة يابانية عام 1992-1989

-أهم الكتب التي ترجمها إلى اللغة العربية عن اللغة اليابانية:

"مذكرات مصابي قنبلة هيروشيما" - "قصة حياة البطل الياباني طوكودا طوراؤ" -"الفتى الطائش" -"قلب الأستاذ" - "قطار المجرة"

مع آخرون: "قوة أمي" - "الانطلاق من الصفر" -"لقد خُلق جميع البشر متساوون" - "الغبي ينجح - سلسلة جن الحافي"

"الترجمة إحدى أهم وسائل النهضة والترجمة الجيدة فن، والمترجم مبدع ومؤلف ثان"

أ.د. ماهر الشربيني